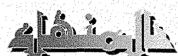


مسابقة المنهل الثقافية
قسيمة المسابقة داخل العدد
المنهل
AL MANHAL
مجلة العرب الأدبية الثقافية
العدد (٥٩٤) المجلد (٦٦) العام [٧٠] ذو القعدة وذو الحجة ١٤٢٥ هـ - ديسمبر ٢٠٠٤ م ويناير ٢٠٠٥م
معالم قرآنية فى الألوان
موقف الإسلام من اليهودية وموقف اليهودية من الإسلام
النص وظاهرة الفراغ
د. حسين مؤنس بين تاريخ قريش والمغرب والاندلس
روايات جورجي زيدان والمنحى التنصيري
خطر اللوبى الصهيوني على سكان دارفور
كشاف المنهل
١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤/ ٢٠٠٥م

بسم الله الرحمن الرحيم



مجلة للآداب والعلوم والثقافة

تصدر في المملكة العربية السعودية- جدة

عن دارة المنهل للصحافة والنشر المحدودة

أسسها المغفور له

عبدالقدوس القاسم الأنصاري

عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٧م

ملكها ورأس تحريرها

المغفور له

نبيه عبدالقدوس الأنصاري

من العام ١٤٠٣ هـ/ حتى ١٤٢٤ هـ



غلاف العدد

مما قل

الى الوافدين الى بيت الله الحرام

لحكمة ربانية عالية، شرع الله الحج وفرض أداءه على عباده المؤمنين، وجعله أحد أركان دينه القويم، فكان ومازال هذا «الحج» من أروع شعائر الدين الاسلامي الحنيف ومن أشعها نورا، ومن أقواها أثرا في تحاب المسلمين وتوادهم، وتآلفهم وتعارفهم.

وقد يعود الباحث الى القرون الماضية يستنطقها عن الوافدين الى بلد الله الحرام؛ من المسلمين المستجيبين لنداء أبيهم ابراهيم عليه السلام: {وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم؛ ويذكروا اسم الله في ايام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام}، يعود الباحث الى القرون الخوالى يستنطقها عن عديد الوافدين الى الحج الذين كانوا يتحملون المشقات وطول الاسفار في البرور والبحور، لينالوا أمنيتهم السامية، فيجدهم كعديد الحصى كثرة، لا يثنيهم تعب؛ ولا يرهقهم نصب عن الوصول الى {أول بيت وضع للناس} والوقوف بجبل الرحمة «جبل عرفات» حيث تغفر الذنوب وتجلى الكروب. فاذا كان هذا حال المسلمين في تلك الايام الخوالى، لا تعيقهم عن القيام بهذا الفرض المقدس عقبة كؤود ولا يبالون خوفا ولا يحذرون اختلال أمن، فما بالك بواجبهم الآن، وها هي الطرق اختصرتها السيارات اختصارا، والمخاوف اضمحلت تماما.

هذا وان من المناسب في هذا المقام ان نذكر إخواننا المسلمين الوافدين الى هذه البلاد المقدسة أن ما ينفقونه من أموال في سبيل هذا الركن الديني المقدس هو مخلف لهم، ولهم ثوابه الوفير في الآخرة. ثم ان على اخواننا الوافدين «رسالة» سامية نرجوا أن يؤدوها بكل اخلاص لمن هم وراءهم اذا رجعوا اليهم وتتلخص هذه الرسالة في التنويه لهم بأن الحج أصبح اداؤه يسيرا، بما أحدثه جلالة الملك المعظم في هذه البلاد من تنظيمات فنية، من شأنها ضمانة الرفاهية وسرعة المواصلات وانتظام الصحة للوافدين.

«عبدالقدوس الأنصاري»

رمضان ١٣٥٧هـ
اكتوبر ١٩٣٨م

المركز الرئيسي

جدة الشرفية ص.ب ٢٩٢٥
رمز بريدي ٢١٤٦١
برقيا: المنهل
فاكس: ٦٤٢٨٨٥٣
تليفون: ٦٤٢٧٨٣١ ٦٤٣٩٧٦٥
٦٤٣٢١٢٤ - ٦٤٢٥٦٨٧
الرياض: ص.ب ٢٩٠
تليفون: ٤٥٤٢٤٣٢

سعر النسخة:

السعودية ١٠ ريالات - قطر ٨ ريال - المغرب ٩ دراهم - مصر ٣ جنيهات
تونس ٨٠٠ مليم - الكويت ٦٠٠ فلس - عمان ٦٠٠ بيسه - الامارات ٨ دراهم
البحرين ٧٠٠ فلس - موريتانيا ١٠٠ أوقيه - الأردن ٥٠٠ فلس.

أما بعد

التشكيك في العلماء فتنة ..

...لعلى هنا أسجل ملاحظة في غاية الاهمية، ظل امرها يسري بين كثير من الناس، انها التشكيك في العلماء..!

والتشكيك في العلماء هو سبب كل هذه الفجائع والفظائع التى يعيشها عالمنا العربي والاسلامي الآن..

والتشكيك في العلماء فتنة.. العلماء الاثبات يرون - بعلمهم وثاقب بصيرتهم - مالا يراه العامة من الناس، وما لا يراه المفتون العَجلُون..

العالم الثبت يرى الفتنة قبل وقوعها، والعامة لا يرونها الا بعد وقوعها..

والعلماء الاثبات هم صمام الأمان في هذه الأمة، لانهم موقع النظر والبصر والاستنباط..

يقول الحق سبحانه {ولو ردوه الى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم} (سورة النساء آية/ ٨٣).

والمستنبطون هؤلاء هم العلماء الربانيون.. لأنهم يرون بنور الله..

أما الآخرون فلا يرون من الامور إلا ظواهرها وقشورها..

وهنا الفتنة كل الفتنة، والبلاء كل البلاء.

المحرر

المشرف العام
أ.د/ عبدالرحمن الطيب الأنصاري

رئيس التحرير
المدير العام
زهير نبيه عبدالقدوس الأنصاري

عزيزي القارىء
عزيزتي القارئة

هذه المجلة تحمل في العديد من صفحاتها آيات قرآنية كريمة وأسماء الله الحسنى فضلا عن أحاديث نبوية شريفة الرجاء المحافظة عليها.

اشارة

تحتفظ هيئة التحرير بالحق في تحديد أولويات النشر ويخضع ترتيب مواد المجلة لاعتبارات فنية لا علاقة لها بالموضوع أو مكانة الكاتب ويشترط في الاسهامات عناصر الجدة، العمق والرصانة العلمية، للمجلة الحق في عدم نشر المواضيع التي تراها غير مناسبة للنشر دون الالتزام بإعادة الموضوع لمصدره، كما يرجى الاشارة لمصادر المادة بصورة واضحة.

العنوان البريدي :
E-mal: AL-Manhal@Al-manha.Com.sa
عنوان موقع الإنترنت :
URL: WWW.AL-Manhal.Com.Sa

فهرس العدد





الاشتراكات

جـــدة ت: ٦٤٣٢١٢٤
قيمة الاشتراك السنوي للمؤسسات الحكومية ٢٥٠ ريال.
قيمة الاشتراك للأفراد ١٥٠ ريال

وكــلاء التوزيـع

الشركة السعودية للتوزيع/ جدة ٨٠٠٢٤٤٠٠٧٦ - وكـالة الأهرام للتـوزيع/ القـاهرة ٥٧٤٧٠٤٤ - الشركـة التونسـيـة للصـحـافـة/ تونس ٣٣٢٤٩٩ - الشـريـفـيـة للتوزيع/ الدار البيضاء ٤٠٠٢٢٣ - شركة الامارات للطباعة والنشر والتـوزيع/ أبوظبي ٤٥٦٥٠٠ - دار الثـقـافـة للطبـاعـة/ الدوحـة ٤١٤١٨٢ - وكـالة التـوزيع الأردنية/ عمـان ٦٣٠١٩١ - دار اقرأ للنشر/ الخرطوم ٤١٨٠٩ - الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبـوعـات د.م.م/ الكويت/ ٢٤٢١٤٦٨ - مـؤسـسـة الهـلال لتـوزيع الصـحف/ البـحـرين/ المنـامـة ٥٣٤٥٥٩.

الاعلانات:
يراجع بشأنها
الادارة ت: ٦٤٣٢١٢٤



طبع بمطابع شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر ـ جدة تليفون: ٦٣٩٦٠٦٠ ـ فاكس: ٦٣٩٤٠٩٥

العدد ٥٩٤ ـ المجلد: ٦٦ ـ العام: ٧٠

فقرات مستلة



الحوار النبيل



زهير نبيه عبدالقدوس الأنصاري
رئيس التحرير

الخطاب مع الآخر مدرسة قائمة بذاتها، مدرسة تعلمنا:

أولا: (منهجية التفكير الصامت) فيما نود قوله، في لغة حوارية داخلية معمقة، وتقليب الأمور في كل أوجهها..

وثانيا: تعلمنا اختيار (الاطار) الذي تفرغ فيه تلك الافكار، أو تلك الحوارية الداخلية المتعمقة.. وهذا الاطار هو اللغة وأسلوب الاداء.

والخطاب مع الآخر ليس أمر غلبة أو هيمنة على الآخر لمجرد اسكاته، أو إفحامه، أو لمجرد تسجيل موقف، أو اثبات حضور..

الخطاب مع الآخر ليس شيئا من كل ذلك، ولا تلك بمقتضياته أو حيثياته..

بل الخطاب مع الآخر في كل اهدافه وغاياته هو (اقناع).. وعليك افراغ الجهد والطاقة وصولا لهذه الغاية النبيلة (الاقناع).. هذا بطبيعة الحال اذا كان ما نقوله هو (الحق) الذي تسنده كل مقومات الحق.

وفي هذا الحال يكون الطرف الآخر المحاور لك:

إما انه قد دخل الحوار معك بنفس منهجيتك وغايتك النبيلة، وهنا يكون الحوار حواراً حضاريا عاقلا بنّاء للطرفين..

وإما أن يكون قد دخل الحوار معك لاهداف وغايات غير تلك، وحينئذ فَقَدْ فُقدَ القاسم المشترك بينكما، وعندئذ يكون (السكوت من ذهب)..

ويؤكد صدقية (الغاية النبيلة) في الحوار مع الآخر قول الحق سبحانه وتعالى ﴿ولو كُنْتَ فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾ (سورة آل عمران آية/ ١٥٩) ونلحظ في الآية

الكريمة انها قد اشارت الى ضرورة استصحاب (القلب) الذي هو مكان الرحمة والرأفة والمودة، استصحابه مع (رجاحة العقل) و(منطقية الحجة).. أي ان (المحاوِر) يرجو ويتمنى الخير من أعماق قلبه لـ (المحاوَر).

وسيدنا رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ كان يجادل ويحاور غلاظ الكفار والمشركين وعتاتهم، بل كان يحاور أشدّهم عليه غلظة وايذاء، وكان يرجو اسلامهم، لا لشيء إلا لانقاذهم من النار.. لم يستخدم معهم أسلوب (إما أن تكن معنا أو أنت إذن ضدنا!!!).. بل كان يحاول إنقاذهم من شرور أنفسهم..

وذاك فرعون بكل جبروته وطغيانه يقول الحق سبحانه وتعالى لسيدنا موسى وهارون: ﴿اذهبا الى فرعون انه طغى * فقولا له قولا ليِّناً لعله يتذكر أو يخشى﴾ (سورة طه آية/ ٤٣، ٤٤).

قُولا قَوْلا (لينا) لفرعون، ذاك الطاغية المتجبر..

تلك اذن، اهداف (الحوار النبيل) وغاياته.. وهذا ما نود أن يَسُود بيننا..

نحاور لبلوغ غاية اسمى وأنبل وأرقى..

لا نحاور من أجل غلبة الآخر أو تجهيله، أو لمجرد تسجيل موقف.. وهذا مالا نوده.

أقول ما أقول وعينَيَّ وخاطرى، وكل جوارحي على ما يجري في محيطنا العربي اليوم، طرف يخاطب الآخرين (وهم اخوته في العقيدة واللغة والوطن والدم) يخاطبهم وكأنه في (الجنة) وكأنهم في (النار).. وتلك قناعة نحتها نحتا في أعماقه وعمل بها.

والسؤال المحتم هنا، كيف التعامل مع هؤلاء..؟!!

هل هو الاقصاء..؟ ام المحاولة تلو المحاولة لعلها تجدي..؟ مع الأخذ بالحيطة والحذر.. حقيقةً الأمر في غاية الدقة.

الوطن أمانة في عنق الجميع، الجميع في كل أطيافهم وتوجهاتهم (علماء الدين ـ المفكرون ـ الادباء ـ المثقفون).. كل الجميع: الحاكم والمحكوم.

مؤتمرات

مؤسسة الفكر العربي:
العرب بين ثقافة التغيير وتغيير الثقافة




سبق لـ (مؤسسة الفكر العربي) ان عقدت مؤتمرها الأول في مدينة القاهرة، وعقدت مؤتمرها الثاني في مدينة بيروت.. وهذا هو مؤتمرها الثالث منذ انشائها من قبل ثلاثة اعوام.. وقد عقد في مدينة مراكش في المملكة المغربية برعاية الملك محمد السادس.

الأمير خالد الفيصل

وجاء انعقاد هذا المؤتمر بعنوان (العرب بين ثقافة التغيير وتغيير الثقافة)..

وايحاءات هذا العنوان عديدة ومتشعبة، بل متداخلة في كل عطاءاتها ومدلولاتها ورموزها.

ومما يحسب ايجاباً لهذه المؤسسة الوليدة (مؤسسة الفكر العربي) أنها نشأت على الحيادية، إذ تقوم دراسات الدارسين فيها والباحثين والمفكرين والمثقفين بعامة على البحث الجاد في القضايا العربية في حيادية، تبتغي ابداء الرأي المدروس الناضج والدفع به لصناع القرار يستأنسون به باعتباره صادراً من جمهرة مثقفي الأمة.

وما نرجوه وما نتمناه حقيقة ألا يضيع هذا الجهد المقدر ادراج الرياح، وتبقى تلك الدراسات القيمة حبيسة الادراج لأي سبب من الاسباب.

بادية الإمارات.. بين فاعلية الوثيقة ومنطق الرواية

نظم مركز الوثائق والبحوث بديوان رئاسة دولة الإمارات العربية المتحدة مؤتمراً علمياً وعالمياً متخصصاً في مدينة (أبو ظبي) في الفترة ٢/٢٦ ولغاية ٢/٣/٢٠٠٥م بعنوان «بادية الإمارات .. بين فاعلية الوثيقة ومنطق الرواية» وكان هذا المؤتمر بغرض دراسة بادية الإمارات، وذلك في توجه علمي متميز يبرز معالم البادية قديماً وحديثاً باعتبارها موئل تاريخنا وموطن أجدادنا.

إقامة هذا المؤتمر تخدم قضية الاندفاع الحضاري لدولة الإمارات العربية المتحدة وشعبها، ويعتبر أول حدث علمي يتناول بالبحث التفصيلي الحياة في البادية ومدى تأثيرها في نمط الحياة المعاصرة في دولة الإمارات العربية المتحدة، وتأثرها به، من خلال عدة محاور غطت مجمل مظاهر الحياة البدوية وهي:

- المناحي الثقافية لبادية الإمارات.
- السياسة في بادية الإمارات .
- مجتمع البادية .
- معالم الحياة الاقتصادية في بادية الإمارات .

وشارك في هذا المؤتمر اكثر من مائتي عالم وباحث من الامارات العربية المتحدة ودول الخليج العربي، والدول العربية، ودول العالم.

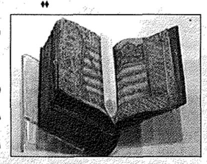
متاحف

اصغر نسخة من المصحف في الصين

افادت وكالة انباء الصين الجديدة انه تم الاعتراف بنسخة عن القرآن محفوظة في متحف بشمال غرب الصين على انها اصغر مصحف في العالم.

واوضحت الوكالة الصينية الرسمية ان هذا المصحف الذي يزن ١ر١ غراما يبلغ طوله ١٫٩٦ سم وعرضه ٣٢ر١ سم وسماكته ٦١ر٠سم وهو مخطوط باللغة العربية.

وهذه النسخة محفوظة في متحف نينغكسيا وهي منطقة خاضعة لحكم ذاتي في شمال غرب الصين



ويعيش فيها العديد من المسلمين الصينيين المعروفين باسم «هوي» وقال امين المتحف هي كسينيو انها نسخة كاملة من القرآن ولا يمكن قراءتها الا بواسطة المجهر.

واضاف ان الكتاب نقله مسلم صيني من السعودية لدى عودته من الحج في مكة لكن اصله وتاريخه لا يزالان مجهولين.

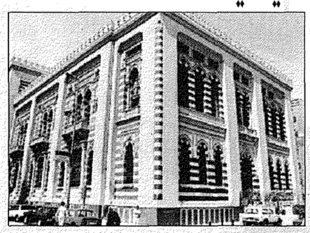
وهذه النسخة من القرآن هي ضمن مجموعة المتحف منذ ١٩٥٩ لكن سبق ان عرضت عدة مرات في اماكن اخرى.

مئوية المتحف الاسلامي في القاهرة

مع مطلع هذا العام يكون المتحف الاسلامي في القاهرة قد اكمل مئة عام منذ تأسيسه بفكرة من الخديوي اسماعيل.

هذا المتحف يعد واحداً من اعرق متاحف الفن الاسلامي، وقد أدى خلال قرن من عمره خدمات حضارية ثقافية كبيره، إذ استعان بمحتوياته مجموعة لا تحصى من الدارسين والباحثين في مجال (الفن الاسلامي) .. هذا اضافة لملايين الزوار للمتحف الذين افادوا منه، من كل الجنسيات على مستوى العالم.

محتويات المتحف تصل الى حوالى مئة ألف قطعة اثرية، منها قطع نادرة الوجود في المتاحف



المشابهة الأخرى.. ومحتويات المتحف جمعت من كثير من الدول الاسلامية والعربية، وهي تمثل في مجموعها (بانوراما) أثرية تمثل حضارات وفنون مختلف الدول الاسلامية.

معارض

معرض الكتاب العربي والدولي في بيروت

وسط احتفالية كبرى وحضور سياسي وإعلامي كثيف أقيم في بيروت معرضها للكتاب العربي والدولي في الفترة من ٢٠٠٤/١١/٢٧م وحتى ٢٠٠٤/١٢/١٢م.

ويعد هذا المعرض من المعارض الهامة والأساسية في الوطن العربي إذ يصل عدد دور النشر المشاركة فيه الى أكثر من ٢٠٠ دار نشر وتوزيع.

ولمعرض هذا العام في بيروت احتفاء خاص لاتفاق النادى الثقافى العربي ونقابة اتحاد الناشرين اللبنانيين على معرض واحد يليق ببيروت، ويوحد الجهود، ويوفر على الناشرين التكاليف.

وتعتبر لبنان من الدول التى بها عدد كبير من دور النشر التى يصدر عنها ما يزيد عن ٢٧٠٠ عنوان جديد كل عام أي ما يوازي ٣٠ في المئة من مجموع ما يصدر في الوطن العربي مجتمعا.. مما يساهم في اقامة معارض للكتاب.

وقد تم هذا العام توزيع جوائز لأفضل الكتب اخراجا ومنها كتاب «الأرض الملتهبة» تأليف دومينيك دوفيلبان وترجمة أدونيس والصادر عن دار النهار للنشر.

ويتميز معرض هذا العام بكثرة الندوات والمحاضرات والأمسيات الفنية والشعرية وتكريم بعض المفكرين والكتاب.

ومما هو جدير بالذكر أن معرض هذا العام هو المعرض الثامن والأربعون إذ سيكون الاحتفال باليوبيل الذهبي للمعرض بعد عامين بإذن الله.

الصحة

اليوم العالمى للقضاء على الايدز: الايــ

نعم.. الايدز حرب ابادة جماعية طوعية.. (٢٨ مليون انسان) هلكوا بسبب الايدز، برغم ان (الايدز) هو الموت المحقق، نجد أناسا يسوقون أنفسهم إليه سوقا بكامل إرادتهم.. هل هي الرغبة في الانتحار أم أن أنفسهم قد أصبحت من الضعف حتى جثت على ركبتيها أمام اهوائها ورغباتها الشيطانية..

(والنفس كالطفل ان تتركه شب على حبّ الرضاع وان تفطمه ينفطم)

وهؤلاء (المنتحرون بالايدز).. قاتلو أنفسهم بالايدز.. أو لنقل على سبيل التخفيف (مهلكو أنفسهم بالايدز).. غلبت عليهم أهواؤهم ورغباتهم واستسلموا للشيطان.. والنتيجة تدمير كامل للانسان..

الانسان: هذا الذي كرمه الله سبحانه وتعالى، وحمَّله الامانة.. ووكل له عمارة الارض.. كيف يعمر الأرض إذا لم يكن بكامل صحته وعافيته، وبكامل عقله ووجدانه.

وقضية (الايدز) لم تعد متعلقة بالشخص مرتكب الخطيئة بعينه، ولم يقف البلاء عنده وحده، بل تعداه إلى غيره: الى زوجته واولاده، واسرته.. بل الى المجتمع بكامله..

القراءة .. والاتصالات العصبية

أكد العلماء في كلية الطب بجامعة ييل الأمريكية، وجود علاقة قوية بين القراءة والمطالعة المكثفة وقدرة الدماغ على إنشاء ترابطات واتصالات عصبية جديدة تحسن المهارات الذهنية والوظائف الإدراكية عند الإنسان.

وأظهرت الصور الشعاعية والرنين المغناطيسي لأدمغة عدد من الأطفال، وجود تحسن دائم في القراءة بعد إخضاعهم لبرامج قراءة ومطالعة مكثفة.

ووجد الباحثون بعد متابعة ٧٧ من طلاب المدارس، تراوحت أعمارهم بين ٦ ـ ٩ سنوات، كان ٤٩ منهم من ضعاف القراءة، أن هؤلاء الضعفاء وصلوا إلى مستوى الآخرين من زملائهم بعد إكمال تلك البرامج وذلك بسبب حدوث تغير فسيولوجي في أدمغة هؤلاء الطلاب.

ولاحظ الخبراء أن الطلاب الذين خضعوا لبرامج قراءة مكثفة لم يتحسن أداؤهم وحسب، بل أظهروا تغيرات كبيرة في أنماط أدمغتهم. حيث نشأت طرق كيماوية وعصبية جديدة ساعدت في تقوية مهارات القراءة والتركيز لديهم.

(ميدل ايست او نلاين)

ـدز .. الإبادة الطوعيه !!!

هذا الداء العضال (الايدز) ينتقل الى الآخرين بمجموعة من الوسائل والمسببات: ينتقل الى الزوجة بالاتصال، وبالتالي ينتقل الى الجنين المتكون في رحمها .. ترى ما ذنب هؤلاء..؟!

ينتقل الى الآخرين بنقل الدم الملوث، وبالحقن الملوثة، وبغير هذه وتلك..!

الاحصاءات مخيفة.. نعم مخيفة.. وما من هيئة أو منظمة أو جمعية، إلا وحذرت عن هذا الداء القاتل، ما من طبيب أو عالم أو شاعر إلا وحذروا عن هذا الداء القاتل.

لنقرأ بعض الاحصاءات ، لعلنا نعتبر :

- (٦ آلاف) طفل وشاب في العالم يتعرضون (يومياً) للاصابة بالايدز.. معظمهم من الفتيات.
- (٤٢ مليون) اصابة بالايدز على مستوى العالم.
- (٢٨ مليون) ماتوا بسبب الايدز .. (أليس الايدز حرب ابادة جماعية طوعية).
- (١٤ ألف) حالة عدوى بالايدز يوميا.
- (ملايين الاطفال) يتامى بدون عائل بسبب موت آبائهم بالايدز.
- (٥٨ ألف نسمة) قضوا بسبب الايدز في الشرق الاوسط.

في العالم العربي :

النظام العالمي الجديد

منذ الحرب الباردة بين أمريكا وروسيا دفع الكتاب في كل من أمريكا بخاصة وأوروبا بعامة عقيرتهم بضرورة قيام عالم جديد ينصهر جميعه في فكر واحد، وثقافة واحدة، وتوجه واحد.. بل اجهدوا أنفسهم على صياغة ما يشبه الدستور المرتجى الذي يحكم كل العالم، بل يتحاكم اليه كل العالم..

وهذا (النظام العالمي الجديد) المبتغى هو نظام الدولة الغالبة المهيمنة الآن على كل العالم.

أولئك المفكرون والكتاب نسوا أو تناسوا الفوارق الدينية والثقافية والحضارية بين كل دول العالم.. أو انهم - أى أولئك المنظرون للعالم الجديد - يودون الغاء كل تلك الفوارق بين الشعوب، حتى يُصهروا العالم قوة وعنوة في هذه الصياغات الجديدة، وهذا مالا يمكن تصوره عملياً..

(المسلم ، النصراني، اليهودي، البوذي، العلماني، الوثني، الصابىء... الخ) كيف تطلب من كل تلك الثقافات المتباينة أن تنصهر في ثقافة واحدة..؟!!

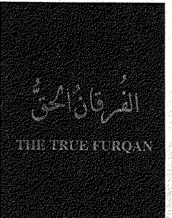
هذا مالا يمكن تصوره..

أمريكا تريد من كل العالم ان يسير على سيرها..!!

من أجل هذا، أنشأت الجمعيات والمؤسسات والهيئات والمراكز والمعاهد، في كل انحاء العالم، لتبشر بـ (النظام العالمي الجديد).

بل انفقت، ولا تزال تنفق مئات الملايين على المحاضرات والندوات واللقاءات والمؤتمرات، على مستوى العالم كله..

«مؤتمر المرأ ة والطفل.. المرأة والأسرة.. تعديل قوانين الاحوال الشخصية في العالم الاسلامي .. الغاء عقوبة القتل .. مؤتمرات حوار الاديان والثقافات، ثم يأتي اخيراً مؤتمر توحيد الأديان»..



غلاف الكتاب

والمستهدف في كل هذا هو الاسلام..

وهذا الاخير (توحيد الاديان) عمل خبيث يقصد به الغاء الدين الاسلامي في كل تعاليمه - ان استطاعوا - وادماجه في توراتهم وأناجيلهم المحرفة أصلا..؟!!

وهذا مالا قِبَلَ لهم به، لان هذا الدين الحنيف (الاسلام) محفوظ بحفظ الله له سبحانه وتعالى..

وكخطوة في تنفيذ باطلهم هذا، نشروا كتاباً أسموه (الفرقان الحق).. زاعمين انه لكل إنسان بحاجة الى النور، بدون تمييز لعنصره أو لونه أو جنسه أو أمته أو دينه.. هكذا، يسعون بكل جهدهم ان يكون هذا (الفرقان) المفترى، منهج كل أناس العالم.. هو خليط عجيب غريب في مضمونه

واسلوبه وتركيب جمله، خليط من كل كتبهم المحرفة.. اسموا ما فيه سوراً، ومن أسماء تلك السور المفتريات المكذوبة (الفاتحة - المحبة - المسيح - الثالوث - المارقين - الرعاة - الانجيل - الاساطير - الكافرين - التنزيل - الجنة - الاضحى - العبس - الشهيد - الصلب - الماكرين..) الى آخر تلك الاكاذيب والأضاليل.. وقد ترجم هذا المسخ الى اللغة العربية امعاناً في الاضلال..

هذا (الفرقان) المزعوم هو رسالة (النظام العالمى الجديد) للعالم الاسلامي بأسره.. واذا ما اضفنا هذا الى مجموع الدعوات المتكررة من قبل امريكا لـ (تغيير المناهج التعليمية) أو تعديلها في العالم الاسلامي، نعلم يقينا طبيعة هذا (النظام العالمي الجديد) على اقل تقدير في اطاره (الدينى والثقافي والاجتماعي).. اما في الاطار السياسي فهذا شأن آخر، يسير في نفس التوجه العام لالغاء الآخر بكل ما لديه وما عنده.

وصدق الله العظيم **{ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتَّبع ملتهم}** (سورة البقرة آية/ ١٢٠).. **{يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله مُتم نوره ولو كره الكافرون}** (سورة الصف آية/ ٨).. صدق الله العظيم.. هذا تقرير الله فيهم، وهذا حكمه عليهم.

أبو أحمد - السودان

منتدى المنهل :

إشـــارة :

(منتدى المنهل).. مساحة عريضة حرة للمشاركة الثقافية والأدبية والفكرية من قبل قراء المنهل وأحبائها..

في كل عدد من أعدادها تطرح المنهل (محوراً) أو (عنواناً) له أهميته في الاوساط الثقافية والفكرية والعلمية والأدبية، وله دلالاته المعرفية، وتود المنهل من قرائها ومحبيها الاكارم المشاركة القلمية فيه بآرائهم وأفكارهم ومقترحاتهم.. وكان المحور الأول الذي ابتدأت به المنهل هذا (المنتدى) هو: (المجلات الثقافية والأدبية ودورها في الرقي بثقافة المجتمع)..

وكانت الاستجابة والمشاركة من (قراء المنهل) طيبة، اذ وردتنا مجموعة مقدرة من المشاركات القلمية..

وبعد عرضها على (اللجنة العلمية) في المجلة وقع الاختيار على هاتين المشاركتين المنشورتين في هذا العدد.. وهما لكل من: (د. هند محمد فرحان.. ومحمد عبد الفتاح محمد التلباني).. وسوف ترسل المنهل المكافأة التشجيعية للمشاركين الفائزين على عنوانيهما.

ويلحظ المتابع في هاتين المشاركتين اختلافهما في الرأي، ولا شك ان هذا يمثل اثراء، وتوسعاً، لأن كل واحد منهما قد نظر لـ (المجلات) من زاوية تختلف عن زاوية الآخر.

ونكرر أن هذا (المنتدى) مساحة حرة للمشاركة..

و(منتدى المنهل) إذ يشكر للجميع بدون استثناء هذه المشاركة الفاعلة القيمة، فانه يرجو ويأمل ان يكون هذا العمل بداية تواصل دائم ومستمر، ومرحبا بكل أقلام أحبائنا.

والآن ندعوا الجميع للمشاركة في المحور الثاني من محاور هذا المنتدى، وهو بعنوان (الانترنيت صرعة ثقافية.. أم ثقافة حتمية).. وهو منشور بكل تفاصيله في العدد رقم (٥٩٣) لشهري رمضان وشوال ١٤٢٥هـ/ ص١١٧.. ونكرر بالغ سعادتنا بكم جميعا وبتواصلكم الثقافي والفكري مع مجلتكم المنهل بعامة.. و(منتدى المنهل) بخاصة.

- المنتدى -

منتدى المنهل :

المجلات الثقافية والأدبية ودورها في الرقي بثقافة المجتمع

تعتبر الحركة الأدبية الثقافية في وطننا العربي على امتداد أرجائه مختلفة عن الماضي لضعفها - على الرغم - من تطور التكنولوجيا التقنية المعاصرة في الطباعة ووسائل الاتصال المتنوعة بل ودخول عالم المعرفة المفتوح على الجميع (الانترنت) وذلك يرجع الى ضعف المستوى الثقافي لدى بعض الكتاب والمفكرين عن السابق بالاضافة الى السرعة المتلاحقة في اعداد الموضوعات مجاراة لعصر السرعة وملء الكم الوفير من الصحف والمجلات الثقافية بالغث والثمين على حد سواء.

صحيح أن نسبة انتشار المجلات والدوريات الثقافية والأدبية قد ازداد عما سبق إلا أن العبرة بالكيف لا بالكم، ولترجع بنا الذاكرة إلى عقود سابقة أيام أن كانت المجلات الثقافية المنشورة والمتداولة في وطننا العربي قليلة العدد إلا أنها كان لها وقعها الكبير وتأثيرها العظيم على ثقافة ووعي الجيل السابق.

ومما زاد الأمر تعقيدا لدى القارىء العربي الناشيء وجود الاعلام المرئي واتساع آفاقه وتنوعه مما أثر سلبا على قيمة المجلات الثقافية والأدبية خصوصا إذ التفت الناشئة الى الأمر السهل المشاهد المصبوغ بصبغة (الترفيه والتسلية) وترك المجلات التى تحتاج الى جهد في ثمن الشراء وجهد أكبر في المطالعة مما جعل البعض يقول إن ثقافة المجتمع اليوم وخاصة الشباب منهم هي (ثقافة تليفزيونية) يقومون بتقليد كل ما فيها حتى حديثهم الذى أصبح منصبا على حوار شاهدوه في التلفاز، وفي هذا خطر عميم وداء أليم إن لم تستطع المجلات والدوريات الثقافية تدارك أمرها وتحسن من موضوعاتها لتجذب الشباب (خاصة) والقارئين عموما اليها كسابق عهدها.

والمتتبع للدور الجاد والفعال للمجلات الثقافية منذ سنين قليلة يجد أنها كانت تصبغ القارىء بصبغة ثقافية وعلمية نجد أثرها في مجتمعاتنا العربية عامة فكان بها من الأفكار النيرة والموضوعات الجادة ما يغني القارىء عن أي مصدر معلوماتي آخر وكان القارىء في شوق دائم وتلهف للاطلاع والقراءة ومتابعة الموضوعات وتحليلها من مراجعها الأصلية.

وكانت المجلات الأدبية الرصينة فى سابق عهدها تعتمد على كبار الكتاب والمفكرين الذين يصيغون الفكر للمواطن العربي ويعملون على نشر الفضيلة والعفة والطهارة بين أبناء المجتمع مما ينعكس إيجابا على سلوكياتهم ويقدمون أفضل ما عندهم لمجتمعهم ولوطنهم.

كما كانت المجلات الثقافية والأدبية خاصة تساهم في تشجيع المبتدئين وتعمل على صقلهم بالمعرفة وتساعدهم في نشر بواكير انتاجهم العلمي والأدبي ليصبحوا في القريب كتابا ومفكرين يعتمد عليهم الوطن والمجتمع.

واليوم : لم يعد من تلك المجلات والدوريات المحافظة على هذا النهج إلا القليل وللأسف الشديد فقارئوها هم الصفوة والقلة من المثقفين وطلبة العلم المحافظين.

وإننى في هذا المقام أشدُّ على أيدى القائمين على أمر المجلات الثقافية والأدبية الجادة - ومنها (مجلة المنهل) - وأدعو الله لها بطول الأمد والاستمرارية على نهجها مهما كلفها ذلك فهي بصيص النور والأمل لأجيال قادمة - بإذن الله - تهفوا إلى المعرفة الرصينة والثقافة الأصيلة وأدعو الآخرين الى توخي مظان المعرفة الجادة والبعد عن الثقافة الباهتة فلن يبقى إلا ما ينفع الناس.

{فأمَّا الزَّبدُ فيذهبُ جُفاءً وأمَّا ما ينفَعُ النَّاسَ فيمكُثُ في الأرض} (سورة الرعد آية/١٧)٠صدق الله العظيم٠٠

د٠ هند محمد فرحان ـ سلطنة عمان

منتدى المنهل :

المجلات الثقافية والأدبية ودورها فى الرقى بثقافة المجتمع

ما من ريب في أن وطننا العربي يحظى بتراث ثقافى وأدبى خاص وله حركته الأدبية المتجددة والمتزايدة باستمرار وعلى مر العصور.

ذلك التراث وتلك الحركة المستمدة من تاريخه الطويل وحضاراته العظيمة التى كانت بمثابة المشكاة التى أنارت أركان العالم شرقاً وغرباً، شمالا وجنوباً.

والحقيقة أن الحركة الأدبية في العالم العربي، جيدة، وماضية في جودتها قدماً، فيكفينا فخراً هذا الزخم الكبير من الكتب والمجلات الثقافية والأدبية التى عنت بالقديم وتوقيره والجديد وإظهاره في أبهى صورة، إنها حركة ثقافية بناءه ومعطاءه.

ويكفى أن الأقلام الشابة الجادة تجد مكانها جنبا إلى جنب مع أقلام الكتاب القدامى العظام، داخل المجلة الواحدة، وهذه ميزة رائعة تنفرد بها المجلة - كمصدر ثقافى أدبى - عن باقى الوسائل الثقافية الأخرى. والحقيقة أننى لمست ذلك جلياً في مجلة «المنهل».

نعم إن للتكنولوجيا الحديثة والمعاصرة دورها الهام المبهر في مجال الأدب والثقافة، ولكن يبقى السؤال الهام، هل التكنولوجيا الحديثة والمعاصرة «مثل التليفزيون والكمبيوتر» وبالرغم من آثارهما الشديدة على الحياة الثقافية المعاصرة - قلصت دور المجلة الثقافية والأدبية؟.

والإجابة (لا): وذلك لعدة أسباب منها.

١ - التنوع الشديد والجذاب في موضوعات المجلة الواحدة بين عدد من الأوراق المحدودة والذى يعد بحق وجبة أدبية ثقافية رائعة.

٢ - الإعمال العقلى للقارىء أثناء تناوله للموضوع، فأنا أتمتع في آن واحد بروعة القراءة، ورحلة التفكير العقلى أثناء القراءة، هذا فضلا عن الاكتساب المعلوماتى الغزير.

٣ - الشعور بعدم الملل، فأنا أمام التليفزيون والكمبيوتر، قد يصيبنى في كثير من الأحيان الملل والسأم والضيق وعدم الصبر للوقوف على برنامج واحد فتجدنى وبطريقة لا شعورية أحياناً أغير القناة، أو البرنامج وإذا سألتنى لماذا؟ أجيبك بكلمة واحدة «الملل» ولكن لا أشعر بذلك مع موضوع المجلة وذلك لأن عقلى كما قلت يكون في رحلة تفكيرية عقلية رائعة.

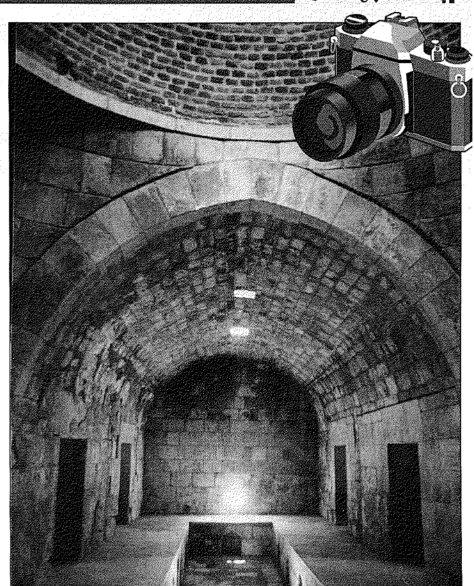
٤ - وتأتى روعة المجلة ومحبة تصفحها - وقد يكون سبباً غير مباشر - هو تنوع الخطوط، وزهوتها، واختلاف ألوانها ورونقها، هذا فضلا عن الصور الجميلة المصاحبة للموضوع والتى قد تلفت نظرى أحياناً وتجذبنى نحو الموضوع لأنها وباختصار قد تكون فجرت داخلى شعوراً حانياً، أو ذكرى جميلة في حياتى، هل نجد هذا التواصل بين القراءة، والصورة والشعور والإحساس، والعقل في أى وسيلة أخرى غير المجلة الهادفة الجادة؟ اعتقد لا ... ولا حتى في الوسائل الحديثة والمعاصرة.

٥ - وفي المجلة الأدبية والثقافية تستطيع أن تلتقى بكبار الكتاب القدامي والمحدثين هذا اللقاء الذى يتكرر وباستمرار فَيُحدثُ شيئاً من التواصل بين الأصالة والمعاصرة، فتجد نفسك أمام حقبتين مختلفتين، بثقافات فيها عبق التاريخ، وروعة الحديث الجديد، ولذلك تجد نفسك تخاطب الماضى والحاضر في آن واحد.

٦ - والجميل في المجلة أيضاً ما تتمتع به من تواصل بينها وبين القارىء ، فتجد أبواباً فيها على استعداد أن تنشر لك ما ترسله لها من (أدبيات ، وأشعار) ، إذا كانت جادة وهادفة، وهذا تواصل رائع يشعر المراسلين بالسعادة، فضلا عن التشجيع للمواهب الشابة الصاعدة الواعدة والتى قد تكون المجلة سبباً في تبوئهم مكانة أدبية مرموقة فيما بعد.

وهكذا نجد أن المجلة الأدبية والثقافية لها دورها الرائد في ثقافة وتثقيف المجتمع والرقى به.

محمد عبد الفتاح محمد التلباني - مصر



حمام القلعة

يعتبر الحمام من اهم محطات الحضارة الشرقية، وهو معلم بارز من معالم المدينة الاسلامية وسحر الشرق، وقد كان الحمام ولا يزال اشبه بالاساطير لجماله وآثاره، اضافة الى كونه مظهرا من مظاهر الطهارة التى تعد اساساً لحياة المسلم حيث لم يغفل علماء الاسلام امر الحمام بل وضعوا لدخوله آداباً خاصة تتصل بفضائل الدين الاسلامي الحنيف واغلبها توجب على صاحب الحمام اتباع شروط النظافة وكفالة امن وسلامة الزبائن والتزام الطهارة والبعد عن النجاسة ، كما اوجبوا على الرواد ايضا غض البصر وعدم كشف اجزاء الجسم وامروا بازالة التماثيل من الحمامات.

عبق التاريخ في الحمامات الدمشقية

قراءة عامة :

وذكر المؤرخون ان اقدم حمام في العصور الاسلامية هو حمام قصر الحير الشرقي في سورية الا أن آخرين يؤكدون أن حمام قصير في الاردن اكثر قدما اذ ينسب بناؤه الى الخليفة الاموى الوليد بن عبد الملك، ومن الحمامات القديمة ايضا حمام الصرح والمفجر في الاردن، وفي مدينة بصرى الشام في جنوب سورية هناك حمامات كثيرة وقديمة اشهرها الحمام الاسلامي قرب الجامع العمرى الذى يعود الى القرن الثاني عشر الميلادي.

اما حمامات العرب في الاندلس فحدث ولا حرج فهي آية من آيات الجمال في العمارة الاسلامية الاندلسية واشهرها حمام قصر الحمراء.

ويقول صاحب كتاب مطالع البدور انه (كان ببغداد خمسة الاف حمام) وقد ذكر المؤرخون أن عمرو بن العاص بعث الى الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه بكتاب يذكر فيه أن بالاسكندرية حوالي ٤٠٠٠ حمام ويتحدث المقريزي في تاريخه أنّ بالفسطاط ما يزيد عن ٣٦٥ حماما.

وقد لعب الحمام دورا اجتماعيا ودينيا وطبيا في حياة الناس، ففي الحياة الاجتماعية كانت المرأة تأتي الى الحمام ليلة الزفاف وكذلك بعد الولادة وختان الاطفال، واضافة للهدف الاساسي من الحمام وهو النظافة كان الحمام متعة ومنتدى للسمر وتبادل الاحاديث والتفاهم والتعاون كما كان مجلسا للصلح بين المتخاصمين أو المتخاصمات وفرصة طيبة لعقد البيع والشراء بين التجار من المستحمين وكانت الخاطبات تأتي الى الحمام لانتقاء العروس المناسبة.

كما كان للحمام دور طبي وعلاجي لمن يشكو من امراض المفاصل والروماتيزم وبعض الامراض الجلدية وغيرها من الامراض التى تعالج بالبخار والتدليك والماء الساخن وكان الاطباء ولا يزالون يصفون التردد على الحمام لبعض المرضى.

حمامات دمشق :

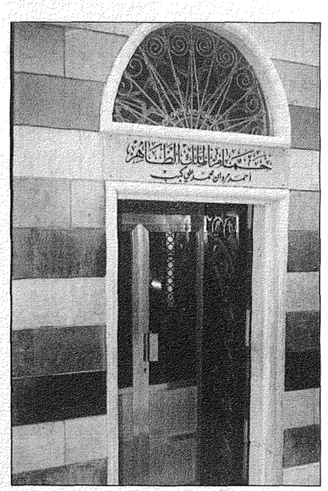
دمشق جنة الله في أرضه حباها بالموقع والمياه حيث الظل الظليل والماء السلسبيل المتدفق من بردي، وقد فاخرت دمشق بحماماتها منذ القدم سائر المدن الاسلامية فقد ذكر ابن عساكر في تاريخه لسنة ٥٧١هجرية ٥٧ حماما وكانت قد بلغت سنة ٧٢٦هـ حوالي ١٣٧ حماما حيث ذكرها بالتفصيل الاربلي في تاريخه كما ارخ لها ابن عبد الهادى سنة ٩٠٩هـ فبلغت ١٩٧ حماما، وقد صنف الاستاذ منير كيال كتابا خاصا بحمامات دمشق سنة ١٩٨٦م ومن اشهر الحمامات الدمشقية حمام الورد والملك الضاهر وحمام

ممدوح الزوبي

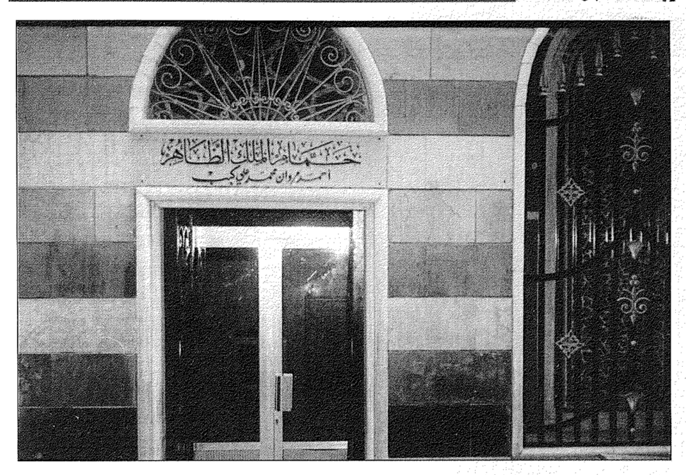
- سوريا -

نور الدين الشهيد والسلطان وقصر العظم والرفاعي والقيشاني وست الشام والصالحية والنوفرة وغيرها.

وقد كانت الحمامات الدمشقية مقسمة حسب الفئات والطبقات الاجتماعية فحمامات سوق ساروجة كما يقول محمد حمامي صاحب حمام نور الدين تخص كبار التجار والوجهاء والاعيان فيما كانت حمامات الميدان مخصصة للفلاحين وابناء الاحياء الفقيرة واقتصر حمام الراس على الحجاج والحمالين وبعض نزلاء خانات الميدان كما تخصص بعضها باستقبال الغرباء القادمين من مسافات بعيدة.



حمّام الملك الظاهر بعد تحديث واجهته



حمام الملك الظاهر الذي بني في القرن السادس عشر الميلادي

ومع مطلع هذا القرن بلغ عدد الحمامات التى اشتهرت بها دمشق سبعين حماما حسب احصاء المهندس الفرنسي ايكوشار وقد عمدت مديرية الآثار والمتاحف التابعة لوزارة الثقافة في سورية الى تسجيل تسعة حمامات في عداد المباني التاريخية كي تبقى نماذج تمثل مظهرا من مظاهر التراث الشامي وتقاليده وهي حمام نور الدين من القرن الثاني عشر وحمام الجوزه والسروجي من القرن الثالث عشر وحمام السلطان والزين من القرن الرابع عشر وحمام التيروزى من القرن الخامس عشر وحمام الرفاعي من القرن الثامن عشر.

حمام نور الدين :

ويعتبر هذا الحمام من اقدم الحمامات الدمشقية والتى ذكرها ابن عساكر وسجلته المديرية العامة للآثار والمتاحف للقرن الثاني عشر الميلادى حيث ينزل اليه الزبون بخمس درجات ليستقبله احد عمال الاستقبال ويتناول منه حذاءه ويعطيه قبقابا خشبيا ثم يرافقه الى احد الليوانين الموجودين في القسم الخارجي البراني ثم يساعده على خلع ملابسه ولف المناشف حول جسده وفي هذا الوقت يكون عامل آخر قد جاء بكأس من الشاي الساخن يشربه الزبون قبل الدخول الى القسم الوسطاني من الحمام.

ويقسم الحمام بشكل عام الى ثلاثة اقسام البراني والوسطاني والجواني ويكون البراني الاكثر برودة بين الاقسام الثلاثة حيث يتكون من باحة رباعية من الرخام المشقف الوردى اللون والجدران المطلية بالكلس الابيض والسقف العالي المزين بقبة نصف اسطوانية ذات قمريات زجاجية كما يزين بهو القسم البراني بحيرة من الرخام المطعم بزخارف نباتية وازهار جميلة وهذا القسم معد لاستقبال الرواد ووضع امتعة الحمام وادارته وجلوس الزبائن للاستراحة.

أما القسم الوسطاني فهو ذو حرارة متوسطة حيث يبقى الزبون فيه لمدة لا تتجاوز الربع ساعة فيستحم بالماء والصابون والهدف منه اثناء الدخول هو تحاشي حالات الغثيان التى قد تصيب الزبون اثناء الولوج من الجو البارد الى الجو الساخن أو حالات ضيق التنفس بسبب البخار الكثيف المنتشر في القسم الجواني حيث يدخله الزبون في المرحلة الثالثة ليتم الاستحمام والتدليك وتنظيف الجسد من ادرانه بكيس الحمام وأحيانا المعالجة في القسم الجانبي المسمى بيت النار.

ويتشابه القسم الوسطاني مع القسم الجواني من حيث البناء وانتشار الاجران وحنفيات المياه الساخنة والباردة والقبة التى تزينها القمريات المغلقة بالزجاج المحجر الملون لمنع الرؤية امام اصحاب النفوس الضعيفة الذين يصعدون الى سطح الحمام للتلصص على الزبائن.

الحمام والتقاليد :

هناك مناسبات خاصة لعب فيها الحمام دورا اساسيا في حياة الدمشقيين وهي الزواج والنفاس حيث كانت العائلات الموسرة تحجز الحمام كله في هذه المناسبات ومن خلال الحمام كانت الامهات تراقب الفتيات الجميلات دون تبرج أو زينة وبذلك كن قادرات على انتقاء العروس المناسبة لابنائهن .

ومن التقاليد الموروثة عند النساء اثناء الذهاب الى الحمام اصطحاب البقجة التي تحوى الملابس النظيفة والمناشف والكيس الذى بداخله طاسة الحمام والصابونة والليفة والترابة الطبية والمشط وكيس الحناء اذا كانت المرأة تريد صبغ شعرها بلون الحناء.

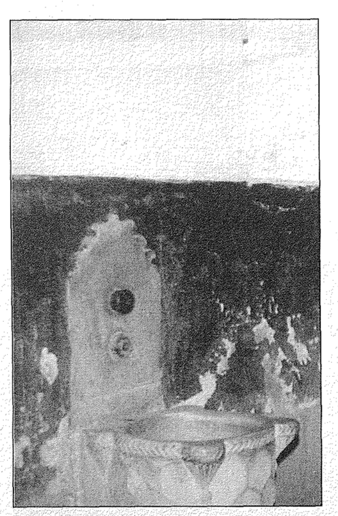
كما كانت المرأة بعد مرحلة النفاس تحضر الى الحمام لتقوم باجراء ما يسمى (بحمام الفسخ) وكانت تحضر معجونا خاصا يسمى (الشداد) ويتكون من الزنجبيل والدبس والاس والبيض وتدلك به جسدها للتخلص من ترهل الحمل والولادة وهي وصفة طبية عربية فعالة في مثل هذه الحالات.

وقد تحدثنا الى السيد (ابو حسن) مشرف حمام الجوزة الذى قال: و(أيام زمان كان كل شيء طبيعيا لذلك كانت الامراض نادرة جدا والناس يستخدمون الاعشاب الطبية والترابة الطبية وغيرها، والاهم من كل ذلك العلاقات الطيبة بين الناس).

ويضيف قائلا (كان الحمام يفتح ابوابه منذ الفجر حيث كان يستقبل الرجال حتى اذان الظهر بعد ذلك تتدفق النسوة مع اطفالهن).

اما زوجته السيدة خديجة التى تشرف على الحمام حين استحمام النساء فتقول (كانت المرأة تحمم اطفالها اولا ثم تستحم هي ثم تقضي اوقاتا جميلة في القاعة الرئيسية مع جيرانها وصديقاتها في الاكل والشرب والسمر).

وتضيف قائلة: (ان العادة كانت تقضي أن يأتي



القسم الوسطاني في حمام قصر العظم

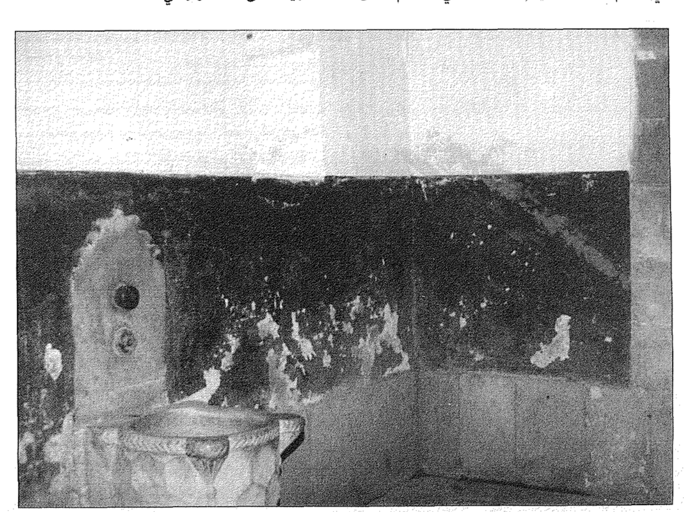
النساء يوم الخميس الى الحمام أما بقية ايام الاسبوع فكانت حركة العمل في الحمامات خفيفة جدا).

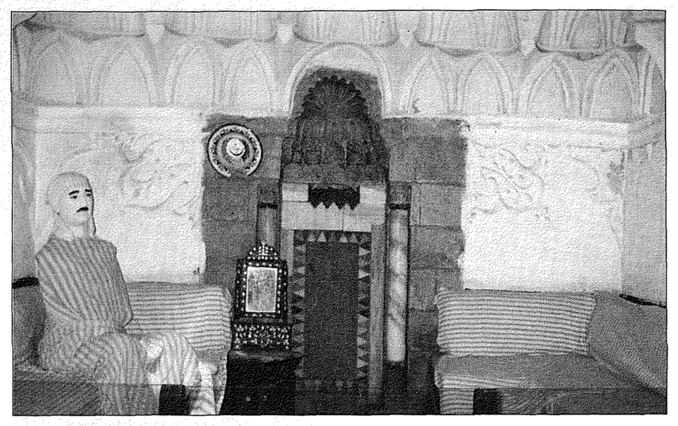
وعن طقوس استقبال العروس تقول السيدة خديجة: (عادة يحجز اهل العروس الحمام كله أو مقصورة كبيرة فتدعو العروس صديقاتها اللواتي يقمن بتسريحها والباسها الثياب الجميلة والجديدة وبعد الاستحمام يخرجن الى القسم البراني الذى يحوى بحرة كبيرة من نافورة تقذف المياه الى اعلى ويجلسن حولها وهن يرددن الاغاني والزغاريد).

ويعود ابو حسن ليقول لنا: (كان الاقبال على الحمام يزداد في الشتاء ويخف في الصيف نظرا للحرارة الكبيرة التى تنبعث منه حيث لا يستطيع المرء أن يجلس اكثر من ربع ساعة احيانا).

وعن اسلوب عمل الحمام يقول السيد ابو خليل في حمام الملك الظاهر: (كانت النار في الحمام تغذى بنشارة الخشب وفيما بعد تحولت الى المازوت وكذلك المياه كانت تأتي عبر الاقنية التى تتوزع من نهر بردى وفروعه فيما أصبحت تصل الى الحمام حالياً من شبكة المياه العامة).

ويضيف السيد أبو خليل قائلا: (كنا نجلب النشارة بواسطة الطنبر وهو عربة يشدها بغل أو حصان وكنا ندفع أجر ذلك ليرتين سوريتين فيما كنا نتقاضى من الزبائن اجرة التحميم عشرين قرشا.. أما الآن فالأسعار ارتفعت لتصل الى أربعين ليرة سورية للزبون الواحد كما اختلفت أسعار الكلفه.. وكما ذكرت لك آنفا فقد تحولنا في تسخين المياه الى الحراقات التى تعمل على المازوت وإضافة الى ذلك فإن الحمام غالبا ما يعمل حاليا بخسارة لأن الناس تحولت الى حماماتها الخاصة المنشأة في بيوتهم الا أن الدوائر المختصة تعوض لنا هذه الخسارة بهدف تشجيعنا على الاستمرار في أداء عملنا.





في القسم البراني من حمام متحف التقاليد الشعبية بدمشق

صور من الحمامات الدمشقية :

وتورد السيدة أم احمد بعض الصور من حمامات دمشق فتقول كثير من الناس لم يكن لديهم حمامات في بيوتهم وكانت الأم تضطر الى احضار أولادها جميعا ومن بينهم من تجاوز السابعة من عمره ولم يكن يسمح له بدخول الحمام مع النساء ولكن كانت الأم تلح على ادخاله معها فاقوم بتغطية وجهه بغطاء حتى يصل الى المقصورة فتقوم الأم بتحميمه ويخرج بنفس الطريقة الى الخارج وهو مغمض العينين.

اما السيد رشاد حمامي الذى يعمل في حمام نور الدين الشهيد فيقول أن اغلب زبائننا حاليا هم من الاجانب حيث يأتون للاستمتاع بعبق التاريخ من خلال الحمامات القديمة جدا وغالبا ما يقوم هؤلاء السياح بالتصوير داخل الحمام بالفيديو.

وللحمامات الدمشقية وجه آخر يختلف عن مساحات الفرح التي كانت توفرها الرحلة اليها، وجه يحمل شيئا من الرعب وخاصة ما يرتبط ببعض الاساطير المتعلقة بما كان يشاع حول اتخاذ الجان الحمامات مسكنا لهم.

ومما يروى في هذا الصدد أن اصحاب عرس حجزوا حماماً لاهل العروسين من النساء وعندما دخلت النساء وجدن الحمام فارغا تماما الا أنها لاحظت مظاهر تدل على أن اشخاصا كانوا يستحمون في الحمام فأصيب الحاضرون بالذعر وهربوا.

ويروى صاحب أحد الحمامات في هذا الصدد أن زبونا جاء اليه باكرا في احد الأيام وخلع ملابسه ودخل الى الداخل ليجد أن طاسة الحمام تتحرك بشكل عشوائي فخرج خائفا يصيح: الجان.. الجان، ويضيف صاحبنا فدخلت لاجد الطاسة مقلوبة وفي حالة حركة مستمرة فتناولت عصا وقلبتها لاجد في داخلها جرذاً يبدو أن الطاسة انقلبت عليه عندما حاول تسلقها ولم يستطع التخلص منها فبدأ يجرى يمنة ويسرة..



تعظيم شعائر الله فى الحج

قال الله جلّ جلاله: ﴿ولله على الناس حجُّ البيتَ من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين﴾ (آل عمران/ ٩٧).

وقال رب العزة سبحانه وتعالى: ﴿وأتمو الحجَّ والعمرة لله﴾ (البقرة/ ١٩٦).

وعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال: «بُني الإسلامُ على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وحج البيت»[١].

الحج ركن من أركان الإسلام الخمسة، وهو فرض على المستطيع، ولا يجبُ الحج إلا مرة واحدة في العمر؛ لأن الرسول الكريم محمدا {صلى الله عليه وسلم} لم يحج بعد فرض الحج إلا مرة واحدة،

وهي حجة الوداع.. فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: خطبنا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال: «يأيها الناس، إن الله كتب عليكم الحج فحجوا. فقال رجل: أكل عام يارسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثا ثم قال {صلى الله عليه وسلم} لو قلتُ نعم لوجبت، ولما استطعتم، ثم قال: ذروني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه»[٢].

خلقنا ربُّ العزة والجلال لعبادته، والعبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله تبارك وتعالى ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، فالصلاة والصيام، والزكاة، والحج، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهود، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد، والإحسان للجار واليتيم والمسكين وابن السبيل، والدعاء، والذكر وقراءة القرآن الكريم.. كل ذلك وأمثاله يطلق عليه اسم العبادة.

قال رب العزة والجلال: **{وما خلقتُ الجنّ والإنس إلا ليعبدون}** (الذاريات/ ٥٦).

وقال الله جل جلاله: **{قل يا عباد الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة وأرض الله واسعة إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب * قل إني أمرتُ أن أعبد الله مخلصاً له**

صلاح أحمد الطنوبى
- الرياض -

الدين * وأمرت لأن أكون أول المسلمين * قل إني أخافُ إن عصيتُ ربي عذاب يوم عظيم * قُل الله أعبُد مخلصا له ديني} (الزمر/ ١٠ ـ ١٤).

والحجُّ في الشريعة الإسلامية طريق إلى عبادة رب العزة والجلال، ويشتمل الحج الى بيت الله الحرام على مجموعة من الأعمال القولية والفعلية كالنية، وارتداء ملابس الإحرام، والطواف بالبيت العتيق، والسعي بين الصفا والمروة، والوقوف بعرفة، والمبيت بمزدلفة، وذكر الله تعالى عند المشعر الحرام، ورمي الجمار، والمبيت بمنى.. ونحر الهدي.

وفي فعل هذه المناسك انقياد لأمر المولى جل جلاله، وتقرب إلى الله عز وجل، وتجرد له في عبادته، وامتثال لهذه الأوامر التعبدية التى إن دل فعلها على شيء فإنما يدل على إخلاص العبادة لله جل ثناؤه.

والله تعالى أمرنا بالإخلاص.. قال الله تعالى: **{وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة}** (البينة/ ٥).

وقال رب العزة سبحانه وتعالى: **{ألا لله الدين الخالص}** (الزمر/ ٣).

وقال الله تعالى: **{قل أمر ربي بالقسط وأقيموا**

وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين} (الأعراف/ ٢٩).

ويُطلبُ من المسلم تعظيم شعائر الله تعالى.. قال الله تعالى: **{ومن يعظّم شعائر الله فإنها من تقوى القُلوب}** (الحج/ ٣٢).

وقال الله جل جلاله: **{ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه}** (الحج/ ٣٠).

وتعظيم حرمات الله تعالى يكون بتعظيم أمره، وتعظيم أمره يكون بترك مخالفته؛ لأن من طلب الرضا بغير رضا الله تعالى لا يصل الى القبول أو الرضوان.

والتقوى خير زاد لحجاج بيت الله الحرام.. قال الله تعالى: **{الحجُّ أشهر معلومات فمن فرض فيهنَّ الحج فلا رفث ولا فُسُوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمهُ الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب}** (البقرة/ ١٩٧).

والتقوى هي أساس كل خير، ومبعث كل إصلاح.. قال تعالى: **{ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسبُ}** (الطلاق/ ٣). وقال جل جلاله: **{ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً}** (الطلاق/ ٥).

ومكة المكرمة لها فضل عظيم، ولقد أخبر النبي {صلى الله عليه وسلم} عن مكة أنها أحب البلاد إليه، وإلي الله تعالى.. فعن عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال النبي {صلى الله عليه وسلم} لمكة: «ما أطيبك من بلد وأحبّك إليّ، ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنتُ غيرك»[٣].

وعن عبد الله بن عدي ـ رضي الله عنه ـ قال: رأيت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} واقفاً على الحزورة فقال: «والله إنك لخيرُ أرض الله، وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أني أُخرِجْتُ منك ما خرجتُ»[٤].

ومكة المكرمة حرم آمن.. فعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: «إن الله حرَّم مكة فلم تحل لأحد قبلي، ولا تحل لأحد بعدي، وإنما أحلّت لي ساعة من نهار[٥] لا يختلى خلاها[٦]، ولا يعضد شجرها[٧]، ولا ينفر صيدها، ولا تلتقط لقطتها[٨] إلا لمعرف.. وقال العباسُ: يارسول الله إلا الإذخر[٩] لصاغتنا وقبورنا.. فقال: إلا الإذخر[١٠].

ويحرم حمل السلاح بهذا البلد الأمين.. فعن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ أن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: «لا يحلُّ لأحدكم أن يحمل السلاح بمكة»[١١].

ومن فضائل مكة والمدينة عظم قدرهما وعلوّ مكانتهما.. فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: «لا تشدُّ الرحالُ إلا الى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى»[١٢].

ويعظم أجر الصلاة في هذه المساجد، فالصلاة في الحرم المكي تفضلُ على الصلاة في المسجد النبوي بمائة، بينما الصلاة في المسجد النبوي تفضل على الصلاة في سائر المساجد الأخرى بألف..

فليحرص حجاج البيت العتيق وعماره على عدم ركوب الخطايا والذنوب؛ لأن ذلك يورث مقت الله تبارك وتعالى.. ورب معصية تورث طرد العاصي من الحرم - والعياذ بالله تعالى - بل قد تكون سببا في غضب رب العزة سبحانه وتعالى؛ لأن الله تعالى يغار إذا انتهكت محارمه.

وليعتن الحجاج والعمار بنظافة الباطن من الغلّ والحسد والكبر والرياء والسمعة وحب الشهرة.. وعليهم المحافظة على نظافة الحرمين الشريفين؛ ليظهرا بالمظهر اللائق بهما. وهذا ما طلبه الله تعالى من إبراهيم واسماعيل - عليهما السلام.. قال عز وجل: **{وعهدنا إلى ابراهيم واسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود}** (البقرة/ ١٢٥)، وقال جل شأنه: **{وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود}** (الحج/ ٢٦)، وقال تعالى: **{لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحقُّ أن تقوم فيه فيه رجال يُحبُّون أن يَتَطَهَّروا والله يحبُّ المطَّهرين}** (التوبة/ ١٠٨).

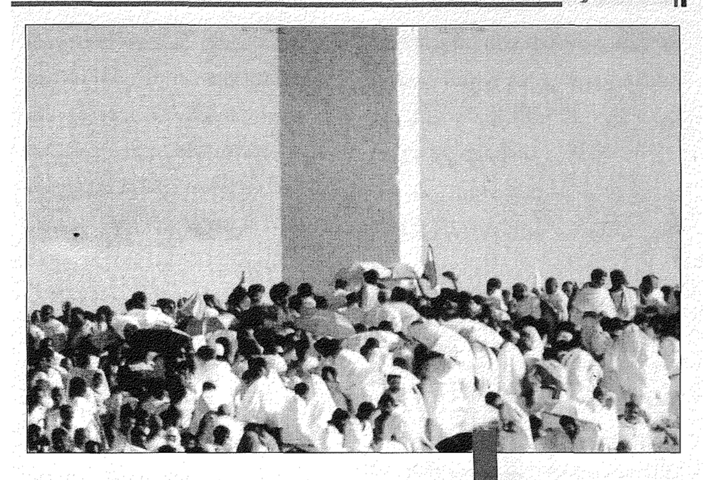
وأوصي حجاج وعمار بيت الله الحرام بألا يرفعوا أصواتهم، ولا يصخبوا، ولا يرفثوا، قال الله تعالى: **{الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله، وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب}** (البقرة/ ١٩٧).

وقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: «من حجَّ فلم يرفُثْ ولم يفْسُق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمُّه»[١٣].

هذا وبالله تعالى التوفيقُ والحمد لله على نعمة الإسلام، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأميّ وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيرا.

الهوامش :

(١) متفق عليه.
(٢) رواه الشيخان.
(٣) رواه الترمذي وحسّنه وابن حبان والحاكم.
(٤) رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه وغيرهم.
(٥) ساعة من نهار: هي التى تم فيها فتح مكة المكرمة.
(٦) الخلا : النبات الرطب كالحشيش ونحوه واختلاؤه: قطعه واحتشاشه.
(٧) يعضد : يقطع.
(٨) اللقطة : ما يعثر عليه من مال ضائع، والتقاطها: أخذها.
(٩) الإذخر : نبت طيب الرائحة يستعمل في إشعال النار وفي سد الفرج بين لبنات البناء وفي تسقيف البيوت.
(١٠) رواه البخاري.
(١١) رواه مسلم.
(١٢) متفق عليه.
(١٣) رواه البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة - رضي الله عنه -



عرفات

عـرفـات جـئنا وارتقـينا مـتنهُ

ويلهـفـة نحـو السـمـاء عـلابنا

ها نحن في عـرفـات ندعـوا ربنا

صلة السـمـاء بـأرضنا قـرُبت بنا

لذنا بجـبـار السـمـاء إلهنا

ليـغـيـثنا فـالظلم ملؤ رحـابنا

إنّا رفـعنا في رجـاء وجـهنا

وأكـفنا ندعـوك عـتق رقـابنا

يا قـادراً أسـبغ علينا قـدرة

نُرسي بهـا عـدلا يفى برغـابنا

محمد رائف فهمى المعرى
- القاهــرة -

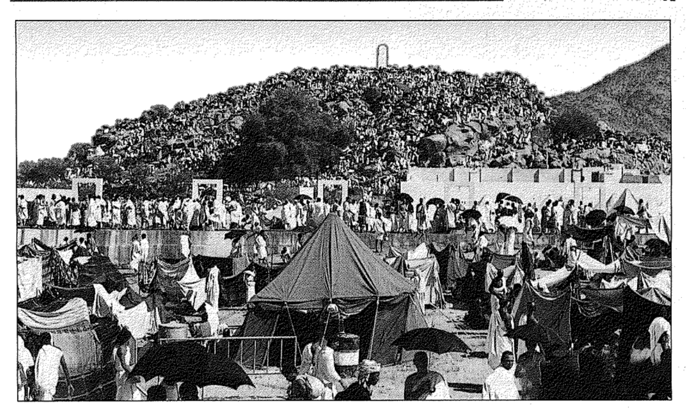
يا قـائمـا بالقسط لن ترضى لنا
إذلالنا، ومــحــمــد أوصى بنا
يا عـالماً بالحـال غـيِّـر حـالنا
ولقــد أنبنا فــالعــدو ببــابنا
نرجـوك نحن الواقــفين بيـومنا
عـفـواً ومـغـفـرة وحُـسْنَ مـآبنا
إنّا أتينـا مُــعلنين رُجــوعنا
عن غـيِّنا فـاقبل نصُوح مـتـابنا

* * *

ربّاه إنّـا أمــــة للحق ندعــــو
لا لشـــر بل لخـيــر شــعــوبنا
اعــداء دينك قــد بغــوا ياربنا
خـذهم، لكي لا يعبـثـوا بكتـابنا
يا ربنا ندعـوك فـانصــر جندنا
دوماً، لكي لا يشـمـتـوا بمصـابنا
وفُــجـاءة جــاء الـغـمــامُ بمُزْنة
أهدت لنا فـيض الرضـا من ربنا
فـاغـرورقت بالدمع ملؤ عـيـونُنا
فـالغـيث جـاء لغـسل كل ذنوبنا
فـتطهـرت منا الجـوانح سـرها
ودفـينُهـا فـيـمـا وراء إهابنا
رباه شكراً إذ غــفــرت ذنوبنا
وعــفـوت عن آثامنا بشـبـابنا

* * *

وتبـادر الحـجـاج فـازدلفـوا وقـد
جمعوا الجمار لرجم من أغرى بنا
خُـذل الغـرورُ فلم يكن ذا يومُـه
بل كـان هذا اليـوم يوم غـلابنا
عرفـاتُ يوم قـد مضى ليهل في
عــام جـديد رحــمــة من ربنا
فـاكـتبْ لنا يارب أقـرب عـودة
فـيـهـا نرى عرفـات في مـحـرابنا



الحج في أدب الرحلات

«مع الرحالة محمد أسد في رحلة الحج الى بيت الله الحرام» :

الحمد لله الذى فرض الحج الى البيت الحرام وشوق القلوب الى تلك المنازل والديار والبقاع المقدسة والصلاة والسلام على من طهر تلك الساحات المقدسة من شوائب الشرك والوثنية وأتم به مكارم الأخلاق، وبعد فإن الحج فريضة عظيمة أمر الله سبحانه بها عباده وكلفهم أداءها وأعد لهم جزيل الثواب وهو ركن من الإسلام.

وبمناسبة موسم الحج المبارك يطيب لي أن أتحدث عن الحج في أدب الرحلات فقد سطر الكثير من العلماء والأدباء والمؤرخين رحلاتهم فجسدوا بها أجمل المعاني وسطروها في كتب ومقالات تعد من مصادر الأدب والتاريخ.. وتضيف الكثير من المعلومات والأحداث وتقدم وصفاً للأماكن والمعالم والطرق والشخصيات، ولقد سجل رحالتنا الأستاذ محمد أسد الذي نستعرض اليوم رحلته الكثير من المعلومات.



عبدالله بن حمد الحقيل

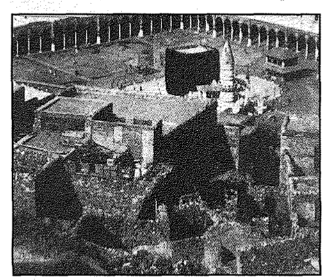
الرياض - السعودية

يقول عنه الدكتور عبد الوهاب عزام: «صحبته في سائر رحلته، من فلسطين الى سورية ومصر، وفي أسفاره في إيران وأفغانستان وباكستان.. وفيها المعجب وفيها المخيف من الحادثات، واستمعت إليه وهو يتحدث عن الملك عبد العزيز رحمه الله وثنائه عليه ومازلت مع أسد في بادية الحجاز وهو يحل ويرحل ويقص من سيرته عن سفره ومخاطرته في بلاد الإسلام ويبين كيف آثر الإسلام فَرَضيهُ دينا ودخل في أخوة المسلمين.. ويصف العرب في باديتهم فأستمع إليه يقول بعد الافاضة من الموقف العظيم وهو يدعو المسلمين الى التمسك بسنة نبيهم والاقتداء به ويحذرهم عاقبة التفريط والتقليد».. انتهى كلامه.

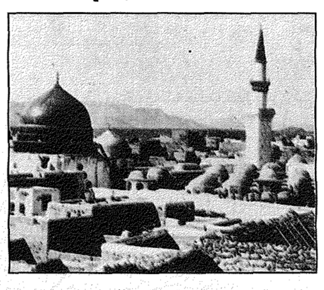
لقد استهل حديثه عن رحلته الى الحج في سنة ١٩٧٢م وقد بدأ رحلته من مصر الى جدة عبر البحر الذي يدعى بالأحمر دون أن يعرف أحد السبب في هذه التسمية، كما يقول، واصفا الطريق ورحلته بالباخرة حيث كانت مياه البحر الأحمر تكتنفها من الجانب الأيمن جبال القارة الإفريقية، ومن الجانب الأيسر جبال شبه جزيرة سيناء، وكلها سلاسل عارية، صخرية جرداء كانت تبتعد بعضها عن بعض، كلما تقدمنا، وتزداد اكفهرارا. وعندما أصبحنا في أواخر الأصيل، في عرض البحر الأحمر، أصبحت مياهه زرقاء كمياه البحر الأبيض المتوسط تحت لمسات الهواء العليل.

لم يكن في السفينة مسافرون غير الحجاج بحيث إن الباخرة قد ضاقت بهم، ذلك أن شركة البواخر، إذ كانت تحرص مدفوعة بجشعها ونهمها، على الاستفادة الى أبعد الحدود من موسم الحج القصير، قد حشرت المسافرين حشراً، ضاربة براحتهم ورفاهيتهم عرض الحائط.

لقد حشرتهم على السطح، وفي الغرف والممرات، والسلالم، وغرف الطعام من الدرجتين الأولى والثانية، والعنابر التى أفرغت من الحمولة لهذا الغرض وزودت بسلالم مؤقتة: وفي كل مكان أو زاوية توفرت لديها، وكان المسافرون في معظمهم حجاجاً قادمين من مصر وأفريقيا الشمالية، احتملوا بصبر عظيم كل ذلك الضيق واضعين نصب أعينهم هدف الرحلة من دون أي شيء آخر، دون تذمر أو شكوى.



صورة قديمة للحرم المكي



صورة قديمة للحرم النبوي

كل من قدر له أن يراهم كيف كانوا يجلسون القرفصاء على ألواح الخشب! جماعات متراصة، رجالا ونساء وأطفالا! وكيف كانوا يعدون طعامهم بصعوبة وعسر! (ذلك أن الشركة لم تكن لتقدم لهم أي طعام)، وكيف كانوا يسعون دائماً، جيئة وذهاباً، طلبا للماء في صفائح من تنك أو أوعية من الخيش! - وكل حركة من حركاتهم في هذا الخضم البشري عذاب مقيم - وكيف كانوا يزدحمون خمس مرات في اليوم حول حنفيات المياه للوضوء - التى لم يكن هنالك منها سوى عدد قليل جداً لمثل هذا الخلق العظيم - وكيف كانت أنفاسهم تضيق في هواء العنابر العميقة - طابقين تحت السطح - حيث تشحن البالات والصناديق في العادي من الأحوال.

إن كل من قدر له أن يرى ذلك لم يكن ليجد مفراً من إدراك قوة الإيمان التى كات تعمر صدور هؤلاء الحجاج. لم يكن يبدو عليهم أنهم كانوا يشعرون بما يقاسونه من آلام، ذلك أنهم كانوا مستغرقين الى أبعد حدود الاستغراق في التفكير في مكة المكرمة، ولم يكن لهم من حديث سوى حجهم.

والحق أن الانفعال الذى به كانوا يتطلعون الى مستقبلهم القريب قد أضاء منهم الوجوه، وكانت النسوة ينشدن معاً أناشيد المدينة المقدسة، ومرة بعد أخرى: «لبيك، اللهم، لبيك»!.

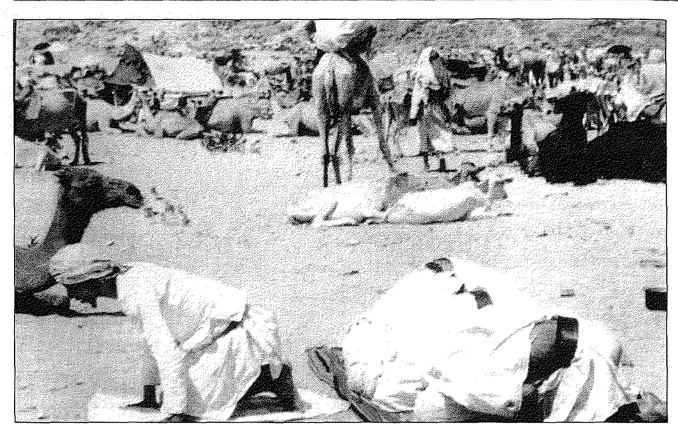
ويستمر في وصف رحلته عندما أقبل على رابغ قائلا :

وعند ظهر اليوم التالي تقريباً دوت صفارة الباخرة، دلالة على أننا وصلنا إلى رابغ، وهي ميناء صغير إلى الشمال من جدة. هنا ينبغي للحجاج القادمين من الشمال أن يطرحوا ثيابهم اليومية، وأن يضعوا على أجسامهم لباس الإحرام. أما السبب في هذا اللباس، وهو من تعاليم الرسول (صلى الله عليه وسلم) فهو أنه في إبان الحج يجب أن يتجرد كل زائر لبيت الله من كل شعور بالفرق بين الأمم والأجناس، أو بين الغني والفقير، والرفيع والوضيع، لكي يعلم الجميع أنهم إخوة سواسية أمام الله والناس. إذن فسريعاً ما اختفت جميع ألبسة الرجال الزاهية، ولم يعد باستطاعتك أن ترى الطرابيش التونسية الحمراء، أو البرانس المراكشية الفاخرة، أو جلابيات الفلاحين المصريين الكثيرة الزخرف: وفي كل مكان من حولك لم يكن هناك سوى هذا اللباس الأبيض المتواضع، مجرداً من أي زينة تتشح به الأجسام التى أخذت تمشي الآن بقدر أكبر من الاعتدال والعزة.

وفي فجر اليوم الثالث ألقت السفينة مراسيها عند شاطىء جزيرة العرب، ووقف معظمنا عند حاجز السفينة، وحدقوا بأبصارهم الى الأراضي التى كانت ترتفع ببطء من بين ضباب الصباح.

ولقد كان باستطاعة المرء أن يلمح في جميع الجهات أشباح سفن الحجاج وبينها وبين اليابسة أقلام صفراء فاقعة زمردية في الماء: شطوط مرجانية غائصة في الماء تؤلف جزءاً من تلك السلسلة الطويلة الممتدة أمام الشاطىء الشرقي من البحر الأحمر، ووراءنا، نحو الشرق، كان هناك شيء يشبه الكثيب، مسود ومنخفض، ولكن ما أن ارتفعت الشمس من ورائه حتى انقلب الى بلدة عن البحر، تزداد بيوتها ارتفاعاً من طرفها الى وسطها فتشكل بناء دقيقاً من الأحجار المرجانية الحمراء والصفراء الداكنة: ميناء جدة، وشيئاً فشيئاً أصبح باستطاعتك أن تميز النوافذ المنقوشة والمشبكة، وستائر الشرفات الخشبية التى خلع عليها الهواء الرطب على مر السنين لوناً أخضر داكناً، وفي الوسط برزت منارة بيضاء مستقيمة كإصبع منتصبة.

ومرة أخرى ارتفعت صيحة «لبيك، اللهم، لبيك» صيحة سرور من التسليم والاندفاع انطلقت من الحجاج المتحمسين في لباس الإحرام الأبيض على ظهر السفينة فوق المياه الى أرض أمانيهم القصوى.



صورة قديمة لقافلة الحجيج

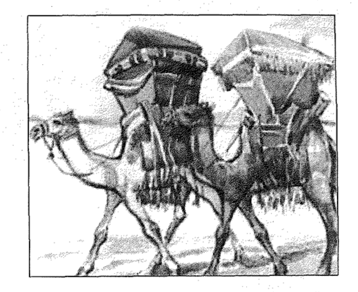
أمانيهم هم، وأمانيَّ أنا: ذلك أن منظر شاطىء الجزيرة العربية؛ كان بالنسبة إليّ، ذروة سنوات من البحث.

ومن ثم رأينا جيشاً من الأجنحة البيضاء تندفع نحونا من البر: الزوارق العربية التى مخرت بأشرعتها المياه الهادئة، وشقت طريقها بصمت بين الشواطىء المرجانية غير المنظورة - أول رسل جزيرة العرب، مستعدة لاستقبالنا. وإذ اقتربت رويداً رويداً من السفينة لتزدحم آخر الأمر سواريها المتمايلة الى جانبها، انطوت أشرعتها الواحد تلو الآخر كأنها أجنحة طيور تصفق فرحاً بعثورها على الطعام، وانبعث من صمت اللحظة المنصرمة صراخ وصياح من وسطها، صياح الملاحين الذين أخذوا يقفزون من زورق الى زورق واندفعوا الى سلم السفينة..

ويستمر في وصف مياه البحر المرجاني والمشاعر والأحاسيس وعن رحلاته الى إيران ومصر وبلدان أوروبا والبحار التى جابها.. ثم يقول: إلا أن جزيرة العرب قد دللت على نفسها من بعد بسمائها الفولاذية، وكثبانها الرملية العارية وتلالها الصخرية نحو الشرق، وفي تلك النفحة من العظمة وذلك الجدب العاري، اللذين يمتزجان دائما، ذلك الامتزاج الغريب في جزيرة العرب.

ثم أفاض في الحديث عن رحلته وترجمة ما فيها من مشاهد حيث يقول:

وفي أصيل اليوم التالي سارت قافلتنا في طريق مكة، تتلوى بين جماهير الحجاج، والبدو، والجمال التى تعلوها الهوادج، والهجن، والحمير بحلاها الزاهية، نحو الباب الشرقي. وكانت السيارات تمر بنا بين حين وآخر، الأولى تحمل الحجاج وتزعق أبواقها مبددة



صمت المكان. وقد بدا لي أن الإبل كانت شاعرة بأن السيارات عدوة لها، ذلك أنها كانت تجفل كلما اقتربت منها سيارة، وتدير رؤوسها باحتداد وغيظ نحو جدران المنازل، وتحرك أعناقها ذات اليمين وذات اليسار، وقد بدا عليها الاضطراب واليأس. لقد كان هنالك زمن جديد يقترب مهدداً تلك الحيوانات الشامخة الصابرة، فيملأها خوفاً وتشاؤماً.

ثم أخذ في وصف مشارف جدة ومعالمها بعد مغادرتها:

خلّفنا وراءنا أسوار جدة البيضاء، ووجدنا أنفسنا فجأة في الصحراء - في سهل عريض أشهب متوحد منقط بالعليق الشائك والحشائش والتلال المنخفضة المعزولة التى كانت ترتفع منه جزر في البحر، مصونة من الشرق بسلاسل صخرية أكثر ارتفاعاً بعض الشيء، جرداء لا أثر فيها لأي حياة، وفوق ذلك السهل المهيب كله كانت القوافل تشق طريقها بعناء وفي مواكب طويلة، مئات وألوف من الجمال - واحداً بعد آخر في صف واحد، محملة بالهوادج والحجاج والأمتعة، تختفي أحياناً وراء التلال لتظهر مرة أخرى، وبصورة تدريجية التقت مسالكها في طريق رملي واحد اختطته قوافل مماثلة عبر قرن متطاولة.

وفي صمت الصحراء الذى كان يتخلله وقع خفوف الجمال، ونداءات سائقيها البدو بين حين وآخر.

كان معظم الحجاج يركبون الهوادج - أي هودجين على كل مطية واحدة - وكانت حركة المطايا اللفافة تصيب الإنسان بالدوار وكان التعب يأخذ من أحدنا كل مأخذ فيغفو بضع لحظات ليصحو على رجة مفاجئة، ثم يغفو ثانية، ليستيقظ كرة أخرى. ومن آن إلى آخر كان سائقو الجمال، الذين كانوا يرافقون القافلة مشياً على الأقدام، ينادون حيواناتهم أو يغني أحدهم، بين الفينة والأخرى، على خطوات المطايا الطويلة.

ووصلنا الى بحرة مع الصبح تقريباً، فتوقفت القافلة لقضاء النهار، ذلك أن الحر لم يكن يسمح بالمسير إلا أثناء الليل. ويصف بحرة قائلا :

هذه القرية، التى لم تكن في الحقيقة سوى صف مزدوج من الأكواخ، والمقاهي، وبعض البيوت المصنوعة من سوق النخيل، ومسجد صغير: كانت المكان التقليدي الذي اعتادت القوافل أن تتوقف فيه، إذ كان في منتصف الطريق بين جدة ومكة المكرمة. منذ أن تركنا الساحل ظلت الأرض نفسها تقريباً: صحراء مع تلال متوحدة هنا وهناك، وجبال زرقاء في الشرق تفصل تهامة عن نجد. بيد أن كل تلك الصحراء من حولنا كانت أشبه الآن بمعسكر كبير جداً من الخيام، والمطايا، والهوادج التى لا عد لها ولا حصر، وخليط من اللغات المتعددة - العربية والهندوستانية والفارسية والصومالية والتركية إلى غير ذلك من اللغات التى لا يعلم عددها إلا الله سبحانه كان ذلك في الحق مجموعة من الأمم، غير أنه لما كان كل فرد يرتدي لباس الإحرام فإن المرء لم يكن يلحظ أيّ فرق بين مختلف الأجناس التى بدت وكأنها أمة واحدة ليس غير.

ولقد كان الحجاج متعبين بعد تلك الليلة التي

قضوها في المسيرة. ولا شك في أن السفر، بالنسبة الى معظمهم كان مهمة غير عادية الى حد بعيد، وأن تلك الرحلة الأولى من نوعها في حياة بعضهم.

وقبل شروق شمس اليوم التالي ضاق السهل الرملي واقتربت التلال بعضها من بعض. وعبرنا مضيقاً ورأينا على ضوء الفجر الشاحب أول بيوت مكة، ثم دخلناها مع شروق الشمس.

كانت البيوت تشبه بيوت جدة بنوافذها البارزة وشرفاتها المحصورة، ولكن الحجارة التى كانت مبنية منها كان يبدو أنها أثقل وزناً وأضخم جسماً من حجارة جدة المرجانية الخفيفة اللون، كان الصباح باكراً ما يزال، ومع ذلك كانت الحرارة الشديدة آخذة في الازدياد، وأمام الكثير من البيوت كانت هنالك مقاعد عليها كان يرقد رجال متعبون. وأخذت الشوارع غير المرصوفة تضيق شيئاً فشيئاً، بينما كانت قافلتنا تتخطاها الى وسط المدينة، وإذ لم يبق للحج إلا أيام معدودات، فقد كانت الجماهير غفيرة جداً في الشوارع، حجاج لا عد لهم ولا حصر بلباس الإحرام، وآخرون ارتدوا مؤقتاً ثيابهم العادية - ثياباً من جميع أرجاء العالم الإسلامي، وسقاة منحنون فوق قربهم أو تحت نير تتدلى من كل طرفيه صفيحة كاز قديمة تستخدم بدلا من الدلو، وسائقو حمير مع حميرهم ذات الأجراس الرنانة وسرجها البهيجة المبهرجة، ومطايا قادمة من الجهة المقابلة محملة بالهوادج الفارغة، تعج بنغمات مختلفة.

ولقد كان هنالك هرج ومرج وضوضاء عظيمة في الشوارع الضيقة بحيث كان يخيل إليك أن الحج لم يكن شيئاً يحدث سنوياً منذ قرون، بل مفاجأة لم يكن الناس قد أعدوا لها عدتها، ولم تعد قافلتنا قافلة بمعنى الكلمة بل خليطاً مضطرباً من الإبل والهوادج والأمتعة، والحجاج، وسائقي الجمال، والضجيج.

وبعد فطور سخي قدمه إلينا المطوف، خرجت إلى المسجد الحرام، وكان دليلي إليه الشاب نفسه الذي سبق له أن استقبلنا من قبل، فمشينا خلال الشوارع المكتظة الصاخبة، ومررنا بحوانيت القصابين وقد علقت أمامها صفوف الخرفان المسلوخة، وباعة الخضار وقد نشروا بضاعتهم فوق حصائر من قش فرشت على الأرض، وبين أسراب الذباب ورائحة الخضار، والغبار، والعرق، ومن ثم خلال سوق ضيقة مسقوفة لم يكن فيها غير حوانيت باعة الثياب من كل نوع ولون.

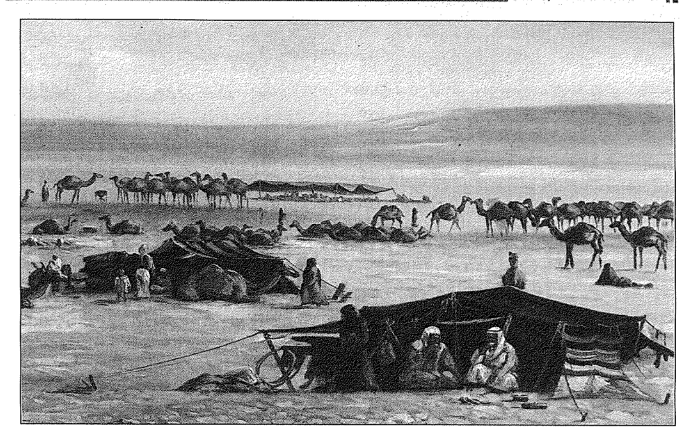
وكانت الحوانيت، كوى صغيرة ترتفع مقدار متر واحد عن أرض السوق، فيها يجلس صاحب الحانوت متربعاً وقد أحاط نفسه بأكوام الأقمشة من مختلف الألوان، في حين تتدلى فوق رأسه جميع أصناف الألبسة لجميع أمم العالم الإسلامي.

وبعد ذلك أخذ في إعطاء وصف دقيق وصورة حية عن رحلة الحج حيث يقول:

وكان هناك، أيضاً من جميع الأجناس والهيئات بعضهم يلبسون العمائم وبعضهم مكشوفو الرؤوس، بعضهم يمشون صامتين وقد أحنوا رؤوسهم، وغيرهم يهرولون بخفة بين الجماهير. هرج ومرج وضجيج وعجيج من كل جانب بحيث تشعر أنك وسط أمواج متكسرة وتستطيع أن ترسم بعض خطوطها ولا تستطيع أن تأخذ لها أبداً صورة كاملة الى أن وجدنا أنفسنا، فجأة أمام إحدى بوابات الحرم.

ومن ثم رأيت لأول مرة الكعبة المشرفة داخل الحرم.

هذه إذن، كانت الكعبة، التى كانت ولا تزال محط أشواق الملايين الكثيرة من الناس قروناً عديدة إن حجاجاً لا يحصون ولا يعدون قد بذلوا تضحيات عظيمة عبر العصور للوصول الى هذه المحجة، فمات



الكثيرون منهم على الطريق وبلغها الكثيرون منهم بعد مشقة كبرى، وفي أعينهم جميعاً كانت الكعبة المشرفة ذروة آمالهم وغاية أحلامهم.

هناك انتصبت الكعبة، مغطاة بكاملها بالنسيج الحريري الأسود، جزيرة هادئة وسط ساحة المسجد المربعة الواسعة: أبسط كثيراً من أي أثر معماري آخر في العالم.

لقد سبق لي أن رأيت في بلدان إسلامية مختلفة مساجد أبدعت في بنائها أيدي الفنانين من المهندسين المعماريين العظام. رأيت مساجد في افريقيا الشمالية، ورأيت معابد تتألق بالرخام والمرمر الأبيض، وقبة الصخرة في القدس، قبة كاملة فوق بناء دقيق، ومباني استانبول الفخمة، ومسجد بايزيد، ومساجد بورصة في الأناضول، ومساجد الصفوية في ايران روائع ملكية من حجارة زاهية وبلاطات ملونة وأبواب مطعمة بالفضة، ومساجد تيمورلنك الجبارة في سمرقند الرائعة.

كل هذه سبق أن رأيتها - ولكن شعوري لم يكن قط قوياً كما كان الآن - أمام الكعبة.

وتقدمت أنا أيضاً، وأصبحت جزءاً من ذلك السيل الدائري حول الكعبة، وكنت بين الفينة والأخرى أشعر بوجود رجل أو امرأة بقربي: صور منفردة تبدت لعيني لتختفي من بعد عنهما.

وتلاشت الدقائق، وهدأ الزمن نفسه، وكان هذا المكان هو محور العالم.

ثم أخذ في وصف عرفات قائلا :

وعلى مقربة من هنا، ولكني لا أستطيع أن أراه وسط هذا القفر الميت من الوديان والتلال، يقع سهل عرفات، حيث يتجمع فيه جميع الحجاج الذين يأتون الى الحج في اليوم التاسع من ذي الحجة، كما وقفت هنا، عاري الرأس، في ثوب الإحرام الأبيض، بين حشد من الحجيج المرتدين الثياب البيضاء، العاري الرؤوس، من قارات ثلاث، وشاهدنا جبل الرحمة

المنتصب من السهل الفسيح: واقفين متربصين حتى الأصيل، نتفكر في ذلك اليوم الذي لا مفرّ منه، يوم الحساب.

وإذ وقفت على رأس التلة أحدق الى أسفل نحو سهل عرفات الغائب عن ناظري، شعرت كأن الأرض أمامي، التى كانت ميتة منذ لحظة قد دبّت فيها الحياة من جديد بتلك التيارات من الأنفس البشرية التى مرت عبرها، وامتلأت بالأصوات الغريبة تصدر عن ملايين الرجال والنساء الذين مشوا ما بين مكة وعرفات في أكثر من ألف وثلاثمئة حجة منذ أكثر من ألف وثلاثمئة سنة.

إن أصواتهم وخطواتهم وأصوات حيواناتهم، وخطواتها، تستيقظ وتسمع من جديد: إني أراهم يمشون ويركبون ويتجمعون - كل تلك الملايين من الحجاج بثيابهم البيضاء عبر ألف وثلاثمئة عام. إني أسمع أصواتهم، وأجنحة الإيمان الذي جذبهم معاً الى هذه الأرض من الصخور والرمال.

ومرة أخرى أراني راكباً فوق سهل عرفات - راكباً في عَدْوٍ سريع فوق السهل، وسط ألوف وألوف في ثياب الإحرام، عائدين من عرفات الى منى ثم مكة.

ويفيض في الحديث مصوراً رحلة العودة من عرفات الى المزدلفة ومنى قائلا: ونتابع ركوبنا، هاجمين طائرين فوق السهل، ويخيل إليّ أننا طائرون مع الريح، منغمسون في سعادة لا تعرف نهاية ولا حدوداً.. وتزعق الريح في أذني بنشيد النصر: «إنك لن تكون غريباً بعد الآن، أبداً أبداً».

إخوان لي عن اليمين، وإخوان لي عن اليسار، كلهم لا أعرفهم ولكن أحداً منهم ليس غريباً عني: فنحن في فرحة سباقنا المضطربة جسم واحد يسعى الى هدف واحد، إن العالم أمامنا لفسيح.. ووسط الضوضاء التى تصم الآذان من خطوات الألوف من الإبل المندفعة والمئات من البيارق المصفقة، تنمو صرخة الحجاج الى زمجرة منتشية ظافرة: «الله أكبر».

وتسيل هذه الزمجرة في موجات عارمة قوية فوق رؤوس الألوف من الرجال فوق السهل الفسيح، الى أطراف الأرض جميعاً: «الله أكبرَ لقد سما هؤلاء الرجال فوق حيواتهم الصغيرة، إن إيمانهم يدفعهم الآن الى الأمام، كأنهم بنيان واحد نحو آفاق غير محدودة.. يخطو الإنسان خطوات واسعة بكل ما وهبه الله من بهاء وسناء: خطوه بهجة، لإتمام مناسك الحج.

وبالجملة فقد جاءت هذه الرحلة الى بيت الله الحرام تعكس أشكالا وأنماطاً من النواحي التاريخية والجغرافية وواقع الحضارات القديمة وهي تجدد لنا مستوى ثقافته وخبرته وغير ذلك من النماذج والأنماط المتنوعة وهي تعكس لنا أبعاداً كثيرة عن التوجهات الدينية واهتمامه بالقضايا التاريخية والاجتماعية ولقد كانت النظرة الإسلامية ذات مفهوم واضح حدد البعد الفكري والأخلاقي للعقيدة الإسلامية التى دفعته لرحلة الحج حيث رأى في الإسلام نظرة شاملة للحياة والكون وللإنسان والتحرر من الأساطير والأوهام كما أشار الى ذلك لقد كانت الرحلة مرحلة جديدة في حياته زادته إيماناً وثباتاً وقوة، وهكذا من كتاب الله وسنة الرسول الكريم اتضحت له معالم الشخصية الإسلامية فكراً وعملا - لقد شاهد في رحلته الى المشاعر المقدسة الكبير والصغير والأبيض والأسود الغني والفقير كلهم متساوون في حقوقهم الإنسانية لا تمايز بينهم في جنس أو لون فكل المشاعر والأعمال التى تؤدي لا يقصد بها إلا وجه الله وذكره وفضله.. في اجواء مفعمة بالايمان.

الحج في أدب الرحلات هو رسالة فكرية قدمها عدد من الرحالة من أبناء الأمة الإسلامية الى العالم فهي تجسيد ملموس للثقافة الإسلامية برمتها والضارب تاريخها في أعماق العهود الزاهية للإسلام.

معالم قرآنية في الألوان

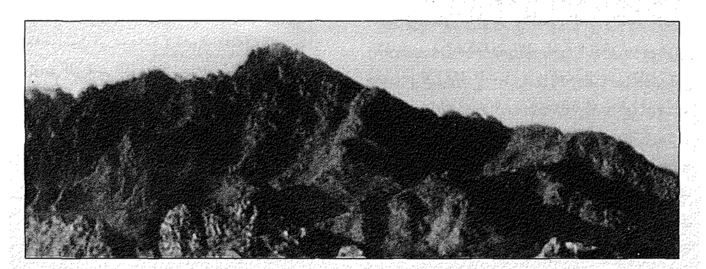
إن نظرة تدبر وتفكر في خلق الله سبحانه، وما اشتمل عليه من عظمة وجلال، وما قام به من أسس وقوانين. هي من الدقة والتنسيق والتنظيم ما يبهر المتأملين.

وبنظرة مجردة ندرك أن الله سبحانه هو الذي أعطى كل شيء خلقه، ودبر في الكون كل ذرة.

ولقد جاءت آيات القرآن الكريم توجه الناس إلي معالم ينظرون إليها، ويتفكرون فيها، ويتدبرون شئونها لتستنهض العقول، وتوقظ الحواس، وتتنبه المشاعر.

ومن تلك المعالم القرآنية. معلم الألوان، والألوان إبداع إلهي، جاء بها الخالق الذي قدر، والألوان تحوى في أعماقها آيات معطية، ودلائل موحية.

قال تعالى في سورة فاطر الآية/ ٢٧ ـ ٢٨: {**ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها ومن الجبال جُدَدٌ بيض وحُمْرٌ مختلفٌ ألوانها وغرابيب سود * ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ إن الله عزيز غفور**}.



في هاتين الآيتين لفتة كونية عجيبة لفتة تطوف في الأرض كلها.. وتظهر فيها الألوان والأصباغ في كل عوالمها، في الثمرات، وفي الجبال، وفي الناس، وفي الدواب، والأنعام، وفي الزرع.

وهذه اللفتة - كما يقول ابن كثير في تفسيره - تنبه الى كمال قدرته في خلقه الأشياء المتنوعة المختلفة من الشيء الواحد.

وهو الماء الذي ينزله من السماء، يخرج به ثمرات مختلفا ألوانها، من أصفر، وأحمر، وأخضر، وأبيض. الى غير ذلك من ألوان الثمار، كما هو مشاهد من تنوع ألوانها وطعومها، كما قال تعالى في الآية الأخرى: {**وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون**}.

ومما يحسن أن يدرك: أن ألوان الثمار معرض بديع للألوان، يعجز عن إبداع جانب منه جميع الرسامين في جميع الأجيال. فما من نوع من الثمار يماثل لونه لون نوع آخر، بل ما من ثمرة واحدة يماثل لونها لون أخواتها من النوع الواحد.

فعند التدقيق في أي ثمرتين أختين يبدو شيء من اختلاف اللون - ولعلك أيها القارىء الكريم - تلاحظ أن القرآن الكريم ينتقل بك من ألوان الثمار الى ألوان الجبال، وهي كما يقول المفسرون: نقلة عجيبة في ظاهرها، ولكنها من ناحية دراسة الألوان تبدو طبيعية.

ففي ألوان الصخور شبه عجيب بألوان الثمار وتنوعها وتعددها، بل إن فيها أحيانا ما يكون على شكل بعض الثمار وحجمها.

د. أحمد عبدالرحيم السايح

مصر

وقوله تعالى: {**ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود**}. أي وخلق الجبال كذلك مختلفة الألوان كما هو المشاهد، والجدد: الطرائق والشعاب، وهنا لفتة فالجدد البيض مختلف ألوانها فيما بينها، والجدد الحمر مختلف ألوانها فيما بينها، مختلف في درجة اللون والتظليل والألوان الأخرى المتداخلة فيه. وهناك جدد غرابيب سود، حالكة شديدة السواد.

يقول بعض العلماء: إن اللفتة الى ألوان الصخور وتعددها وتنوعها داخل اللون الواحد، بعد ذكرها الى جانب ألوان الثمار، تهز القلب هزاً، وتوقظ فيه حاسة الذوق الجمالي، التي تنظر الى الجمال نظرة تجريدية، فتراه في الصخرة، كما تراه في الثمرة.

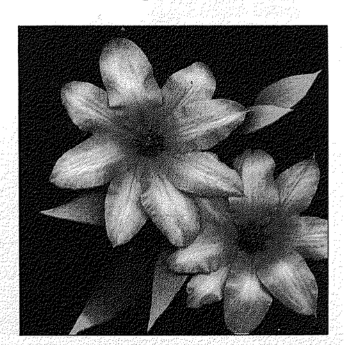
وقوله تعالى {**ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك**} أي كذلك الحيوانات من الناس



والدواب والأنعـــام، وألوان الناس لا تقف عند الألوان المتميـزة العامة لأجناس البشـر. فكل فـرد بعـد ذلك متميز اللون بين بني جنسه، بل متميز من توأمه الذي شاركه حملا واحداً من بطن واحدة.

يقول الله سبحانه وتعالى في سورة الروم الآية/ ٢٢: {**ومن آياته خلق السـمـوات والأرض واخـتـلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعـالمين**}، وكـذلك الدواب والأنعـام مـخـتلفـة الألوان حـتى في الجنس الواحـد، بل النوع الواحـد منهم مـخـتلف الألوان، بل الحـيوان الواحـد يكون أبلق فـيـه من هذا اللون وهذا اللون.

وإذا كـانت الثـمـرات والجـبـال والناس والدواب والأنعـام مـخـتلفـة ألوانهـا، فكذلك النحل يـخـرج من بطونهـا شـراب مـختلف ألوانه، قـال تعـالى في سـورة النحـل الآية/ ٦٨ - ٦٩: {**وأوحى ربـك الى النحـل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون * ثم كُلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذُلُلا يَخْرُجُ من بطونها شراب مختلف ألوانُه، فيه شفاء للناس، إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون**}.



وكذلك الزروع يخـرج الله منهـا زرعـاً مـخـتلفـاً ألوانه. قال تعالى في سورة الزمر الآية/ ٢١: {**ألم تر أن الله أنزل من السـمـاء مـاء فسلكه ينابيع في الأرض ثم يخرج به زرعاً مختلفاً ألوانُه ثم يَهيج فتراه مصـفراً ثم يَجْـعَلُهُ حطامـا إن في ذلك لذكرى لأولى الألبـاب**}.

ومن أفواج نعم الله فيما خلق للإنسان، ما ذكرته الآية الكريمة في قوله تعالى في سورة النحل الآية/١٣: {**وما ذرأ لكم في الأرض مختلفا ألوانُهُ إن في ذلك لآية لقوم يذَّكرون**}. أي وما خلق لكم في الأرض وما أودع فيها للبشـر من مـخـتلف المعـادن والأشـيـاء التى تقـوم بهـا حياتهم في بعض الجهات وفي بعض الأزمان لآية.

ونظرة الى هـذه الذخـائـر المخـبـوءة في الأرض المودعـة للناس حـتى يبلغـوا رشـدهـم يومـا بعـد يوم، ويسـتخرجوا كنوزهم في حينها، ووقت الحاجة إليها. وقـد يأتى زمن يحـتـاج فـيـه الناس الى أمـور أخـرى لا تزال مـخـبـوءة في الأرض. لم تكشف أسـرارهـا بعـد، تجعل الناس أكثر تأملا وإقبالا.

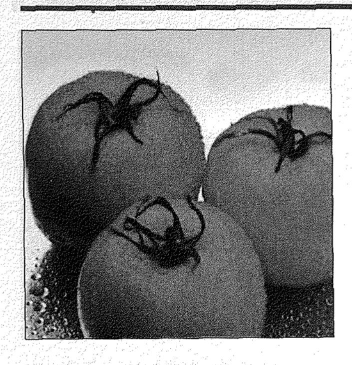
ومما ينبـغي أن نعـيـه، أن الآيات الكريمات التى جاء فيها ذكر الألوان في الإنسـان، والدواب، والجبال، والزرع، والثمار، وشـراب النحل، وما خلق من الأرض. تلك الآيات خـتـمت بقـوله تعـالى: {**إن في ذلك لآيات للعالمين**}، {**إن في ذلك لآية لقوم يذكرون**}، {**إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون**}، {**إن في ذلك لذكرى لأولى الألباب**}، {**إنما يـخـشـى الله من عـبـاده العلمـاء إن الله عـزيز غفور**}. وهذا كله يثير في الناس التفتح الواعي الذي يرشد إلى الطريق الحق.

وتلك الآيات وما فيها من إبداع إلهي دعوة للعقل كي يتعرف على الله، ويسلك سبيله إليه بالنظر في ملكوته، والتدبر فيما أبدع وصوَّر. وإن العقل على أي مستوى لن يخطئه الطريق الى الله، إذا هو وقف بين يدي تلك الآيات متجردا من الأهواء الفاسدة، والموروثات الضالة، وأعطى لنفسه الحق في تأمل الآيات.

والعلماء هم الذين يتدبرون آيات الله في كل شيء، ومن ثم يعرفونه معرفة حقيقية، يعرفونه بآثار صنعته، ويدركونه بآثار قدرته، ويستشعرون حقيقة عظمته برؤية حقيقة إبداعه، ومن ثم يخشونه حقا، ويتقونه حقا، ويعبدونه حقا، لا بالشعور الغامض الذي يجده القلب أمام روعة الإبداع، وجمال الأيات، ولكن بالمعرفة الدقيقة، والعلم المباشر الذى يوصل الى ما يفيد الإنسانية في الأرض.

وقد لا يخفى على باحث ومتأمل في القرآن الكريم، أن آيات كثيرة فيه اهتمت بذكر الألوان واختلافها، باعتبار أن ذلك آية من آيات الله فيما خلق. قال تعالى في سورة الروم الآية/ ٢٢: {**ومن آياته خَلْق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين**} الذين يتعلمون ويدرسون هذه الظاهرة دراسة موضوعية، ويقفون ليمجدوا الخالق المدبر للظواهر والبواطن، فآية خلق السموات والأرض، واختلاف الألسنة والألوان لا يراها إلا الذين يعلمون.

ولقد اهتم العلماء بدراسة الألوان، وأثرها على الإنسان. وأثبتوا في ظل تجارب علمية وعملية: أن اللون له موجات تؤثر في أفكار الإنسان. كما أنها تؤثر في حركته الجسمية، وأصبح للألوان في ظل النهضة العلمية: علم له أصول واتجاهات، تقوم على أسس من الدراسات المختلفة، والبحوث المتنوعة.



ومما ينبغي الوقوف عليه أن آيات من القرآن الكريم عنيت باللون الأخضر لما له من أهمية في حياة الناس.

ويذكر العلماء: أن الدراسات العلمية أثبتت أن اللون الأخضر هو اللون الذي يجلب السرور الى داخل النفس، ويشعل الفكر، ويثير في الإنسان البهجة والسرور.

فإشارات آيات من القرآن الكريم الى اللون الأخضر لها دلالات موحية عند الذين يتأملون، ويدرسون، ويفكرون.

يقول العلماء: «إن الخضرة هي ما يعرف بمادة «الكوروفيل» أو الورقة الخضراء، وقد حباها الله تعالى قدرة على امتصاص الطاقة الضوئية، وتحويلها الى طاقة كيميائية وهي تقوم بتحويل ثاني أوكسيد الكربون والماء الى أوكسجين، ومواد هيدرولئية وهي التى تمثل مصدر الطاقة للخلايا الحية.

وبهذا تكون الخضرة هي مصدر هام للغذاء،



فهي غذاء للإنسان، والحيوان والطيور والأسماك.. قال تعالى في سورة الأنعام الآية/٩٩: **{وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خَضراً نُّخْرِجُ به حبا مُّتَراكباً}**.

وقد يكون واضحا: أن كل نبت يبدأ أخضر، واللفظ «خضر» أرق ظلا، وأعمق ألفة من لفظ «أخضر» يقول ابن كثير في تفسيره: «فأخرجنا منه خضرا» أي زرعا وشجرا أخضر، وهذا النبت الخضر، يخرج منه حبا متراكبا يركب بعضه بعضا كالسنابل ونحوها.

وفي سورة يوسف ذكرت الخضرة مرتين، حيث رأى ملك مصر رؤيا هالته، وتعجب من أمرها. لذا يطلب تأويلها من رجال حاشيته والمتصلين به من العلماء: **{وقال الملك: إني أرى سبع بقرات سمان يأكُلهُن سبع عجاف وسَبْعَ سنبلات خُضْر وأُخَرَ يابسات يأيها الملأ أفتوني في رؤياي إن كنتم للرؤيا تعبرون}** (سورة يوسف الآية/٤٣).

فأنت ترى أن الملك طلب تأويل رؤياه فعجز الملأ من حاشيته عن تأويلها: **{قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين}** (سورة يوسف الآية/ ٤٤)، وعند ذلك تذكر الذي نجا من الفتيين اللذين كانا في السجن مع يوسف، وكان الشيطان قد أنساه ما وصاه به يوسف من ذكر أمره للملك. **{وقال الذي نجا منهما وادكر بعد أمة أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون}** (سورة يوسف الآية/ ٤٥).

فلما أرسلوه الى يوسف في السجن. قال له: **{يوسف أيها الصديق أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خُضْر وأخَرَ يابسات لعلي أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون}** (سورة يوسف الآية/ ٤٦). وفسر يوسف ـ عليه السلام ـ الرؤيا بأن الإشارة الى الخضرة في السنبلات الخضر تدل على الإنتاج الوفير، قال: **{تزرعون سبع سنين دأبا}** (سورة يوسف الآية/ ٤٧) . أي يأتيكم الخصب والمطر سبع سنين متواليات.

وقال تعالى في سورة الحج الآية/ ٦٣: **{ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة إن الله لطيف خبير}**.

ومما يحسن أن ندركه هنا أن نزول الماء من السماء، ورؤية الأرض بعده مخضرة بين عشية وصباح، ظاهرة واقعة مكرورة. قد تذهب الألفة بجدتها في النفوس أما حين يتفتح الحس، فإن هذا المشهد في الأرض يستجيش في القلب شتى المشاعر، والأحاسيس. وإن القلب يحس أحياناً. أن هذا النبت الصغير، الطالع من سواد الطين. بخضرته وغضارته يثير في الإنسان أحاسيس البهجة، والذى يحس على

هذا النحو يستطيع أن يدرك ما في التعقيب بقوله: **{إن الله لطيف خبير}** من لطف وعمق.

فمن اللطف الإلهي ذلك الدبيب اللطيف، دبيب النبتة الصغيرة من جوف الثرى وهي نحيلة ضئيلة، ويد القدرة تمدها في الهواء، وتمدها بالشوق إلى الإرتفاع على جاذبية الأرض، وثقل الطين.

وقال تعالى في سورة يس: **{الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون}**، ويذكر علماء التفسير: أن المشاهدة الأولية تقنع بصدق هذه العجيبة، العجيبة التى يمرون عليها غافلين، عجيبة أن هذا الشجر الأخضر الريان بالماء. يحتك بعضه ببعض فيولد ناراً، ثم يصير هو وقود النار. بعد الليونة والاخضرار.

والمعرفة العلمية العميقة لطبيعة الحرارة التى يختزنها الشجر الأخضر من الطاقة الشمسية التى يمتصها، ويحتفظ بها وهو ريان بالماء، ناضر بالخضرة، والتى تولد النار عند الاحتكاك، كما تولد النار عند الاحتراق، هذه المعرفة تزيد العجيبة بروزاً في الحس ووضوحا.

والخالق سبحانه وتعالى هو الذي أودع الشجر خصائصه هذه، والذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى. فاللون الأخضر يشير الى الازدهار، وكثرة الانتاج، ووفرة المحصول وهو كذلك يعطى دلائل على قدرة الخالق سبحانه وتعالى.

وإذا كان اللون الأخضر هو غذاء الحياة في الدنيا. فإنه في الآخرة علامة المتعة والسعادة، والبهجة، والسرور، والاطمئنان، والراحة النفسية الكاملة. قال تعالى في سورة الكهف الآية/ ٣١: **{أولئك لهم جنات عدن تجرى من تحتهم الأنهار يُحَلَّوْنَ فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثياباً خُضْراً من سندس وإستبرق متكئين فيها على الأرائك نعم الثواب وحسنت مرتفقا}**. أي يلبسون من الثياب ما رق من الديباج ولونه أخضر. وقال تعالى في سورة الرحمن الآية/ ٧٦: **{متكئين على رَفْرَف خُضْر وعبقري حسان}** أي أنهم مستندون على وسائد خضر من وسائد الجنة.

وفي سورة الإنسان الآية/ ٢١: يقول الله سبحانه وتعالى: **{عاليهُم ثيابُ سُندُس خُضْرٌ وإستبرَقٌ وحلُّوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شراباً طهورا}**. أي تعلوهم الثياب الفاخرة الخضراء المزينة بأنواع الزينة المختلفة.

هذا هو اللون الأخضر في الآخرة، يكرم به المؤمنون في جنات الله وكذلك هو معلم من معالم الحياة في الدنيا. إنه جدير بالمؤمنين بالله سبحانه وتعالى أن يتعمقوا هذه المفاهيم، ويستفيدوا منها في تطبيقات الحياة.

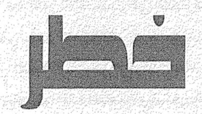


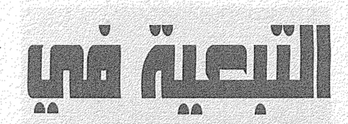
«خطر التبعية في مجال النقد» هذه الدراسة القيمة تتبع فيها الاستاذ الدكتور/ مصطفى عبد الواحد الحركات النقدية المعاصرة في كل مسمياتها، وبخاصة التى اتخذت من النقد (الغربي) منهجاً لها، وعملت على ترويج نظرياته ومعطياته في عالمنا العربي مغضية الطرف بل مسفهة أى عمل نقدي في تراثنا الأدبي.. مما جعل أولئك النقاد تابعين لكل صارخ وناعق يأتى من وراء البحار.

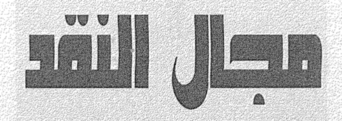
وهذه الحلقة الأخيرة من هذه الدراسة القيمة يسجل فيها الدكتور/ مصطفى تراجع أهل الغرب ومراجعتهم لعدد من آرائهم وتنظيراتهم، ويبقى النقاد العرب التابعون على ما هم عليه.

ـ المنهل ـ تشكر الدكتور مصطفى عبد الواحد على هذا التواصل الادبي والفكري مع مجلته المنهل وتنتظر منه جديد ابداعه وعلمه وفكره.

ـ المنهل ـ







خطر التبعية في مجال النقد

لعل هذه الوقفة مناسبة لنتحدث عن ثراء النقد العربي القديم بالوسائل والقواعد اللغوية والبلاغية والنقدية والذوقية الرفيعة .. لكن هؤلاء يزهدوننا فيه ويصرفوننا عنه.. ويجروننا جرا إلى ساحات عبثهم ولغوهم وضجيجهم الذى لا طائل من ورائه.

وألفت النظر هنا إلى أن تراثنا النقدي لم يقرأ قراءة فاحصة كاملة بعد.. فالنقاد المعاصرون يأخذون منه ما يناسب أهواءهم واتجاهاتهم.. حتى لقد حاول بعضهم أن يجعل من عبد القاهر الجرجاني ناقداً جديداً.. يتواءم مع مقولات دي سوسير وتشومسكي وجاكوبسن وأشباههم.. وهم يتخذون من تأويل نظرية النظم التى أوضحها الجرجاني سلاحاً له أكثر من حد يقطعون به ما يشاءون!

وكذلك يصنع آخرون بنظريات حازم القرطاجني ويحاولون التقريب بينه وبين هذه المذاهب الطارئة.

ولو أنهم قرأوا النقد العربي القديم قراءة متأنية

موضوعية منصفة لوجدوا فيه غناء وثراء وأصالة وسبقا وصدقا وبعداً عن التكلف والادعاء!.

فهل جال بخاطر هؤلاء المنصاعين لأهواء شذّاذ النقاد في الغرب أن من نقادنا القدماء من عرف ظاهرة «تراسل الحواس» التى يتشدق بها الرمزيون ويدّعون أنهم هم الذين ابتكروها؟ إن هذا السبق موجود في تراثنا النقدي وقد عثرت عليه في رسائل الأفضليات لابن الصيرفي المتوفي سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة من الهجرة وقد قام بتحقيقها الدكتور وليد القصاب والدكتور عبد العزيز المانع وقام بطبعها مجمع اللغة العربية بدمشق عام ثلاث وأربعمائة وألف من الهجرة الموافق لعام اثنين وثمانين وتسعمائة وألف من الميلاد.

وقد جاء فيها هذا العنوان : «في تناوب الأعضاء».

«وهو مما يدل على تجويد الشاعر وقوة تصرفه ومضاء خاطره وقلة توقفه. ومن أحسن ما جاء في ذلك قول أبي الطيب:

وجحفل ستر العيون غباره
فكأنما يُبْصِرْن بالآذان

وقوله :

كأن الهام في الهيْجا عيونٌ
وقد طُبعت سيوفك من رُقاد

وحكى ابن رشيق قال: جلست يوماً إلى ابن حديدة الشاعر.. فسألني عن حال المكان الذي خرجت منه فوصفته وأفضى بي الحديث إلى ذكر غلام كان ساقياً فقلت في درج الكلام:

فشربتها من راحتَيْه
كأنها من وجنتيه

د. مصطفى عبدالواحد

الأستاذ بجامعة أم القرى - مكة المكرمة

وقلت أجز فقال :

وشممْتُ وردة خده
نظراً ونرجس مقلتيه

فقلت : أحسنت وجوّدت شمك بالنظر كسماع أبي الطيب بالبصر حيث يقول:

خلفت صفاتُك في العيون كلامه
كالخط يملأ مسمعي منْ أبصرا

وهذا وإن لم يكن من هذا الباب من كل جهة - يريد تناوب الأعضاء - فهو من أولى ما أورد معه. وكذلك قول مهيار:

خان بكاء العين أجفانه
فناح والنَّوحُ بكاء الفم!

لأن النَّوح والبكاء ليسا عضوين.

ولابن رشيق في جواب كتاب :

أسمعت عيني ما اشتهتْ
بلسان هاتيك اليراعةْ

وقول الشريف الرضي :

عزّني أن أرى الديار بعيني
فلعلي أرى الديار بسمعي

ولأبي الطيب :

خيْر أعضائنا الرؤوس ولكنْ
فضلتها لقصدك الأقدامُ

ولحسن بن عبد الصمد :

تعطي وسمعك بالملام مشنَّفٌ
فكأن راحتك الكريمة تسمعُ!

ولابن حيُّوس :

قواف هي الخمر الحلالُ وكأسها
لساني ولكن بالمدامع تُشربُ

وقد أجاد ابن القُمي وزاد بقوله:

ولي سَنَةٌ لم أدر ما سنةُ الكرى
كأن جفوني مسمعي والكرى العذْلُ

ونظائره كثيرة»[١].

لكن تناوب الأعضاء إن عثر عليه ناقد عربي .. فهو لا يرقى إلى درجة «تراسل الحواس» عند الرمزيين الفرنسيين .. فذاك عربي وهذا أعجمي.. والأعجمي عند المقلدين الاتباعيين خير من العربي!

حتى ظاهرة الخطأ في الرواية أو الانحراف المقصود التي يزعم النقاد الجدد أن مذاهبهم هي التي اكتشفتها نجد في تراثنا النقدي أمثلة تصلح للدلالة على معرفة القدماء بها. فقد ذكر ابن الصيرفي في إحدى رسائل الأفضليات أن هشاماً الأحول قال: كنا عند الأصمعي فأخذ في شعر عبيد الله بن قيس الرقيات فجعل ينشد حتى قال :

عاد له من كثيرة الطربُ
فعينُه بالدموع تنسجمُ

وإنما هي تنسكب.. فقال: يافتيان أمرُوها على الميم، قال: فأمرَّها وتمم معه يقول ونقول على الميم حتى بلغنا الى قوله:

ما نقموا من بني أمية إلا
أنهم يحلمون إن غضبوا

فأراد قافية على الميم فلم يقدر عليها، ويعقب ابن الصيرفي على هذا الخبر بقوله: إن من أعجب الأشياء توقف الأصمعي خاصة في قافية هذا البيت على الميم مع ما يروى عنه من قوله: إن الحشمة في كلام العرب بمعنى الغضب وحكايته عنهم: إن ذلك لما يحشم بني فلان أي يغضبهم، فكان يلزمه أن يقول: إن حشموا. على أن أحسن ما قفى به هذا البيت على الميم ما اقتضاه صدره فيقال:

ما نقموا من بني أمية إلا
أنهم يَحْلَمون إن نقموا

ويقال في البيت الثاني:

وأنهم معدن الملوك فما
تصلح إلا عليهم الأمم

ويجعل الأمم عوضاً عن العرب[٢].

فقد أدى الخطأ في رواية قافية البيت الأول من القصيدة الى تغيير قوافيها بما يثري المعاني ويولد أفكاراً جديدة.

ولا يلزم من هذا أن نبحث لكل نظرية مستحدثة عن شواهد في تراثنا القديم.. وإنما نريد أن نعيد إلى نقدنا القديم اعتباره وأن نقدر جهود أسلافنا الذين صاغوا نظريات هذا النقد صادرين عن ثقافتهم الأصيلة ولغتهم الجميلة.

نريد أن نتيح المجال للإبداع الحقيقي الباحث عن الجمال في الصورة والصياغة.. غير مسلوبي الإرادة وغير منساقين إلى ما يراه الغرب حسناً وجميلا.

وإلا كان الأمر راجعاً الى التقليد الذي لا يتأتى معه إبداع ولا انطلاق.

وكما قال الدكتور برهان غليون في كتابه «اغتيال العقل»: «إنه إذا كانت الجمالية قائمة في إبداع المعاني

الفنية فإن جعل الحداثة في ذاتها معيارا للإبداع يعني غياب أية نظرية في هذا الإبداع الفني باستثناء نظرية النسج على منوال ما هو حديث أو ما هو باستمرار أحدث من السابق، وهي نظرية إذا صح التعبير عبثية منوالية، إن الإبداع في الفن كما في أي ميدان من ميادين النشاطات العقلية والاجتماعية لا يعني البدعة، أي الأخذ بكل ما شاء الفنان من دلالات وارتباطات، وإنما هو توليد دلالات جديدة خاضعة لضوابط ونواظم معطاة في كل فن أي هو إطلاق الطاقات الكامنة في نظام دلاليّ معين»[٣].

ويزيد الدكتور برهان غليون القضية وضوحاً إذ يقول:

«إن تحويل الحداثة ذاتها الى معيار للإبداع يعني في الواقع فقدان أي معيار وتفسير الشيء بذاته.. وهي لا يمكن أن تعني في النهاية إلا القدرة على استنساخ آخر ما يظهر في الغرب مصدر التجديد والتحديث والتسابق بين «المبدعين» على ذلك لتأكيد تفوقهم في الحركة الإبداعية. وهذا لا يعني قتل أساس الإبداعية فقط ونعني به الذاتية، ذاتية المبدع وذاتية الجماعة التى يأخذ العمل الفني قيمته منها، ولكنه يعني أيضا قتل الإبداع ذاته وتحويله الى مجرد تعميم لدلالات فنية وجمالية ظهرت في مركز الحضارة، أي الى بدعة ، وذلك حتى لو بدا ذلك للمقيمين في الأطراف نوعاً من الكشف والابتداع»[٤].

«وهكذا ـ كما يقول الدكتور برهان غليون ـ افتقد الإنتاج الأدبي الحديث لنظرية نقدية جمالية تغربله وتنقيه وتفرز فيه بين الغث والسمين، والمجدد فعلا والمقلد، وافتقد نظرة فلسفية تلقى على الممارسة الفنية لتستمد منها قواعد جمالية جديدة تقود الفعالية الفنية الجديدة وتوجهها وتساهم في تطويرها في اتجاه التأصيل الثقافي، حتى إن تقويم التراث نفسه أصبح خاضعاً لمعيار التقليد «الجديد» وأصبح من قبيل المديح أن يقال: إن هذا الجانب أو ذاك من التراث يبدو وكأنه وليد اليوم أو بالأحرى كأنه مماثل لما في الغرب»[٥].

وذلك هو المأزق الذي وضع فيه المقلدون المتبعون لنظريات الغرب دون روية ولا تمحيص أنفسهم.. بل وضعوا الأدب العربي في مأزق.. فإما أن يساير هذه القواعد الصارمة التى يؤمنون بحتميتها.. وإما أن يحكم عليه بالتخلف والجمود والعجز عن مسايرة ركب الجديد.

ونحن مع الدكتور برهان غليون إذ يؤكد أن «نظرية الحداثة في الأدب لم تكن إلا غطاء لغياب أية نظرية فعلية في الإبداع الفني والأدبي ولم يقم أصحابها بها في الواقع إلا بالدعاية لعملية موضوعية تجري بمعزل عن إرادتهم بل رغماً عنهم، ولم يكونوا فيها إلا أدوات تستخدمها السيطرة الثقافية لتوسيع

**** نظرية (تراسل الحواس) التى تغنى بها الاتباعيون كابداع غربي، وليدة تراثنا الشعري والنقدي القديم.**

دائرة نفوذها. والسبب في ذلك أن نظرية الحداثة الأدبية اعتبرت الحقيقة الفنية خاضعة لنفس القوانين العلمية التى تحكم الواقع التجريبي، واعتقدت أن قوة الفن وجماليته ليست نابعة من معاييره الذاتية والرمزية بقدر ما هي ثمرة للقيم العقلانية والأيديولوجية التى يحتويها. وقد عملت الأيديولوجيا الوضعية هنا كما في ميدان الأخلاق على التقليل من أهمية الاستقلال النسبي للمنظومة الرمزية الخيالية الخاصة بكل ثقافة»[٦].

إننا لا ندعوا إلى الانغلاق ورفض التفاعل مع الثقافات والآداب.. بل ندعوا الى التواصل والاستفادة من كل جديد بشرط أن يتم ذلك باستقلال ووعي وندّية واستعمال للعقل وأخذ الجيد وترك الرديء فالكلمة الحكمة ضالة المؤمن أنّي وجدها فهو أحق بها كما جاء في الأثر.

لكن المقلدين الاتباعيين في عالمنا العربي ينفرون من ثقافتهم الأصلية وتراثهم العريق ويصمون من ينتمون إليهما بالجمود والتخثر والانغلاق.. بينما يخضعون كل الخضوع لهذه البدع الجديدة ويتبعونها حذوك النعل بالنعل، بل يتشددون فيها أكثر من أصحابها.. ويقاتلون من أجلها ويسخرون من كل من يدعوهم إلي مراجعة النفس ووقفة التأمل والتدبر.

**** الاتباعيون عملوا على استنساخ آخر ما يظهر في الغرب والتسابق في نشره.**

بينما يراجع المقلَّدون - بفتح اللام المشددة - أنفسهم حيناً بعد حين.. ويراجعون مواقفهم ويتراجعون عن الكثير منها.. فهذا الشاعر والناقد الرمزي «اليوت» قد تراجع عن كثير من مواقفه وآرائه في الشطر الأخير من حياته.. حيث أعلن إيمانه بدينه المسيحي الكاثوليكي.. بل أعلن أنه كلاسيكي في الأدب ملكي في السياسة.. وله أشعار تدل على هذا الموقف الجديد، بينما يجمد المقلدون في العالم العربي عند شطر حياته الأول ويُخْفون هذا التحول الأخير أو يغضون من شأنه.

وهذا ناقد بنيوي شهير، كثيراً ما يردد الاتباعيون العرب اسمه ويستشهدون بآرائه - هو الناقد البلغاري الأصل الفرنسي الجنسية «تزفيتان تودروف» نراه قد تراجع عن كثير من المقولات البنيوية ودعا إلى إعلان فسادها في كتابه «نقد النقد» الذي ترجمه سامي سويدان وصدر في بيروت عام ١٩٨٦م عن مركز الإنماء القومي.

وقد هدف في كتابه هذا إلى التعرف الى الأفكار الأدبية والنقدية في القرن العشرين وتمييز الأصلح والأصح بينها وتحليل التيارات الأيديولوجية للقرن المذكور انطلاقاً من ذلك وتحديد الأسلم والأثبت منها[٧].

وفي الفصل الأول من كتابه هذا يناقش مفهوم اللغة الشعرية في النقد الجديد ويفتتحه بقوله: «تغير موقفي إزاء الشكلانيين الروس».. ثم يقول: «وخلال مرحلة ثالثة بدأت أنظر الى الشكلانيين كظاهرة

تاريخية لم يعد مضمون آرائهم هو الذي يهمني وإنما منطقهم الداخلي وموقعهم في تاريخ الأيديولوجيات»[٨].

كما ناقش «تودروف» آراء «رولان بارت» الذي كان صديقاً له.. لكن ذلك لم يمنعه من نقد آرائه.. التى يقف أمامها الاتباعيون العرب خاضعين مذعنين.

يقول «تودروف»: «إنني لا أشاطر «بارت» موقفه تجاه الحقيقة فللأدب علاقة بالحقيقة وللنقد أكثر من علاقة واحدة بها»[٩].

ثم يقول «تودروف»: «لقد كان لزعزعة خطاب الاختصاص من قبل بارت» أثر إنعاش في جو الغطرسة والمزايدة الذي يميز طائفة المثقفين، ولكن إذا تجاوزنا هذا الأثر الوقائي والسلبي إجمالا يمكننا أن نتساءل: ماذا يعني التخلي عن الخطاب الذي يتخذ من الحقيقة أفعاله؟ أهو شيء آخر غير الانتساب إلى النسبوية المعممة»[١٠].

وفي مناقشة تودروف مع ناقد فرنسي يدعى «بول بنيشو» يلحظ أن هناك اعتقادا بنوع من التخيل الكلامي يسمى المنهج، فالنقاد الجدد يعتقدون أنهم يتناقشون في المنهج ولديهم نزعة لوصف أي اكتشاف جديد بأنه منهج جديد.

ويجيب صاحبه قائلا: «نعم أعتقد أن هناك إفراطاً اليوم في استخدام كلمة منهج لأنها توحي بفكرة مشروع علمي، ويجري استعمالها في الواقع لتدل على أنظمة للتأويل مسبقة وعلى اجراءات تحكمية هي أحياناً على ما أعتقد مناقضة للفكر العلمي»[١١].

ويرجع تودروف ليقول لصاحبه محاوراً: إنك تعتبر أن النقد الجديد لم يأت بأي جديد وأن الأفكار والافتراضات هي ذاتها منذ مائتي عام وربما أكثر؟.

ويجيب محاوره قائلا: إن النقاش في الحقيقة حول هذه النقطة صعب بسبب غموض مفهوم النقد الجديد نفسه إذ يجري إطلاق هذه التسميات على نزعات مختلفة جداً مدارية، ماركسية تحليلية نفسية بنيوية سيميائية.. الخ.. ولا يمكن إنكار أن معظم هذه التسميات الملصقة إما أنها سبق استعمالها في الأجيال السابقة وإما أنها تحتوي تحت أسماء أخرى بعض البذور المبكرة في النقد التقليدي، لم يكن هذا النقد - التقليدي - يجهل تماماً لا الاعتبارات النفسانية أو الاجتماعية ولا أخذ المدارات أو الأشكال والصور بعين الاعتبار، صحيح أن عصرنا قد افتتح في كل من هذه الاتجاهات نهوجاً جديدة يجدر تحديد خصبها في كل حالة على حدة، إلا أنها من مدرسة لأخرى أبعد من أن تتطابق»[١٢].

ويعترف هذا الناقد الفرنسي بأن هذه المناهج النقدية الجديدة لا تُعنى بالدلالة الظاهرة للنصوص، وأنها تؤثر لغة متخصصة لا يمكن للكاتب العادي ولوجها، مقلدة بذلك العلوم التجريبية، ويقول: «ويوشك النقد الأدبي في تصنعه لوضع مماثل لذلك

**** محاكمة تراثنا الشعرى والأدبي بما يأتى من الغرب من نظريات عمل تنقصه الدراية والمصداقية**

الذي في العلوم أن يقوض حقيقته الخاصة وأن يفقد الاتصال بموضوعه».

وفي ختام هذا الكتاب الخطير الذي ينبغي أن يقرأه دعاة التقليد لمذاهب الغرب في بلادنا قراءة واعية، يبين لنا تودروف كيف راجع نفسه وكيف تغيرت مفاهيمه بعد لقاءات وأحاديث مع مفكرين في مختلف بلاد العالم فيقول: «كانت هذه الأحاديث التى قادتني بين أسباب أخرى مجهولة من قبلي الى مراجعة مصطلحاتي عما هو الأدب وما ينبغي للنقد أن يكون تقع في الواقع على أرض مواتيه. فخلال هذه السنوات ذاتها كان فضولي يقودني نحو قراءة مؤلفات قديمة تتناول الموضوع الذي كان يشغلني إذ ذاك: الرمزية والتأويل. وكانت مؤلفات في البلاغة أو في علم التفسير - يريد تفسير النصوص - في الجماليات أو في فلسفة اللغة كنت قد قرأتها دون أي مشروع تاريخي كنت أبحث فيها بالأحرى عن لمحات لا تزال صالحة، عن أضواء على الاستعارة أو التجسيم أو الإيحاء»[١٣].

**** نقاد الغرب يراجعون آراءهم وافكارهم ويتراجعون عن بعضها، ويبقى نقادنا اوفياء لما تركه اهلوه هناك.**

ثم يقول: «لقد أدركت إذن لكثرة ما قرأت من هذه الكتب القديمة أولا: أن إطاري المرجعي لم يكن الحقيقة المنزلة، الأداة التى تتيح تقدير درجة الخطأ في كل من التصورات السابقة عن الأدب والتعليق على النصوص».

ويعلن أنه كقارىء ليس لديه أي سبب للقيام باختيار وحيد ينفي ما سواه.. وأنه ينبغي ألا يكتفي في النقد بماذا قال؟ وإنما يستكمل بـ : هل هو على حق؟![١٤].

ثم يقول تودروف: «إن تغيير صورتنا النقدية على هذا النحو ليس ممكنا إلا إذا جرى تحويل في الوقت نفسه للفكر المكونة عن الأدب. فمنذ مائتي عام ردد علينا الرومانتيكيون وورثتهم الذين لا يحصون - كل منهم بشكل أفضل من الآخر أن الأدب لغة تجد غايتها في ذاتها. حان الوقت للرجوع الى البديهيات التى من المفترض عدم نسيانها: للأدب علاقة بالوجود الإنساني. إنه - تبًا لأولئك الذين يخشون الكلمات الكبيرة - خطاب موجه نحو الحقيقة والأخلاق. كان سارتر يقول: إن الأدب هو كشف للإنسان والعالم وكان على حق ولن يكون الأدب شيئاً إذا لم يُتحْ لنا أن نفهم الحياة بصورة أفضل»[١٥].

وهكذا كفر تودروف بمقولات الشكلانيين الذين يزعمون أن الأدب هو بنيته اللغوية وأنه لا صلة له بالحقيقة أو الدين أو الأخلاق! ويبلغ تودروف غاية الشجاعة في جهره برأيه هذا الذي ينسف ادعاءات البنيويين المقلدين إذ يقول: «أدب وأخلاق؟! سيصبح معاصري. وأنا بالذات كنت أعتقد مع اكتشافي حولي لأدب مرهون بالسياسة - في بلغاريا - أنه يجب قطع أي صلة للأدب بكل ما عداه وصونه منه. إلا أن العلاقة بالقيم هي من صميم الأدب، ليس لأنه من المستحيل الحديث عن الوجود دون الرجوع إليها

فحسب، وإنما أيضاً لأن فعل الكتابة هو فعل اتصال، مما يتضمن إمكان التفاهم»[١٦].

هذه بعض مراجعات ناقد بنيوي شهير لنفسه.. واعترافه بأن مرجعه السابق لم يكن الحقيقة المنزلة.

فهل يجد دعاة التقليد في مجتمعاتنا العربية لهذه المذاهب المستحدثة - شيئاً من الشجاعة أو الوعي لكي يعيدوا النظر فيها.. ويقللوا من انبهارهم بها وتعصبهم لها وسعيهم لنصرتها وإعلاء صوتها على حساب تخطئة تراثهم والإزراء بثقافتهم ولغتهم وأدبهم؟!.

إنها دعوة لتبين الأخطار التى تحيق بهم وبأمتهم نتيجة لهذا التعصب المذموم وهذا التقليد الأعمى وهذا التخليد لمذاهب بادت في مواطنها الأصلية وأصبحت سخرية للساخرين؟.

إن العالم يقاوم السيطرة الثقافية التى تعني التبعية والعجز عن المواجهة والمناقشة وقد سبق أن سمعنا بتنادي المثقفين والأدباء الفرنسيين بمقاومة السيطرة الوافدة اليهم من عواصم غربية أخرى.

وأخيرا سمعنا عن تنادي المثقفين البريطانيين بتنقية اللغة الانجليزية ولغة الإعلام من الكلمات الفرنسية، أو ليس من حقنا أن نتيح المجال لأدبنا العربي الأصيل ونقدنا البلاغي والذوقي الحافل بأن يحتل مكانه ويقوم بعمله في كشف النصوص وتذوقها بدلا من هذا العناء وهذا التكلف المهين الذي يمارسه أتباع نظريات النقد الجديد في مجتمعاتنا العربية.

إن هناك انقطاعا بين هؤلاء النقاد وبين جمهور المثقفين ومتذوقي الأدب.. ومن ذا الذي يصبر على هذه الإجراءات التعسفية وهذه الإحصائيات والتراكمات والرسوم ليعرف ما يعنيه نص من النصوص؟!

وأين ذهبت بديهة المعرفة وملكة التذوق البلاغي التى كانت تجعل المستمع للشعر العربي يتمايل طرباً وينتشي لذة وتخيلا للآفاق التى يحلق فيها الشاعر؟ فما بالك باستعمال القواعد البلاغية العربية الأصيلة القادرة على الاكتشاف والتحليل والتعليل.. بدلا من هذا الهراء الذي لا ينال منه القارىء إلا الحيرة والعناء؟!

إنها دعوة لعقد حلقات حوارية في النوادي الأدبية الثقافية للكشف عن حقيقة نقدنا الأدبي الأصيل.. ولإدراك المخاطر الناشئة عن هذه التبعية التحكمية التى لا يملك أصحابها فرصة للمراجعة أو المناقشة أو النقد أو تعديل الأفكار.

لعلنا نصل الى كلمة سواء.. تجمع كلمتنا وتصون جهودنا وتقرب بين أذواقنا وتعيد إلينا ثقتنا بأنفسنا.. فلن يرانا الآخرون إلا أتباعاً لهم.. ولن يعترفوا لنا بندية ولا إبداع.. ما دمنا قد أبغضنا ثقافتنا ونفرنا من تراثنا واكتفينا بفتات موائد هؤلاء المولعين بالبدع وتغيير الأزياء والأفكار.

الهوامش :

(١) الأفضليات لابن الصيرفي ص ٢٢٦ - ٢٣٠.
(٢) الأفضليات لابن الصيرفي ١٤٥ - ١٤٦.
(٣) اغتيال العقل للدكتور برهان غليون ص ٢٨٦ - الطبعة الثانية سنة ١٩٨٧م - دار التنوير - بيروت.
(٤) المصدر السابق ص ٢٨٢.
(٥) المصدر السابق ص ٢٨١.
(٦) المرجع السابق ٢٧٩ - ٢٨٠.
(٧) ص ١٦ من الكتاب المذكور.
(٨) المرجع السابق ص ٢٣.
(٩) نقد النقد ص ٦٩.
(١٠) المصدر السابق.
(١١) المصدر السابق ص ١٢٨ - ١٢٩.
(١٢) المرجع السابق ص ١٣٠.
(١٣) المرجع السابق ص ١٤٥.
(١٤) المرجع السابق ص ١٤٨.
(١٥) المرجع السابق ص ١٤٩ - ١٥٠.
(١٦) المرجع السابق ص ١٥٠.





سبق أن ذكرت في الحلقة الماضية أن الأمير جماز بن حسن بن قتادة تولى مكة شرفها الله سنة ٦٥١ تغلبا على ابن عمه الشريف أبى سعد انتزاعا منه ولاية البلدة المكرمة. وكان قد استعان على هذه الحركة بالملك الناصر يوسف بن العزيز الأيوبي سلطان الديار المصرية والشامية شريطة أن يقطع الخطبة عن الملك المظفر يوسف بن عمر بن على بن رسول ملك اليمن. فأعانه الناصر بجيش كبير ودعمه بقوة. فورد الجيش مع الركب الشامي لمساندة الأمير جماز على بسط ولايته للبلاد الأبطحية وكان ذلك في شهر شوال سنة ٦٥١ للهجرة. وبعد ذلك نقض العهد الذى عاهد عليه الملك الناصر من الخطبة باسمه وخطب للملك المظفر يوسف بن عمر ملك اليمن.

وظل عليها حتى آخر يوم من شهر ذى الحجة الحرام من نفس العام. فتسلمها منه عمه: السيد راجح بن قتادة، وهرب الأمير جماز الى ينبع وهو جد أشراف ولاة ينبع على ما ذكره الإمام الفاسي في تاريخه العقد الثمين. وخلفه عليها:

الشريف راجح بن قتادة بن ادريس بن مطاعن الثائرى الحسنى رحمة الله عليه:

وتولى مكة شرفها الله، وكان له ولايات سابقة للديار المكية المشرفة مرات عديدة مع جيش اليمن الرسولي ولاء لملوك اليمن غير أنه لم يستقر فيها. وكان قد سعى لولايتها مرات عديدة مع الجيش الرسولى ولكنه لم يفلح فيها. فعاش بظاهر البلدة المحرمة مناهضا لأخيه الحسن. وكان يستشرف لولاية البلدة المعظمة منذ أن توفي والده وكان يرى نفسه أهلا لذلك لكونه كان أكبر أولاد أبيه قتادة. ولما ضاق به الحال رحل الى اليمن وسكن بها. حتى تولاها مستقلا بها في هذه المرة في سنة ٦٥٢ للهجرة خلفا للأمير جماز المتقدم ذكره على ما ذكره الإمام الفاسي في شفاء الغرام. وقد أخذ الأمر سلما من ابن أخيه. وكان السيد راجح بن قتادة رجلا شجاعا مقداما بطلا. وكان بارعا طويلا ذا قامة في قامات الرجال. وكان إذا نهض وصلت يداه الى ركبتيه من طولها. وكان عظيم الشأن قوى الشكيمة كما ذكره العلامة السيد أحمد الداودى في عمدة الطالب، وظل عليها قليلا فلم يهنأ بها فانتزعها منه ابنه:

الأمير الشريف غانم بن راجح بن قتادة الحسنى رحمة الله عليه:

فتولى إمارة الديار المكية المشرفة في شهر ربيع الأول سنة ٦٥٢ للهجرة الشريفة على ما ذكره الإمام الفاسي في شفاء الغرام. ولم يسمح لوالده السيد راجح بأن يهنأ بولايته التي سعى واستشرف اليها منذ سنين عديدة.

ولكن كما ورد في الأثر: كما تدين تدان وبالكيل الذى تكيل تكال. فلم يهنأ هو الآخر بهذه الولاية حيث خرج عليه من يناوئه وينافسه على الحكم فأخذها منه ابن عمه السيد أبو نمى في شهر شوال من العام نفسه عنوة وقتل خلالها ثلاثة أنفس. فكانت مدة ولايته بضعة أشهر. فلم يلبث الشريف أبو نمى الا قليلا حتى ذهبت منه على يد:



السيد ضياء محمد عطار

- المدينة المنورة -

الأمير القائد مبارز الدين علي بن برطاس بن الحسين اليماني رحمة الله عليه:

فتولى الأمر بالبلد الحرام في الخامس والعشرين من شهر ذي القعدة الحرام سنة ٦٥٣ للهجرة الشريفة كما ذكره الامام الفاسي في شفاء الغرام. وكان الملك المظفر يوسف بن عمر الرسولي ملك اليمن قد سيره على رأس جيش قوامه مائتي فارس. فقدم بهم مكة شرفها الله بقصد انتزاع الأمر من السيد أبي نمي فقاومه الأمير ابو نمي بمن معه من القوة فالتقى الفريقان في مكان يسمى قوز المكاسة، وهي اليوم قوز النكاسة بأسفل مكة شرفها الله وسكانها اليوم جيل كبير من أبناء البورما والبنقلاديش من المسلمين، وانحسرت المعركة عن هزيمة السيد ابى نمى وقتل من قتل في هذه المعركة فدخل القائد بن برطاس ظافرا الى البلاد الحرمية ومعه الأمير جماز بن شيحة الحسيني أمير المدينة الشريفة يوم ذاك. وحج بالناس من عامه ذلك وظل عليها حتى يوم السبت السادس والعشرين من شهر الله المحرم سنة ٦٥٣ للهجرة المباركة.

فبرز الأمير أبو نمي وشريكه الشريف ادريس مهاجمين للأمير علي بن برطاس بقوة عسكرية عظيمة فدار القتال بينهما داخل الرحبة الحرمية فمنى الأمير بن برطاس بالهزيمة، فتم أسره خلال هذه الحملة بعد أن أحكم عليه الحصار وامتلأ الناس بمكة شرفها الله رعبا، ثم إنه فدى عن نفسه بمال واشتراها منهم ففارق البلدة المعظمة ناجيا بنفسه الى اليمن بمن معه من الجنود، فكانت مدة ولايته نحوا من ستين يوما، فخلفه على ولاية البلدة المحرمة:

الأمير الشريف ادريس بن قتادة بن مطاعن الثائرى الحسنى رحمة الله عليه:

فتولى الأمر بمكة شرفها الله بعد هذه الأحداث ومعه شريكه السيد أبو نمي الأكبر فظلا عليها حتى سنة ٦٥٤ للهجرة فدب الخلاف بين الشريكين فغضب السيد ادريس على السيد ابى نمى وفارق مكة شرفها الله فبقى على ولايتها الشريف ابو نمى وحده. ثم عاد الشريف ادريس الى الرحاب الأبطحية فوقع بينهما الوفاق، وظلا عليها مدة ثم وقع الشقاق بينهما وهذه أحداث كثيرة ومتشابكة ولا يمكن حصرها في هذه المقالة وقد ذكرت بعض تفاصيلها في كتابى جلاء العينين.

وقد ظل الأمير ادريس يتجاذب الأمر مع شريكه الشريف ابى نمى حتى وقع بينهما مواجهة في مكان يسمى خليص بين مكة المشرفة وودادى قديد فطعن بالسلاح والقى عن جواده ثم احتز رأسه وتم قتله وبذلك انتهت ولاية الأمير ادريس وكان ذلك في سنة ٦٩٩ للهجرة تقديرا، وكانت مدة ولايته نحوا من ست عشرة سنة وبضعة أشهر حسب تقديرى أنا. وحددها الإمام الفاسي انها سبع عشرة سنة ويبدو أنه بالتقريب لا بالتحديد، وحددها العلامة عز الدين بن فهد الهاشمي في غاية المرام أنها أربع عشرة سن، وقد تولى خلال فترة ولايته:

الأمير السيد جماز بن شيحة الحسينى أمير المدينة الشريفة رحمة الله عليه:

فتولاها في شهر صفر الخير سنة ٦٧٠ للهجرة الشريفة مشاركة مع الشريف غانم بن ادريس بن قتادة أمير ينبع وانتزعها بالقوة. ولكنه لم يمض الا شهر واحد وبضعة أيام حتى أخرج منها، وكانت ولايته مرتين كما ذكرها الامام الفاسي في شفاء الغرام، وكان الأمير جماز قد جاء بمدد عسكرى من السلطان المنصور بن قلاوون للمرة الثانية وخطب له بالمسجد الحرام بالإمارة وضربت النقود باسمه أيضا، ثم سقى السم فاعتل جسمه فترك البلد الأمين وعاد الى المدينة الشريفة اثرها، وكانت الولاية الثانية له في سنة ٦٨٧ للهجرة.

- للحديث بقية -

النص وظاهرة الفراغ والانضغاط الملفوظي

فيما يبدو أننا أمام حالة هي استثناء في الخطاب، فهي ليست ضمن خاصياته الملازمة لتصور مفهومه وإنما تجيء في سياقات جد محدودة وغيابها لا ينجر عنه تفكك في بنى اللغة.

فالنص باعتباره كتلة من الفجوات أو الفراغات على مستوى اللغة أو الألفاظ يعنى مبدئيا أن الوحدات اللغوية يفترض فيها ـ من منظور أداتي كمي ـ القول اقل مما نفهم، أي انه ليس هناك من تكافؤ ومجانسة بين اللغة والمعنى.

ولكن في واقع الأمر نحن نعتمد القليل من الألفاظ لإفادة قدر كبير من المعاني، ولا أريد أن أتحدث هنا عن الإحالة التى تعود بنا الى الواقع، أو الإحالة التى تقودنا إلى قرائن لفظية سابقة أو لاحقة لتركيب ما أو فقرة ما.

نحن هنا لن نتحدث عن الاختزال المألوف الشائع الذى لا يخلو منه كل نص مهما كان نوعه، وإنما نتوقف عند ظاهرة جد محدودة من حيث درجة شيوعها في النصوص من جهة، ومن حيث درجة الانضغاط أو التكثيف الذي يكاد الاختزال الأداتي الكمي يبلغ فيه مسح الحضور اللفظي نهائيا من جهة ثانية.

ولكن مجازفة الغياب اللفظي لا تقود بالضرورة إلى مجازفة الغياب الدلالي المضموني، بل على العكس من ذلك فكلها امتلاء يغيب معه كل إمكان طالما أن كل الإمكانات اختزلت في إمكان فعلي واحد على مستوى مضمون النص.

ولكى لا تكون المعالجة مجرد طرح نظري يتجاوز حقائق النص الفعلية اعتمدت جملة من الشواهد المأخوذة من العربية الفصحى كدليل ارتكاز.

١ـ إسفنجية النص :

إن النص في حالتنا هذه لا ننظر إليه باعتباره جملة من العلاقات التى تربط بين وحداته التى تكون أجزاءه، وإن كان جوهره مؤسساً في جميع الحالات على مبدأ الترابط أو ما يسمى بالاتساق والانسجام، ولكي نحدد الفكرة الجديدة التى أردنا إثباتها يجب أن نحدد المنطلقات التى على ضوئها نطرح مفهوم الإسفنجية والانضغاط الملفوظي ومفهوم التفكيك.

إن الاسفنجة (قطعة من الإسفنج) من حيث المبدأ تملك شكلا بغض النظر عن طبيعة الشكل، وتملك حجما بغض النظر عن نوع الحجم وسعته. وتملك أبعادا يمكن قياسها بغض النظر عن مسافة تلك الأبعاد، والنص باعتباره ملفوظات لا يعدو أن يكون شكلا وحجما وأبعادا.

والاسفنجة من حيث المبدأ أيضا مرنة قابلة للتشكل بالزيادة والنقصان والتشويه، والتشويه هنا نعني به مجرد تغيير في الشكل؛ والمرونة تلك لا أقصد بها قابلية الجسم للتغير فحسب ـ أي أن الجسم يأخذ شكله بحسب إرادتنا أو بالأحرى بحسب فعلنا أو أثرنا المادي تجاهه ويظل على الحال التى آل إليها ـ وإنما مقصودنا هو أن الحال التى يؤول إليها الجسم ـ وهنا الاسفنجة هي مجرد وضع مؤقت أو شكل طارىء ـ لا يفتأ أن يعود إلى وضعه السابق المستقر خارج سلطة الأثر المادي.. ومن هنا يمكن القول أن في وضع وشكل وحجم الجسم الطارىء يوجد شكل وحجم وأبعاد الجسم قبل تغييره فقط، وهي حالة واحدة، هو وضع الاستقرار؛ وبالمقابل يوجد في شكل وحجم وأبعاد الجسم قبل تغييره قائمة لا نهائية أو عدد كبير من الأوضاع (أشكال وأحجام وأبعاد) الممكنة التى يقبل الجسم الإسفنجي أخذها في حالة الأثر المادي..

عبدالرحمن مشنتل

- الجزائر -

وبإحداث الحالة الطارئة نكون قد ألغينا كل الممكنات الطارئة الأخرى.

إن في الاسفنجة نوعاً من التماسك الغريب بين العناصر فيها، إذ ذلك التماسك والبناء يقبل أن يؤول الى أنماط عديدة ولكنه رغم تنوع الإمكانات الطارئة فإنها تأخذ في مسار العودة وضعا واحدا أو نمطا قارا مشتركا.

وبإسقاط ذلك على مفهوم النص باعتباره اسفنجة نلاحظ انه لا يمثل امتلاء ملفوظيا إلا على المستوى النظري، أما واقع الحال فانه يقودنا الى **اعتبار النص جملة من الفجوات والفراغات**، ومن ثمة يمكن القول أن شكل وحجم نص الفجوات والفراغات (وهو نص الإحالات) مختلف بالنقصان عن النص في مستواه النظري وهو حالة الامتلاء الملفوظي. وإذا قلنا إن النص باعتباره دلالة يخضع بالضرورة لمبدأ الامتلاء المضموني ـ ولعل كل قراءة غايتها لا تعدو أن تكون سوى محاولة أو مقاربة في الملء ـ فانه على العكس من ذلك يكون النص باعتباره ملفوظات محاولة في الإفراغ لربح فواصل زمنية على المستوى المنطوق، ولربح مساحات مكانية على المستوى المكتوب، وفي كل الحالات هو محاولة في تقليل الجهد واختزال الزمن، ولكن تلك المحاولات الاقتصادية عادة ما يلازمها وعي نخبوي ـ من قبل الدارسين المختصين في قضايا الخطاب ـ بالصورة النظرية التى تمثل حالة الامتلاء الملفوظي. **وحالة الامتلاء الملفوظي تتشكل بتشكل حالة الامتلاء المضموني**، فالملفوظ في محاولة درامية لبلوغ الأشكال النهائية للمعنى.

ولكن الحالة التى نحن بصددها لا تتعلق بالمحاولات الدرامية لبلوغ المستحيل المضموني، وإنما فقط محاولة تتعلق ببلوغ الممكن أو الضروري الذي يفرضه الاتصال العادي أي تقريبا القائم على مبدأ الإبلاغ المحدد.

٢ـ التحديد الاصطلاحي :

قد يبدر سؤال مفاده: لماذا تستخدم مصطلح الانضغاط مع أن هناك مصطلحا في العربية شائع وهو مصطلح التكثيف؟.

الحقيقة أن المعنى الذى يتوافق ومفهوم الإسفنجية يوجد في مصطلح الانضغاط لا التكثيف، فالمصطلح الأول يفيد أن هناك مرونة وقابلية التشكل في لغة النص وتلك المرونة والقابلية هي التى تسمح بتقليص الأبعاد أو زيادتها تحت فعل الأثر المادى، أو بالتحديد فعل الفرد تجاه الكم الملفوظي، ثم بعد ذلك عودة الأبعاد الى حالتها الأولى أو المستقرة.. أما المصطلح الثاني الذى هو التكثيف فان ما يفيده هو اختزال الأبعاد أو المسافات أو المساحات الشاغرة بين الوحدات أو العناصر بنسبة ما فقط.. وبهذا الاعتبار فان الانضغاط يشمل في جانب من جوانبه معنى التكثيف ولكن التكثيف لا يفيد معنى الانضغاط، ومع ذلك استخدمت مصطلح التكثيف حتى أمكن المطلع على فهم ما أود إفهامه فيما تعلق بالانضغاط.

وقد يبدر سؤال آخر مفاده: لماذا استخدام مصطلح الانضغاط طالما أن المفهوم لا يعدو أن يكون حذفا؟ ولهذا فمن المستحسن استخدام المصطلح البلاغي النحوي والاكتفاء بذلك ومجاراة علماء العربية في استخدامهم لمصطلح الحذف؟.

يعتبر الدليل الذى تأسس عليه هذا التساؤل مقبولا للوهلة الأولى نتيجة الالتباس الحاصل في إدراك الفارق الاصطلاحي بين المفهومين، إذ يبدو أن الانضغاط الذي تختزل فيه الوحدات لا يعدو أن يكون حذفا، ولعل القرائن المادية في مفهوم الحذف أكثر حضورا منها في مفهوم الانضغاط وهي التى تجعل استخدام مصطلح الحذف مستساغا ومقبولا؛ ولكن المسألة هنا بالذات تحتاج الى شيء من التوضيح.

إن النحت في العربية ما هو إلا عملية انضغاط.. وللحصول على اللفظة المنضغطة لابد من حذف بعض حروف الكلمتين وفق قواعد أو شروط محددة، فالنحت كظاهرة لغوية يفهم على أنه عملية اندماج وتداخل أكثر من وعينا له على أنه عملية حذف. والإدغام لا يعدو أن يكون عملية في تيسير الربط بين كلمتين أو (مورفيمين) أي تليين العقبات النطقية الخفيفة وفق شروط تتعلق بالحروف المدغمة.

وفي جميع الحالات أن الانضغاط يقتضي الحذف والحذف لا يقتضي الانضغاط، إن الانضغاط هو الفكرة التى تقودنا والحذف هو الوسيلة التى بأيدينا والمبرر الذى يرضينا، وزيادة في الإيضاح أن (الأنافورا) أو الضمائر المتصلة باعتبارها إحالة على سابق لا تعدو هي أيضا أن تكون انضغاط مضمر ليس من السهل كشفه أو هو انضغاط تحول إلى مرحلة متقدمة من الخفاء والتعقيد.

ولتوضيح ذلك نقدم هذه الأمثلة:

المثال الأول: «إن درس اللسانيات يمكن فهمه».

المثال الثاني: «إن عبارات النص من الصعب شرحها».

إن «هـ» في (المثال الأول) = درس اللسانيات. والدليل يظهر في عملية اعادة التوزيع للوحدات على الشكل التالي حيث تختفي الـ «هـ» : «يمكن فهم درس اللسانيات». ومن ثمة يمكن الحديث عن الشكل البدائي للعبارة طالما أن الانضغاط الملفوظي هو نتيجة مرحلة متقدمة من تطور العقل البشري أو العقل الاتصالي اللغوي إذا أردنا التحديد: «إن درس اللسانيات يمكن فهم درس اللسانيات».

والأمر نفسه مع المثال الثاني فـ «ها» في شرحها = عبارات النص. والدليل يظهر في عملية إعادة التوزيع للوحدات على الشكل التالي حيث تختفي الـ «ها» : «من الصعب شرح عبارات النص»، والشكل البدائي للعبارة هو: «إن عبارات النص من الصعب شرح عبارات النص».

ولكن العقل اللغوي الاتصالي اكتشف في مرحلة من مراحل تطوره أن هناك أشكالا بدائية ما تزال تهيمن وتشكل بذلك خرقا للمرحلة الجديدة. ومن جهة أخرى أن التضخم اللغوي أخذ في الزيادة وهو أساسا تضخم تركيبي لا لفظي كما لاحظنا ذلك في الجمل أو التراكيب البدائية، وهي بلا شك زيادة لفظية مضاعفة لنصف معنى. والعقل ذلك الذى اكتشف أزمة الخرق أو التناقض مع النظام الجديد، وأصبح على وعي بإشكالية الزيادة المفرطة والكلفة العبثية على مستوى الألفاظ اهتدى إلى الحل التالي:

إن الانضغاط هو المفتاح لأن عملية الانضغاط هي محاولة في الإبقاء أما الحذف فهو إلغاء والملغى لا يمكن إعادته أما المنضغط فمن السهل فكه وإعادته الى وضعه السابق.. وهذا يصدق على الجمل أو التراكيب المنضغطة أي ما آلت إليه الجمل أو التراكيب البدائية بعد مرحلة التطور (التراكيب التى يوجد فيها العائد الإشاري أو الأنافورا Anaphora)، ولكن الانضغاط حال دون تحقيقه ماديا الطبيعة المادية للأصوات من جهة أولى والخوف من استعمال لغة موازية ممثلة في المنضغط المادي النسبي كما هو الشأن في النحت، فالنحت في اللغة هو استثناء ومن ثمة كانت ألفاظه قليلة جدا بالنظر الى كم الألفاظ في مجمل المعجم اللغوي؛ إذ أنه لو كان بالإمكان نحت كلمة من كل كلمتين فأكثر لكانت قائمة الألفاظ المنحوتة فقط من بين ألفاظ اللغة ككل مفتوحة ولا نهاية بأتم معنى الكلمة طالما أن النحت تشكيل، تشكيل (حروف ــ> كلمات بسيطة ــ> كلمات منحوتة).

ولتجاوز التنوع أو التعدد وكثرته في المنضغط من الألفاظ لابد من البحث في طريقة تبقى التجانس والوحدة على مستوى اللغة والتنوع على مستوى المعاني أو المحافظة على تمايز المعنى واختلافه: فالعائد الإشاري أو الأنافورا Anaphora «ـهم» واحد في شكله ومتعدد أو متنوع في ما يشير إليه؛ ولفك المنضغط (العائد الإشاري أو الأنافورا Anaphora «ـهم») نعتمد القرائن اللفظية وغير اللفظية أو نعود الى المفتاح السياقي بنوعيه اللغوي وغير اللغوي؛ ومما لا شك فيه أن «ـهم» ليست اختزالا بالحذف لجملة بعينها؛ إذ لو كانت كذلك لتنوعت الأنافورات (Anaphora) باختلاف التراكيب وتنوعها.

إن المحاولة التى قمت بها لا تعدو أن تكون تفسيرا وقراءة لظاهرة شديدة الارتباط باللغة ومحاولة في كشف ما لا نرغب في كشفه لأنه فيما يبدو

يتعارض مع المسلمات المؤطرة بخبرات الواقع أو قوانين الطبيعة؛ فنحن ندرك غياب العناصر وحضورها لأننا نتعامل معها بحواسنا فقط؛ فطالما أننا لا نسمع الكلمات التى يفترض أن نسمعها ولا نرى العبارات باعتبارها مكتوبة تلك التى يفترض أن نراها فإننا نزعم أنها محذوفة أو كانت موجودة وقمنا بإزالتها والحقيقة أن ما لا نقبله في الانضغاط يفترض أن لا نقبله في الحذف طالما أن الحذف في ذاته قائم على التقدير والافتراض، إننا في عبارات المتكلم لا نلمس الحذف والوعي به من قبله.

إن متكلم اللغة (لا الدارس أو الباحث في قضاياها) لا يعرف أن هناك حذفا لعناصر كان يفترض به أن يضعها أو لا يضعها، وإنما ذلك الدارس هو الذي يزعم معتقدا أن مستعمل اللغة حذف شيئا من كلامه والحقيقة أن المتكلم يقول ويبني دون أن يزيل أو يحذف. إنه يفترض أن يفهم من الحذف إزالة بعد إنشاء حقيقي وإخفاء بعد ظهور فعلي وليس إزالة أو إخفاء، وإنشاء أو ظهورا افتراضيين أسَّس لهما الدارس وجودا فعليا باعتماده على استقراء الجمل والتراكيب، تلك التى هي لمتكلم آخر وليست لمستعمل اللغة (عينة الدراسة).

واختصارا للقول نقول:

أولا: إن مهمة الباحث هي تفسير الظواهر لا جرها الى حظيرة الرغبة.

وثانيا: محاولة التخلص من سيطرة المفاهيم البسيطة القائمة على سلطة المألوف والخبرات المترسبة، وفي هذه الحالة علينا أن نفرق بين سمة الوضوح في الحقيقة كما هي ووضوحها في عقولنا، ومن ثمة وجب عدم اعتماد الغموض مبدئيا كدليل للرفض حتى يتم التأكد من صحة الأفكار.

٣- حول مفاهيم: الفراغ أو الخواء الملفوظي ومبدأ الإفادة والاقتصاد اللغوي:

إن النص عند (فان دايك) لا يعدو أن يكون خواء أو جسما من الفقاعات الهوائية. وذلك الخواء في بعض أجزاء الجسم هو الذى يجعل النص كتوما لمضامينه: «لقد لاحظنا مرات عديدة أن لغة التخاطب الطبيعي ليست صريحة، ذلك أنه توجد قضايا لا يقع التعبير عنها تعبيرا مباشرا، ولكن يمكن استنتاجها من قضايا أخرى قد عبر عنها تعبيرا سليما، فإذا تعين أن سلمت مثل هذه القضايا الضمنية لغاية إثبات ضروب التأويل المتسقة صارت تلك القضايا شاهدة على ما يدعى بوجود الحلقات المفقودة»[١].

إن (فان دايك) بلا شك يرى أن هناك مستويين، المستوى المادي اللفظي والمستوى المضموني الدلالي. وأنهما ليسا على القدر نفسه من التكافؤ الحجمي. وأن هناك قضايا تقوم بوظيفتين وظيفة على المستوى الذاتي الداخلي أي أن القضية تدل على ذاتها من حيث هي مضمون وعلى المستوى الخارجي وتدل على غيرها من القضايا التى تدل على مضمونها دون أن تفصح عن كل شيء.

وفي ضوء جدلية اللفظ والإفادة، يرى ابن هشام أن المراد باللفظ في تعريف الكلام هو الصوت المشتمل على بعض الحروف تحقيقا أو تقديرا وأن المراد بالمفيد ما دل على معنى يحسن السكوت عليه[٢].

إن الشطر الأول من تعريفه المتعلق باللفظ أي بالجانب الكمي المادي «تحقيقا أو تقديرا» يدل على أن الإفادة لا تنشأ من الحضور الفعلي للفظ على مستوى الخطاب أو النص، وإنما قد تنشأ من دون الحضور الفعلي للفظ؛ ولكن ما نتحدث عنه بهذا الصدد هو إفادة تنشأ من قرائن لفظية سابقة أو لاحقة للعبارة غير المكتملة أي التى تم تقدير ألفاظها؛ والسبب في ذلك أنه لا يمكن تقدير ما هو محذوف إذا لم تكن هناك ألفاظ لها وجود فعلي، إن الموجود هو نقطة الارتكاز لتقدير المحذوف.

أما ابن عقيل في تعريفه الكلام على ضوء جدلية اللفظ والإفادة «اللفظ المفيد فائدة يحسن السكوت عليها»[٣]. يذهب في شرحه إلى أن المستوى اللفظي هو الذي يحدد الإفادة، وأن الإفادة تنشأ داخليا من العبارة، أي أن الكلام معزول عن البقية، وإذا صح التعبير فإن المنظور النحوي في هذه الحالة يبني الإفادة أو الامتلاء المضموني على مبدأ الحضور الفعلي للفظ من جهة، ومبدأ العزل من جهة ثانية.

ولا شك أن هذا الاكتفاء بكم لفظي يكافؤ قدرا من الحضور المضموني الدلالي أو تصوره يتعارض مع الطبيعة الإسفنجية للنص أو مبدأ الفجوات التى يقوم عليها الخطاب، وأن هذا التصور في أحسن الحالات لا يلغي الطبيعة التى تحدثنا عنها بقدر ما أهملها بعدم الذكر، إنه لا يلغي صراحة ولكنه لا يؤكد ضمنا.

وحتى لا يؤخذ علينا الاعتماد على رأي النحاة الذين تورطوا في مبدأ الإفادة والفجوات في ضوء الجملة لا النص، نعتبر أن الصلة بين نحو الجملة ونحو النص وثيقة الى الحد الذي لم تنجح معه كل محاولات التمييز بينهما إلا أن ذلك لا يعني التماهي بينهما تماما ـ للحدود[٤].

وعلى ضوء ذلك هناك علاقة وطيدة بين الجملة والنص والإفادة في مسألة الترابط النصي والإحالة يريان أن أهم ما يحدد ما إذا كانت مجموعة من الجمل تشكل نصا يقوم على أساس علاقات الترابط النصي داخل الجمل وفيما بينها مما يخلق بنية النص.

إن عناصر النص يكمل بعضها بعضا في إفادة المعنى، فالعنصر الأول يفترض الثاني، بمعنى أنه ليس بالإمكان فك شفرته بنجاح إلا بالعودة الى الثاني[٥]. وإلى هذا يذهب (فان دايك): «فتصور البنية الكبرى لا يؤدي الى تصور التماسك الكلي بين وحدات النص الكبرى فحسب، بل يؤدي كذلك الى تصور التماسك الجزئي بين الجمل والمتواليات الجملية أيضا. ومن ثم فإن تحليل النصوص يعتمد على رصد أوجه الترابط والانسجام والتفاعل بين الأبنية الصغرى الجزئية والبنية الكلية الكبرى التى تجمعها في هيكل تجريدي»[٦].

وينظر (فلوريان كولماس) الي العلاقة بين الكم اللفظي المحدود والمعنى أو المضمون الدلالي في إطار ما يسمى بظاهرة الاقتصاد اللغوي. وهي ظاهرة تشمل عديد المستويات أو الجوانب ونكتفي هنا بالتركيز: «على مستوى النظام اللغوي».

إن الاقتصاد كثيرا ما وضع أو بالأحرى تأكد بوصفه مبدأ مكونا، أي الاقتصاد في الأدوات التشكيلية المستخدمة في تمثيل معنى معين. وقد كرس

له (بول paul) فصلا من أفضل فصول مؤلفه الكبير بـعـنـوان (Sparsamkeit im Ausdruck) (اقتصاد التعبير)، وعنده المسألة وفي جميع الحالات، لا تعدو أن تكون ضربا من ضروب الاقتصاد ،:«سواء استخدمت الوسائل اللغوية باقتصاد أو بإفراط فإن هذا يعتمد على الاحتياجات، ولا يمكن إنكار أن هذه الوسائل كثيرا ما تستعمل بإسراف. ولكن كلامنا على العموم يحمل ملامح اقتصاد معين». وبالنسبة لـ (بول) أيضا فإن هناك قاعدة جد مهمة «في كل موقف يجب أن تصا غ أشكال التعبير دون أن تحتوي على أكثر مما يحتاج إليه إمكان فهمها من قبل المستمع»(٧).

أما (موسر Moser) فإنه يميز بين ثلاثة أنوا ع من الاقتصاد اللغوي: وهذه الأنوا ع تكمن أهميتها في كل عملية انضغاط ويمكن حصرها في الآتي:

أ ـ الميل إلى استخدام الوسائل اللغوية باقتصاد، وبالتالي التقليل من الجهد الفيزيقي والذهني اللازمين لإنتاج الكلام، وكذلك تطوير وضبط تلك الوسائل.

ب ـ بذل الجهد لتحسين كفاءة الوسائل اللغوية.

جـ ـ الميل نحو إزالة اختلافات الأنماط الاجتماعية من أجل الاستجابة بشكل أفضل للاحتياجات الاتصالية.

ويشير النوع الأول فيما سبق الى الاقتصاد في النظام اللغوي، والثاني الى الاقتصاد في نقل المعلومات، والثالث إلى التوسيع الاقتصادي لمجال اللغة الموحدة[٨].

ويبدو الحذف عند عبد القاهر الجرجاني هو شكل من الانضغاط الملفوظي الذي تتكثف من خلاله المضامين الدلالية، فصاحة وإفادة وبيانا. إنه: «عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق. وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن، وهذه جملة قد تنكرها حتى تخبر، وتدفعها حتى تنظر»[٩].

بهذه الرؤية نكشف عملية الانضغاط المكثف للألفاظ، ومع ذلك يبدو الكم اللفظي المختصر جدا أقدر على احتواء المعاني الكثيرة والدلالات المتنوعة، ولكي نفهم تلك المعاني الكثيرة والمتنوعة يلزمنا الرجوع الى القرائن اللفظية السابقة أو اللاحقة أو معا والمقام. فالسياق اللغوي وغير اللغوي يعتبر البرنامج الذي يفك به الانضغاط الملفوظي، إذ لا يفهم إلا على ضوئه. لماذا برنامج لأنه أشبه بعمل الحاسوبيين، ففي عرفهم هناك ملفات منضغطة ولقراءتها لابد من برنامج تفكيك للمنضغط يحدد في Winzip أو في أي برنامج وظيفته فك المنضغط من الملفات وهذا يعني أن دون البرنامج المفتاح لعملية الانضغاط يستحيل قراءة الملف. والأمر نفسه سواء بسواء.

ويعتقد (بول Paul) **أن الكم اللفظي يخضع لسلطة السياق بنوعيه اللغوي وغير اللغوي.** وبهما فقط تتم عملية التفكيك: و«إن ظاهرتي النقص ellipsis (اليونانية elleipsis «نقص») والتمام اللتان تظهران أن التراكيب الناقصة المقبولة قواعديا grammat-icalized ، هي عناصر رسوبية لتمام معنى المنطوقات عن طريق محيطها السياقي ومحكوميتها بالموقف اللغوي[١٠].

٤. شواهد حول الانضغاط الملفوظي :

وبعد أن تناولنا المسألة من جانبها النظري نحاول الآن التطرق إلى أمثلة عديدة من خلالها نبرز ظاهرة الانضغاط الملفوظي وكيفية فكه. وما تجدر الإشارة إليه في هذا الشأن أن الإحالة غير متوقعة خلافا لما هو الأمر عليه في الضمائر فإن إحالتها على السابق أو اللاحق متوقعة باعتبارها مألوفة.

قال زهير بن مسعود الضبي :

فخير نحن عند الناس منكم

إذا الداعي المثوب قال يالا

عقب ابن جني على ذلك بقوله: (يالا) يريد يا لبني فلان[١١].

فـ : يا لا = يا لبني فلان

يا + لا = يا + لبني فلان

وبعد اختزال المتشابه بين القيمتين نحصل على المعادلة اللغوية البسيطة:

لا = لبني فلان ،

فـ «لا» منضغطة عن «لبني فلان».

لكن السؤال المطروح: كيف عرفنا أن «لا = لبني فلان» الجواب أن السياق هو الذي دل على ذلك كون القرينة اللفظية السابقة صريحة في ذلك: «إذا الداعي المثوب قال يا» وكلها فيما يبدو تنتمي للحقل الدلالي نفسه «حق ألفاظ النداء وطلب النجدة» الداعي + المثوب وهو الذي يدعو الناس للحرب يستنصرهم + قال (القول) + يا (حرف نداء).

أما السؤال الثاني : فلماذا حدد المفكك في «لبني فلان» دون غيره من العبارات. الجواب على ذلك يعود الى الأسس الثقافية التى قامت عليها الحمية والنصرة في العصور العربية الأولى، إن القبيلة هي البديل عن الأفراد والدول، فالفرد يتماهى أو يذوب في القبيلة فروحه في روحها، وقيمته من قيمتها والعكس استثناء؛ كما أن الدولة لم تتبلور فكرتها في ذهن العربي، لأن الدولة هي نتيجة للوعي الجماعي بالمصالح والعلاقات المتنوعة والمتداخلة، أو هي مرحلة من تنظيم المصالح الفردية والجماعية على أسس من الوعي الخلاق بالتعارضات الطبقية.

وما نود أن نشير إليه هو أن ابن جني أخذ الهيكل المجرد باعتباره قالبا، فعلى الرغم من أن الشاعر له انتماء لقبيلة بعينها نجده تجاوز التحديد، وهذا التجاوز هو الذي يعطي قائمة مفتوحة من الإمكانات. فـ: يا لبني فلان = يا لبني تميم أو يا لبني سليم أو يا لأسد أو يا لقيس أو يا ... الخ.

وبإجمال، نلاحظ أن «يا لا» إحالة غير متوقعة بهذا الشكل وهي استثناء في الخطاب، والذي يجعلنا نقبلها هو وضوح دلالة القرينة اللفظية السابقة لها.

وقال خليفة بن براز من شعراء الجاهلية:

تنفك تسمع ما حييت بهالك حتى تكونه[١٢]

فالهاء في تكونهَ هيَ انضغاط لـ «أنت الهالك»

هـ = أنت الهالك

والقرينة اللفظية السابقة هي التى أفادت هذه الصيغة أو هذا الشكل من العبارة.

ففي الهاء حجم دلالي يكافؤ أو يساوي الحجم الدلالي لـ «أنت الهالك»، فأنت الهالك تفيد مباشرة، أما الهاء فتفيد من خارجها.

أنـت الهالك ـــ> (معناها) في «أنت الهالك»

أمـا «هـ» ـــ> (معناها) في «تنفك تسمع ما حييت بهالك حتى تكونه»

وإذا كان الحجم الدلالي متكافئا فالحجم اللفظي المادي غير ذلك.

هـ = أنت الهالك.

هـ = أ + ن + ت + ا + ل + ها + ل + كـ

ا = ٨ ، إذن الكم المادي المنضغط هو ٨ - ١ = ٧.

وبهذا ومن منظور اقتصادي لغوي يفهم المعني بأقل ما يمكن من العبارة.

ويشير الزمخشري في مفصله الى «إن» المكسورة تخرج إلى معنى أجل.

قال الشاعر عبد الله بن قيس الرقيات :

ويقلن شـيب قـد عـلا ك وقـد كـبـرت فـقلت إنه

فـ «إنه» حرف جواب بمعنى نعم، والهاء للسكت، والشاهد فيها مجيء أن حرف تصديق كما تأتي له أجل[١٣] ولكن التخريج الذي ذهب إليه الزمخشري يفترض تجاوزه وفق مبدأ الانضغاط فالزمخشري يجعل «إن» مرادفا لـ «أجل» أو «نعم».

إن = أجـل ، إن = نـعم.

إ + ن + ن = أ + ج + ل ، إ + ن + ن = ن + ع + م

وإن كانت مسألة الترادف لا علاقة لها بمبدأ الانضغاط ولا علاقة لها بالاقتصاد اللغوي طالما أن الكم اللفظي في «أجل» أو «نعم» هو نفسه في «إن» إلى حد بعيد.

لكن فيما يبدو أن في «إنه» حذف ما يجب ذكره يفهم من القرائن اللفظية، وما يفهم من تلك القرائن هو الذي جعل الزمخشري يتوهم في معنى «إنه» معنى «أجل»، وتوهمه ذلك ليس هناك ما يثبت خطأه؛ ذلك أن «أجل» هي لفظة بديل انضغاط، أو هي بديل مكثف للهاء في «إنه» وعلى ضوء ذلك يمكن أن نفهم الاتي:

إنه = إن + هـ.

إن = إن .

إذن :

هـ = الأمر كما قلتم.

أو : هـ = الشيب قد علاني وقد كبرت.

و من ثمة نحصل على :

إنه = إن + الأمر كما قلتم.

أو : إنه = إن + الشيب قد علاني وقد كبرت.

وإذا نظرنا إلى المسألة في إطارها الكمي نجد أن:

هـ = هـ + ٠ = ١ (وهو عدد الحروف).

الأمر كما قلتم = أ + ل + أ + م + ر + ك + ما + ق + ل + ت + م = ١١

وبهذا فالكم المنضغط يقدر بـ ١١ - ١ = ١٠.

أو :

هـ = هـ + ٠ = ١ (وهو عدد الحروف).

الشيب قد علاني وقد كبرت = أ + ش + ش + ي + ب + ق + د + ع + لا + ني + و + ق + د + ك + ب + ر + ت = ١٧.

وبهذا فالكم المنضغط يقدر بـ ١٧ ـ ١ = ١٦.

ولدينا في البيت الشعري الذي ينسبه النحاة لرؤبة بن العجاج دليل آخر على ظاهرة الانضغاط:

قالت بنات العم يا سلمى وإنن

كان فقيرا معدما قالت وإنن

فـ «إن» التي وردت في آخر الشطر الثاني، يقدرها ابن هشام الأنصاري بـ «إن كان غنيا موسرا أرض به، وإن كان فقيرا معدما أرض به»[١٤].

والتقدير ليس سوى إشارة ضمنية ـ نفهمها نحن ـ إلى الانضغاط.

والانضغاط في هذا الشاهد يبدو أنه مختلف، ذلك أن الكم اللفظي المنضغط لا يوجد له حرف أو اكثر بديل، كما هو الأمر في الشاهد السابق إذ الهاء تكافؤ دلاليا ما ورد في العبارة «الشيب قد علاني وقد كبرت» أو «الأمر كما قلتم».

أما في هذا الشاهد فنجد:

قالت وإن = قالت وإن كان غنيا موسرا أرض به، وإن كان فقيرا معدما أرض به.

قالت وإن = قالت وإن + كان غنيا موسرا أرض به، وإن كان فقيرا معدما أرض به.

وبعد اختزال المتشابه بين القيمتين نحصل على المعادلة اللغوية البسيطة الآتية:

0 = كان غنيا موسرا أرض به ، وإن كان فقيرا معدما أرض به.

والصفر هو دلالة على غياب الكم اللفظي في الشاهد، باعتباره الموضوع الذي تم ضغطه أو تكثيفه وفي هذه الحالة يمكن اعتبار التكثيف قد أخذ حدوده شبه المطلقة ماديا.

وهذا الانضغاط فيما يبدو غير متوقع طالما أنه ليس هناك ما يمنع المتكلم أو يمنع المستمع، من إضافة بالنسبة للأول وتوقع أساسه الحتمية بالنسبة للثاني. فالاستثناء واضح في عدم الذكر، ولعل السبب الذي يجعلنا نقبل نحن غياب الكم اللفظي الذي يفهم معناه من السياق اللغوي، هو اعتبار «وإن» بمعنى «أجل» أو «نعم» ودون أن يحدث تشوه عروضي في البيت الشعري:

وإن = أجل = نعم

//ه = //ه = //ه.

قالت بنات العم يا سلمى وإن

كان فقيرا معدما قالت : أجل

ولو كان البيت الشعري بهذا الشكل الأخير، أي «أجل» بدل «وإن» ، لاعتبرنا «أجل» هي اللفظ الذي يمثل البديل المكثف أو المنضغط.

والشاهد الآتي يصب في الاتجاه أو الفكرة نفسها، وهو بيت للنابغة الذبياني من قصيدة يصف فيها المنجردة زوج النعمان بن المنذر، فقال:

أزف الترحل غير أن ركابنا

لما تزل برحالنا وكأن قد

ويرى ابن عقيل أن: «كأن : حرف تشبيه ونصب،

واسمها ضمير الشأن وخبرها جملة محذوفة تقديرها «وكأن قد زالت» فحذف الفعل وفاعله المستتر فيه، وأبقى الحرف الذي هو قد»[١٥].

فـ «قد» ليست حرف إحالة مألوف أو متوقع، ووظيفته هذه استثناء يدل عليها السياق أو القرائن اللفظية طالما أن المستمع أو المتلقي ملزم بملأ الفراغات شأنه شأن الهواء.

وفي ضوء عملية التحليل السابقة للشواهد نجد الآتي:

وكأن قد = وكأن قد زالت.

وكأن قد = وكأن قد + زالت.

. = زا + ل + ت.

. =زالت.

. = 3.

فالكم اللفظي المحدد في ثلاثة حروف (3) انضغط الى حد الغياب، وتقدير ابن عقيل يكشف عن إمكانية ملاحظة عمليات تكثيف متلاحقة أو متتابعة.

وكأن قد زالت ركابنا برحالنا ـ وكأن قد زالت ـ وكأن قد

(الكم اللفظي المقدر دون فراغات تذكر) ـ (الكم اللفظي الذي حدث فيه انضغاط مألوف ومتوسط) ـ (انضغاط كلي إلى درجة غياب كل المقدر).

أما الشاهد التالي فعبارة عن نص أخذناه من كتاب المزهر للسيوطي وهو نص من خلاله نكتشف درجة الانضغاط المختلفة مثلما ورد في الشواهد السابقة.

«قال: إن النحارير ربما أدخلوا على الناس ما ليس من كلام العرب، إرادة اللبس والتعنيت ، قال ابن فارس، فليتحر آخذ اللغة أهل الأمانة والصدق والثقة والعدالة؛ فقد بلغنا من أمر بعض مشيخة بغداد ما بلغنا»[١٦] فعبارة ابن فارس: «فقد بلغنا من أمر بعض مشيخة بغداد ما بلغنا» لا توضح ما يفترض إيضاحه ولا تبين ما تجب إبانته.

فسياق النص يلزم صاحبه بإعطاء القارىء أو المطلع نماذج أو أمثلة عما ورد من بعض الشيوخ وهو ما ليس من كلام العرب.

وعملية التحليل تقدونا إلى الآتي:

ما بلغنا = أن فلان ابن فلان، صفة كذا، وعرف عنه كذا، ذكر لنا كذا مدعيا أنه من كلام العرب ولم يرد مثله في كلام العرب، وقد بين له العالم فلان أن هذا ليس صحيحا، لأنه يتعارض مع قياس أو نقل لغوي... الخ، وأن فلان ابن فلان ... الخ، وأن فلان بن فلان... إلخ ... إلخ.

وعلى ضوء ذلك نجد أن الانضغاط له وجهين، إنضغاط لما هو فعلي، وانضغاط لما هو افتراضي نظري، فالانضغاط لما هو فعلي يرتبط بالأمثلة والشواهد التى يعرفها ابن فارس ولم ينكرها، والانضغاط لما هو افتراضي نظري يرتبط بالأمثلة والشواهد المحتملة وتشمل كل ما هو خارج عما قيل بالفعل أي أننا أمام قائمة شبه لا نهائية من الشواهد،

لأن القواعد وما هو كائن محدود، أما غير المحدد وما هو خارج القواعد فلا يكاد يحصى. وبهذا فالكم المنضغط بحسب الوجهين غير محدد وهو في زيادة.

(ه عدد حروف ما بلغنا) = ٥٠ أو ١٠٠ أو ١٠٠٠ أو ٠٠٠ = س.

ه = س و س هو الكم اللفظي المنضغط.

إذن : ه = س ، و س > ه

إذن ه = س > ه من دون تحديد.

وأخيرا تلك نماذج وشواهد مختلفة عن الإحالات غير المألوفة وتلك التى حدث فيها انضغاط أي انني قدمت ما اعتقد أنه يجمع بين أمرين أو مسألتين مسألة الانضغاط لا الحذف ولا التكثيف ومسألة العائد الإشاري أو الأنافورا Anaphora الخاص باعتباره حالة استثناء في الشائع المألوف وليس المتوقع.

الهوامش :

(١) فان دايك، النص والسياق (استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي) ، ترجمة عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء ـ المغرب ـ بيروت لبنان ٢٠٠٠، ص: ١٥٦.

(٢) ابن هشام الأنصاري، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ومعه كتاب عدة السالك الى تحقيق أوضح المسالك لمحمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية ، صيدا ـ بيروت ـ لبنان ـ دس ، دط ١/١١.

(٣) ابن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ومعه كتاب منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل لمحمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا ـ بيروت ـ لبنان ١٩٩٠م، دط ١/٢٣ ـ ٢٤.

(٤) سعيد حسن بحيري، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، القاهرة ـ مصر ١٩٩٧م ، ط ١ ، ص ١٣٥.

(٥) ج.ب. براون و ج.يول، تحليل الخطاب، ترجمة وتعليق محمد لطفي الزليطني ومنير التريكي، النشر العلمي والمطابع جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية ١٩٩٧م، ص ٢٢٨.

(٦) نقلا عن سعيد حسن بحيري، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، ص ١٤٤.

(٧) نقلا عن فلوريان كولماس، اللغة والاقتصاد، ترجمة احمد عوض، مراجعة عبد السلام رضوان، مطابع الوطن الكويت ٢٠٠٠، ص ٢٩١.

(٨) نقلا عن المرجع نفسه ٢٩٢ ـ ٢٩٣.

(٩) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، موفم للنشر، الرغاية ١٩٩١م، ص ١٤٩.

(١٠) نقلا عن فلوريان كولماس، اللغة والاقتصاد ٢٩٢.

(١١) عثمان بن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، الناشر دار الكتاب العربي ، بيروت ـ لبنان ـ دس، دط ١/٢٧٦.

(١٢) الزمخشري، المفصل في صنعة الإعراب، وبذيله كتاب المفضل في شرح أبيات المفصل للسيد محمد بدر الدين أبي فراس النعساني الحلبي، قدم له وبوبه على بو ملحم، دار ومكتبة الهلال، بيروت ـ لبنان، ص ٣٥٥.

(١٣) المرجع نفسه، ٣٩٧.

(١٤) ابن هشام، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ١/١٨.

(١٥) ابن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ١/٢٣ ـ ٢٤.

(١٦) السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، شرح وتعليق محمد جاد المولى بك ومحمد أبو الفضل ابراهيم وعلي محمد البجاوي، المكتبة العصرية صيدا ـ بيروت ـ لبنان ١٩٨٧م، ١/١٣٨.



موقف الإسلام من اليهودية .. وموقف اليهودية من الإسلام

«اليهود» .. مشكلة العالم بأسره.. ما نزلوا أرضا إلا واختلقوا فيها من المشاكل ما لم يكن في حسبان أهلها.. أشاعوا في العالمين أنهم «شعب الله المختار» .. لهذا لم يقبلهم شعب من شعوب الأرض.

والآن يبيدون أصحاب الارض والوطن ليقيموا هم دولتهم المزعومة.. اليهود لا يعرفون للآخر حقاً.. بل لا يقرون له وجوداً بينهم.

عن اليهود وعنصريتهم البغيضه تأتي هذه الدراسة القيمة بقلم الاستاذ الدكتور/ محمد عمارة.

وتأتي هذه الدراسة ضمن مجموعة الدراسات والبحوث التى آثر بها الدكتور عمارة مجلته المنهل وقراءها .. فله الشكر والتقدير موصولا..»

- المنهل -



أ. د. محمد عمارة
- مصـر -

لقد قال القدماء - وهم صادقون: وبضدها تتميز الأشياء .. كما قالوا: والشيء يظهر حسنه الضد ..

ولذلك فإن رؤية سماحة الإسلام إنما تتجلى وتتألق عندما نراها مقارنة .. بالعنصرية اليهودية .. وذلك من خلال استعراض صورة اليهودية عند المسلمين .. وصورة المسلمين في ثقافة اليهود ..

إن صورة موسى، عليه السلام، وأخيه هارون، عليه السلام، في الثقافة الإسلامية - التى صاغها وصبغها القرآن الكريم - هى صورة: حبيب الله .. الذى صنعه الله على عينه وقرّبه واستخلصه لنفسه .. وجعله كليمه ونجيّه واستجاب دعاءه .. وسلم عليه وجعله القوى الأمين وآتاه الكتاب والفرقان والسلطان.

وصورة هذا الكتاب - التوراة - في القرآن الكريم - هي صورة: الإمام .. والرحمة .. والهدى .. والنور .. **{وألقيت عليك محبة منى ولتُصنع على عينى}** (طه/ ٣٩) .. **{واذكر في الكتاب موسى إنه كان مُخْلصاً وكان رسولا نبيا * وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيا}** (مريم/ ٥١، ٥٢)، **{ وكلم الله موسى تكليما }** النساء ١٦٤ .**{ قال يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي }** (الاعراف/ ١٤٤) .. **{ قال ربِّ اشرح لي صدري * ويسر لي أمري * واحلل عقدة من لساني * يفقهوا قولي * واجعل لي وزيرا من أهلي * هارون أخي * اشدد به أزري * وأشركه في أمري * كي نُسَبحَك كثيرا * ونذكرك كثيرا * إنك كنت بنا بصيرا * قال قد أوتيت سؤلك يا موسى }** (طه/ ٢٥ - ٣٦)، **{سلام على موسى وهارون * إنا كذلك نجزي المحسنين * إنهما من عبادنا المؤمنين}** (الصافات/ ١٢٠ - ١٢٢)، **{قالت إحداهما يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين}** (القصص/ ٢٦)، **{وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون}** (البقرة/ ٥٣)، **{وآتينا موسى سلطانا مبينا}** (النساء/ ١٥٣)، **{ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكرى للمتقين}** (الأنبياء/ ٤٨)، **{ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة}** (الأحقاف/ ١٢)، **{قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا}** (الأنعام/ ٩١)، **{الله لا إله إلا هو الحيّ القيوم نَزَّل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل، من قبل هدى للناس، وأنزل الفرقان}** (آل عمران/ ٢ - ٤).

تلك هي الصورة القرآنية، التى صنعت وصبغت الثقافة الإسلامية تجاه أنبياء اليهودية وشريعتها وكتابها .. فهل يستطيع حتى أكثر حاخامات اليهودية الأرثوذكسية تعصبا، أو أشد علمانييها تحررا أن يجد شيئا من ذلك، أو شبيها بشىء من ذلك في تصورات اليهود وثقافتهم عن الآخر، وخاصة إذا كان هذا الآخر هو الإسلام والقرآن ورسول المسلمين وأمة الإسلام وحضارتهم وتاريخهم؟!.

وعلاوة على هذه الصورة القرآنية عن «الآخر» اليهودى .. فإن المسلمين وحضارتهم ودولتهم وتاريخهم وفقه معاملاتهم لم يقفوا بهذه الصورة عن الآخر اليهودى عند حدود النصوص والأفكار المجردة والنظريات الفلسفية.. وإنما وضعوها في الممارسة والتطبيق، منذ عصر النبوة.. وعبر تاريخ حضارة الإسلام.

ففي دستور دولة النبوة - الدولة الإسلامية الأولى - التى قامت بالمدينة المنورة عقب هجرة الرسول، {صلى الله عليه وسلم} إليها من مكة (سنة ١هـ/ ٦٢٢م) نجد مواد هذا الدستور - الذى اشتهر في مصادر التاريخ الإسلامى بـ «الصحيفة.. والكتاب» - نجد مواد هذا الدستور تبلغ سبعا وأربعين مادة.. ونجد الحديث فيها عن اليهود في أربع عشرة مادة.. وفي هذه المواد تقنين لدمج اليهود في رعية الدولة، واعتبارهم «أمة مع المؤمنين» - المهاجرين والأنصار - وتقنين المساواة بينهم وبين المؤمنين في الحقوق والواجبات.. مع تقنين حقهم الكامل في الاعتقاد الدينى الذى يختلفون فيه مع الإسلام والمسلمين.. فنقرأ في هذه المواد الدستورية أرقى صور التقنين للاعتراف بالآخر، ومساواة الأقلية للأغلبية.. وتقرير التعددية الدينية في رعية الدولة الواحدة.. نقرأ :

«.. ويهود أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم.. مواليهم وأنفسهم.. وأن بطانة يهود كأنفسهم، إلا من ظلم وأثم، فإنه لا يوتغ (يُهلك) إلا نفسه وأهل بيته.. ومن تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة مع البر المحض من أهل هذه

**** المسلمون يصلون ويسلمون على كل أنبياء الله ورسله، واليهود يقتلون الانبياء.**



الصحيفة، غير مظلومين ولا متناصر عليهم.. ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم. وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم»[١].

بهذه الصفحة الشديدة الإشراق والتألق فتح الإسلام كتاب العلاقة بالآخر اليهودى، عندما قننت الدولة الإسلامية الحرية الدينية، والتعددية الدينية، والمساواة في حقوق المواطنة، في داخل الأمة الواحدة والدولة الواحدة.. وحتى بعد نقض اليهود العبرانيين لعهودهم مع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} والدولة الإسلامية.. وخيانتهم العظمى للمسلمين إبان ذروة الحصار والقتال في غزوة الخندق - الأحزاب - وفي أشد اللحظات القتالية حرجا، عندما زاغت أبصار المسلمين المحاصرين.. وبلغت القلوب الحناجر، وظن الناس بالله الظنون!! **{إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا، هنالك ابتُلى المؤمنون وزُلزلوا زلزالا شديدا}** (الأحزاب/ ١٠، ١١).. في هذه اللحظات الأكثر حرجا خان اليهود دولة الإسلام، ونقضوا عهودهم مع المسلمين، وتعاونوا - متآمرين - مع جيش الشرك المحاصر للمسلمين في المدينة المنورة..

ثم تواصلت خياناتهم، ومساعيهم لجمع كلمة الشرك والوثنية ضد التوحيد الإسلامى ودولته وأمته، عارضين ثمار مزارع خيبر على قبائل الشرك كى تأتى فتقضى على دولة الإسلام.. بل لقد ذهبوا - إبان هذه

**** رسل وأنبياء بنى اسرائيل مجدهم القرآن الكريم ورفع ذكرهم في العالمين، في حين أن اليهود لا يرقبون في مؤمن إلاّ ولا ذمة.**

**** المسلمون يتشرفون بتسمية أبنائهم بأسماء رسل الله أجمعين، واليهود لا يوقرون خاتم المرسلين ﴿صلى الله عليه وسلم﴾.**

المساعي - إلى الحد الذى شهدوا فيه - وهم أهل كتاب - أن الشرك والوثنية أصح وأفضل من التوحيد الذى جاء به خاتم الأنبياء والمرسلين!!.. فعندما سألهم مشركو قريش:

- يا معشر يهود، إنكم أهل الكتاب الأول، والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد، أفديننا خير أم دينه؟.. كانت إجابة يهود خيبر:

- بل دينكم خير من دينه، فأنتم أولى بالحق!..

وفي ذلك نزل قول الله، سبحانه وتعالى: **{ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا}** (النساء/ ٥١).

وحتى بعد هذا الذى صنعوه.. لم يغير المسلمون الموقف الإسلامى من الآخر اليهودى.. لقد أمَّنُوا قاعدة الدولة الإسلامية، بإجلاء الخونة عن هذه القاعدة.. ثم تركوا باب المدن الإسلامية والولايات الإسلامية مفتوحة أمام اليهود، لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم.. فعادوا للعيش في مدينة القدس - عقب فتح الإسلام لها - بعد أن كانوا مطرودين منها.. وأحسنت إليهم الدولة الإسلامية، على حين كان الاضطهاد واللعن والاحتقار والطرد والقتل من نصيبهم في مختلف الحضارات والدول غير الإسلامية التى عاشوا فيها.

لكن «النزعة العنصرية» التى جعلتهم يحوّلون اليهودية عن روح الدين الإلهى إلى «نسق فكرى عنصرى»، قد جعلتهم يرفضون الآخر، كل الآخر، على مر تاريخهم الطويل.. لقد انحرفوا باليهودية الى العنصرية، ثم أخذوا يتغذون من هذه اليهودية التلموديه العنصرية، فغدوا النموذج الأول في رفض كل الآخرين!..

فبعد أن زعموا احتكارهم - بحكم «الاسم» و«الولادة» - لمرتبة ومنزلة «شعب الله المختار»، و«أبناء الله وأحبائه»، حتى مع قتلهم لأنبياء الله، ونقضهم عهود الله ومواثيقه.. زعموا احتكارهم الجنة، دون الآخرين.. **{وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى، تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين}** (البقرة/ ١١١) والقرآن الكريم، بعد أن ينفى مزاعم احتكار اليهود والنصارى للنجاة الأخروية، رغم أنهم قد انحرفوا عن شرط هذه النجاة، يقرر أن هذه النجاة ليست احتكاراً لجنس بعينه أو طائفة بعينها، وإنما هى مفتوحة الأبواب لمن أوفى بعهد الله وتوافرت فيه شروط هذه النجاة، فيقول في سياق الآية السابقة، وبعدها مباشرة: **{بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون}** (البقرة/ ١١٢).

أما في الدنيا، فلقد التزم اليهود موقف «الكيل بمكيالين»، منذ انحرافهم عن شريعة موسى عليه السلام، واستبدال الشريعة العنصرية التى كتبوها في التلمود بالشريعة الموسوية.. فجعلوا قيم الشريعة وعدلها وإنصافها احتكارا لطوائفهم ـ التى ظلت عبر التاريخ قلة عددية ضئيلة بالنسبة للأمم والشعوب ـ وهم الآن لا يبلغون الخمسة عشر مليونا بينما تعداد البشرية قد بلغ ستة مليارات.. جعلوا قيم الشريعة وعدلها وإنصافها احتكارا للمعاملات فيما بينهم هم، واستباحوا وأباحوا كل المحرمات والفواحش والموبقات ـ حتى التى حرّمتها شريعتهم ـ في التعامل مع الآخرين.. كل الآخرين.

وإذا كان البعض يشكك في «رواية» كتاب (بروتوكولات حكماء صهيون) ـ الطافح بتقنين سياسة الكيل بمكيالين، فإن الممارسات التاريخية والعملية لليهود مع الآخرين ـ الأغيار ـ قد كانت تجسيدا لهذه السياسة.. فالربا، الذى تحرمه الشريعة الموسوية، هم يحرمونه فيما بينهم فقط، بينما أوجبوه واحترفوا إقامة مؤسساته وممارسة أبشع أنواعه مع الآخرين!.. وكذلك الحال مع أخلاقيات وقيم الكذب.. والسرقة.. والقتل.. والزنا.. والخداع.. ونقض العهود.. حتى غدا ذلك «سنة متبعة» في تعاملهم مع الآخرين ـ الأغيار ـ وصدق الله العظيم عندما يصور هذا الموقف اليهودى ـ موقف يهودية التلمود ـ من الآخرين، فيقول: {ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون} (آل عمرن/ ٧٥) ـ **{أوَ كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم، بل أكثرهم لا يؤمنون}** (البقرة/ ١٠٠) ـ لقد تقدموا في العداء للآخر الإسلامى حتى على المشركين **{لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا}** (المائدة/ ٨٢).

وإذا كان التلمود ـ الذى جعلوه شريعتهم بعد نقضهم وتحريفهم للشريعة الموسوية ـ طافحا بسياسات وتشريعات «الكيل بمكيالين»، التى صارت ديدنهم عبر التاريخ.. فلعل شهادة واحد من شجعان معاصريهم تقيم الدليل على أن هذا التاريخ مع الأغيار كان ولا يزال السنة المتبعة لليهودية التلمودية والعنصرية اليهودية حتى كتابة هذه السطور.

ففي كتاب «إسرائيل شاحاك» (الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود)[٢] حديث موثق عن:

حرمة الدم اليهودى ..

**** الرسول ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ عمل على ادماج اليهود في المجتمع المدني المسلم، لكنهم غدروا وخانوا العهود والمواثيق.**

وإهدار دماء الأغيار..

وإبادتهم:

«اليهودى الذى قتل غير اليهودى مذنب فقط بخطيئة ضد شرائع السماء، التى لا تعاقب عليها المحكمة، أما التسبب في موت غير اليهودى بطريقة غير مباشرة فلا تعتبر خطيئة أبدا.. وإذا وقع القاتل غير اليهودى تحت سلطة التشريعات القضائية اليهودية يجب إعدامه، سواء كانت الضحية يهودية أم لا. ولكن إذا لم تكن الضحية يهودية، واعتنق القاتل اليهودية فلا يعاقب».

«ولقد استخلص العديد من المعلقين الحاخاميين النتيجة المنطقية لهذا (الإلتزام بالهالاكاه) - الشريعة - وهي إمكانية قتل جميع غير اليهود المنتمين الى شعب عدو، أو حتى ضرورة قتلهم. ويجرى الترويج العلنى لهذه الفكرة منذ ١٩٧٢م لتوجيه الجنود الاسرائيليين المتدينين. وأول نصيحة رسمية من هذا النوع جاءت في كراس نشرته قيادة المنطقة الوسطى في الجيش الاسرائيلي - التى تقع الضفة الغربية تحت سلطتها - يقول الحاخام المسئول - الحاخام العقيد» أ. أفيدان (زيميل) - في هذا الكراس: «في حالة احتكاك قواتنا بمدنيين خلال الحرب، أو خلال مطاردة حامية، أو غارة، إذا لم يتوفر دليل بعدم إلحاقهم الأذى بقواتنا هناك إمكانية لقتلهم، أو حتى ضرورة للقيام بذلك حسب الهالاكاه.. بل تحض الهالاكاه على قتل حتى المدنيين الطيبين».

**** التشريع الاسلامي يعترف بالآخر ويعطيه حقه كاملا، أما اليهود فالآخر عندهم عدم لا وجود له في شرعهم.**

ولقد أرسل الجندى «موشى» رسالة الى حاخامه «شمعون وايزر» قال له فيها:

«لقد جرت في وحدتى مناقشة لفكرة «طهارة السلاح» وما إذا كان من الجائز قتل العربى الأعزل من السلاح، أو النساء والأطفال؟. أو حتى ما إذا كان علينا الانتقام من العرب، وقد أجاب كل واحد حسب فهمه الخاص، ولم أستطع التوصل إلى إجابة حاسمة. هل نعامل العرب مثل العماليق، أى نقتلهم حتى نستأصل ذكراهم في الأرض؟ «ولتمح ذكرى العماليق من تحت السماء» - [تثنية: ٢٥ . ٩] - أم نقوم بما يحدث في الحرب العادلة التى يقتل فيها الإنسان الجنود فقط؟.. وهل يجوز لى تقديم الماء لعربى يستسلم؟».

ولقد رد الحاخام «شمعون وايزر» على الجندى «موشى»، برسالة جاء فيها:

«سأنقل لك بعض أقوال الحكماء، طيب الله ذكراهم، وأفسرها: الحرب لدى غير اليهود ذات قوانين خاصة، مثل قوانين اللعب، كرة القدم أو السلة، لكن الحرب كما يقول حكماؤنا، طيب الله ذكراهم، لا تعنى

بالنسبة لنا لعبة، بل ضرورة حيوية، واستنادا الى هذه المقاييس فقط ينبغى التفكير حول كيفية القيام بها.

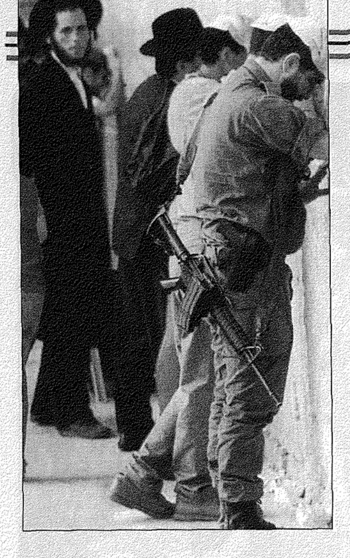
إن الحاخام شمعون تعوّد القول: «أفضل غير اليهودى - اقتلوه - وأفضل الأفاعى - هشموا رأسها».

هذه هى قاعدة «طهارة السلاح» - حسب الهالاكاه - وليس حسب المفهوم الأجنبي الذى تسبب بوقوع العديد من الخسائر اليهودية».

ولقد أجاب الجندى «موشى» على رسالة الحاخام.. فقال: «تلقيت رسالتك .. وفهمتها على النحو التالى:

«لا يسمح لى في زمن الحرب بقتل كل عربى أو امرأة أصادفهما وحسب، بل من واجبى أيضا القيام بذلك.. وإذا تحدثت عن نفسى فإن من واجبى قتلهم حتى إذا نجم عن ذلك مشكلة مع القانون العسكرى. وأعتقد أن فكرة «طهارة السلاح» هذه يجب تعميمها على المعاهد التعليمية.. كى يكوّن الناس رأيا بهذا الصدد، ولا يضلوا في متاهة «المنطق» خاصة حول موضوع كهذا، ويجب شرح هذه الفكرة والطريقة التى تمارس بها.. لذا أرجو أن تنشط في هذا الموضوع كى يعرف جنودنا موقف أسلافهم بوضوح كامل».

وبناء على هذا «الفكر».. «ففى جميع الحالات التى قتل فيها يهود من الجيش، أو منظمات شبه عسكرية، عربا غير محاربين، وبينها حالات قتل جماعية، مثل كفر قاسم ١٩٥٦م، أطلق سراح القتلة، أو تعرضوا لأحكام بالغة الرأفة، وحكم عليهم بأحكام غالبا ما يفرج عنهم قبل نفاذها، مما يجعل تلك



الأحكام وكأنها لم تصدر أصلا»[٣].

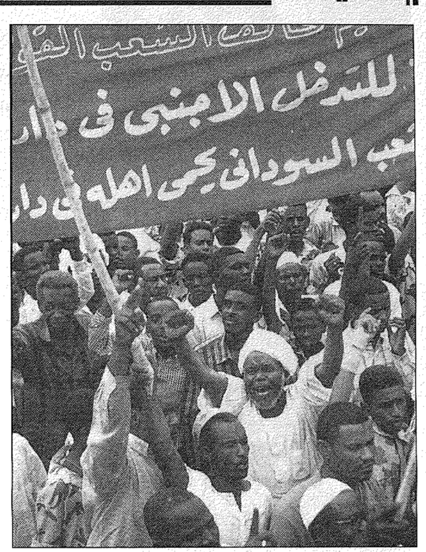
هذا عن إهدار الشريعة التلمودية - الهالاكاه - دماء الأغيار - غير اليهود - حتى غير المحاربين.. وحتى النساء.. والطيبين من الناس!.. فالمنطق - عند هذه اليهودية التلمودية - هو متاهة وضلالة لا تليق باليهود!!.

الهوامش :

(١) (مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة) ص ١٧ - ٢١، جمعها وحققها: د. محمد حميد الله الحيدر آبادى. طبعة القاهرة سنة ١٩٥٦م.

(٢) ترجمة حسن خضر، طبعة دارسينا - القاهرة ١٩٩٤م.

(٣) اسرائيل شاحاك (الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود) ص ١٣٣ - ١٤٠.



تطغى على بنية المجتمع السوداني تركيبته القبلية المتعددة، حيث تستوطن السودان ثماني مجموعات تتوزع على ٥٧٠ قبيلة.

والسودان بسبب طبيعته الفسيفسائية هذه يعاني من تصدعات بنيوية مزمنة، ومع اكتشاف الثروات النفطية والمعدنية في بعض بواطن أرضه، انفجرت فيه صراعات دامية تحديداً في الجنوب على خلفية التنازع على الثروة. وما إن وجدت مشكلة الجنوب طريقها الى الحل مؤخراً وفق معاهدة أو اتفاق شراكه على السلطة والثروة بين قيادة الجنوب والسلطة المركزية حتى انفجر الوضع في غرب البلاد، تحديداً في ما يسمى بإقليم دارفور، وتشير التوقعات الى احتمال وقوع انفجار مشابه في الشرق أيضاً.



إن تفاقم المشكلات في أرجاء السودان المختلفة وتحولها الى نزاعات مسلحة بين مكوناته الاجتماعية - والتى تنذر بتفككه وتشرذمه - باتت تشكل تحدياً تاريخياً لمختلف القوى السياسية والاجتماعية السودانية في كيفية البحث عن حلول لتلك المشكلات تأخذ بعين الاعتبار كل موروثات المجتمع السوداني الجغرافية/ السياسية والتاريخية التى صنعت تاريخه الحديث وتتدارك في الوقت نفسه الأبعاد الخطيرة لمقاصد التدخلات الخارجية في شؤونه الداخلية، والسير تالياً باتجاه أسلوب الوحدة على حساب أسلوب التجزئة درءاً لمخاطر

تفتيته واحتمال اعتماده جسر عبور الى تفتيت المغرب العربي برمته.

وظهرت فجأة على الساحة العالمية والعربية مؤخراً مشكلة دارفور والسودان التى أصبحت الآن حديث العالم الغربي والأمم المتحدة ومجلس الأمن والمنظمات الدولية لحقوق الإنسان ومنظمات الإغاثة العالمية وكأنها مشكلة ظهرت على السطح فجأة.

ولكن هل يعلم الجميع أن مشكلة دارفور هي مشكلة تاريخية قديمة منذ أن كانت تاريخياً جزءاً من حزام ممالك غرب أفريقيا وكانت تتكون من عدد كبير من القبائل وعلى رأسها قبيلة فور وتعتبر أكبر القبائل بالمنطقة ومنها قبائل المساليت والزغاوة والبرتي والتاما والبرقو والتعايشة والهبانية والمعاليا والزيود وغيرها من قبائل متعددة ومنتشرة في المنطقة وأطلق على تلك المنطقة اسم «ديارفور» ومنها تحول الاسم إلى دارفور حالياً وخضعت للحكم الإنجليزى المصرى بعد سقوط دولة المهدية وقد أجمع أهل دارفور على الدين الإسلامى وأقبلوا على الثقافة العربية والإسلامية.

وكان المجتمع الدّارفوري منقسماً الى مجتمعين المجتمع الأول الزراعى الذى يعيش حول مناطق المياه والأراضى الزراعية ويسكن القرى البدائية.

والمجتمع الآخر هو المجتمع الرعوى الذى يتكون من الرعاة لقطعان الماشية التى تبلغ في السودان حوالى ١٢٠ مليون رأس، منها في دارفور فقط حوالي ٨٠ مليون رأس ويعتبر مجتمع الرعاة من الرحل الذين يتنقلون في الصحارى طبقاً للأمطار والرعى على

د. نادية محمد السعيد

- مصر -

الأعشاب الطبيعية التى تعتبر المرعى الرئيسى لتلك الثروة الحيوانية الضخمة وفي أوقات الجفاف وقلة الأمطار تبدأ قبائل الرعاة بالاغارة على القرى الزراعية للحصول على المياه واحتلال مناطق لرعى ماشيتهم ونشأ قطّاع الطرق للسلب والنهب[١].

ومنذ الاحتلال البريطاني للسودان وتوالى الحكومات بعد الاستقلال سواء العسكرية منها والمدنية لم تشهد المنطقة أية مشروعات تنمية سواء زراعية أو صناعية أو اجتماعية ومازالت دارفور تعتمد على الزراعة ورعى الماشية على الموارد الطبيعية دون مساعدة من الدولة ولذا نشأت عصابات قُطاع الطرق الذين يغيرون على القرى ويهاجمون القوافل وأطلقوا عليهم عصابات جنجويد وهو الشخص الذى يمتطى الجواد أثناء اعتداءاته وقيل أن الكلمة اسم منسوب الى قائد عصابة مسلحة يقال له (حامد جنجويت)[٢].

ونظراً لأن حدود دارفور مشتركة مع كل من ليبيا وتشاد وأفريقيا الوسطى فتأثرت بالحرب التشادية والحرب التشادية - التشادية وتسرب الى دارفور كميات كبيرة من الأسلحة الخفيفة «الرشاشات والبنادق والقنابل اليدوية وخلافه».

ونظرا لعمليات الخطف والنهب والسلب ومعظمها من عصابات الرعاة نشأت بالمقابل لها مجموعات وتنظيمات من أهل القرى الزراعية للدفاع عن ديارهم وأرضهم وأملاكهم، ونتج عن ذلك نزوح العديد من

**** دارفور وغرب السودان بعامه، هي المدخل لمسلمي غرب افريقيا.**

أهالي دارفور الى المناطق البعيدة عن الصراع وبلغوا حوالي ٢ر١ مليون مواطن وقد عبر ٢٠٠ ألف مواطن الحدود السودانية التشادية واستقر حوالي مليون مواطن في أراضي دارفور وفي معسكرات بدائية ويحتاجون الى الغذاء والمياه والكساء والإيواء والرعاية الصحية والاجتماعية[٣].

ومن الناحية السياسية فقد تجاهلت الحكومات السودانية المتعاقبة منطقة دارفور غرب السودان في التنظيمات السياسية ومنحتهم بعض المناصب الوزارية على فترات متباعدة وخلال تلك الفترة تكونت حركة تحرير السودان وحزب العدالة والمساواة التابع للحركة الإسلامية في السودان وتولى قياداته بعض المنشقين على الجبهة القومية للإنقاذ، والذين بدأوا يُصَعدون المشكلة وإثارتها على المستوى الدولي والمنظمات الدولية[٤].

من هنا نرى أن أسباب الصراع في دارفور[٥] ترجع الى:

١ ـ انقسام أهل دارفور بين رعاة يملكون حوالى ٢٢٠ مليون رأس ومزارعين، فعندما تكرر اعتداء هذه الأعداد الهائلة على الزراعات قام المزارعون بحرق العشب مبكراً عاماً وراء عام من ١٩٧٤م وهو ما أدى

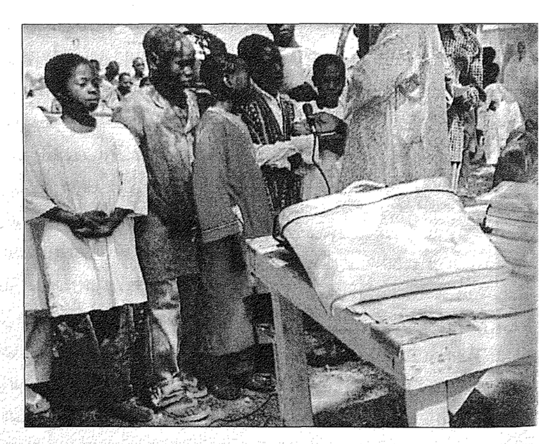


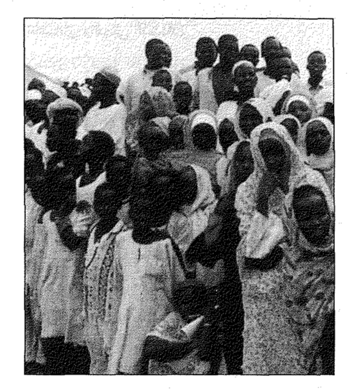
الى تراكم عشرات السنين من النزاع ومع تزايد السكان وقلة المطر وشح المياه بدأ الناس يتصارعون على الزراعة والأعشاب والمياه وعلى تملك الأرض ولم تتدخل الدولة وهذا من التقصير الذى قصرت فيه الدولة من أيام مملكة مصر والسودان فلم تتدخل الدولة لإعادة تقسيم الأراضى أو إعادة توزيعها أو شراء الأراضى من القبائل وتسكين القبائل فيها فترك الأمر للأقوى يستولى على الأرض.

٢ - إلغاء قانون الإدارة الأهلية السودانية عام ١٩٧١م وهو الذى كان يمنح السلاطين اختصاصات واسعة لإنهاء أى صراع فاستبدل بقانون الإدارة المحلية الذى تبعه، وشرطة ضعيفة وغياب للجيش فغابت الدولة وسلطة السلاطين، وأمام هذا الفراغ وتوافر السلاح بكثرة نتيجة الصراع التشادى، التشادى والليبى التشادى وتحول دارفور الى سوق للسلاح اشتد الصراع[٦]

إذن فمشكلة دارفور هى تعبير عن الاختلاف التنموى والتخلف في المجالات السياسية والاجتماعية وتتحمل الحكومات السودانية هذا الخلل الذى بررته بسبب حرب الجنوب التى استنفدت موارد الدولة لفترات طويلة مما لم يمكنها من التنمية في السودان بصفة عامة ومنطقة دارفور بصفة خاصة.

**** منذ أمد بعيد ظلت النصرانية والصهيونية تخططان لتفتيت تلك المنطقة.**





واستطاع اللوبى الصهيونى من خلال الولايات المتحدة الأمريكية تحريك المنظمات الدولية للإغاثة ولفت الأنظار الى المنطقة بدعوى أن هناك إبادة جماعية في دارفور حيث بلغت المنظمات الدولية حوالى ٥٣ منظمة منها فقط ٤ منظمات عربية[٧]، إن اللوبى الصهيونى ليس في حاجة الى بترول السودان ولا الموارد الطبيعية في دارفور، ولكن هدفه الرئيسى هو استكمال الحلقة لتحقيق استراتيجيته التى أعلنها مراراً بالعمل على محاربة الإسلام بدعوى الإرهاب، وبدأ اللوبى الصهيونى من خلال الولايات المتحدة الأمريكية في الضغط على السودان للأسباب الآتية:

١ ـ اعتبار السودان احد الدول الرئيسية الراعية للإرهاب وكان هذا من أحد الأسباب التى قطعت الولايات المتحدة علاقاتها الدبلوماسية معه في وقت ما باعتبار السودان مأوى لقيادات الإرهاب.

٢ ـ عدم دخول السودان ونظامه الحالى في استراتيجية الولايات المتحدة بالمنطقة للعمل على تغيير النظم المتشددة سواء بأسلوب مباشر أو غير مباشر.

٣ ـ اعتبار النظام السودانى أحد النظم التى غابت عنها الديمقراطية وأن الشعب السودانى يقع تحت قهر النظام ويتعرض للإبادة الجماعية في بعض المناطق.

٤ ـ الحكومة السودانية لا تعمل على تنفيذ قرارات مجلس الأمن مما يستوجب بعد ذلك فرض عقوبات عليه وقد يؤدى هذا الى التدخل العسكرى بشكل أو بآخر[٨].

الموساد الصهيونى يوالى نشاطه في دارفور في الظلام خفية، إلا أن التقارير تفيد أن اسرائيل تمارس نشاطها من أسمرا التى أصبحت مركزاً لقيادات حركة العدل والمساواة وحركة تحرير السودان وأبرزت الصحف الإريترية والتليفزيون الإريترى صور بعض قيادات الثورة، والتمرد في دارفور في حضور القيادات التنفيذية الإريترية، كما تواترت الأنباء عن لقاءات بعضهم بالقنصل الصهيونى هناك.

لا يوجد في دارفور تطهير عرقى كما تدعى وسائل الإعلام الغربية والصهيونية وهذا الادعاء أكذوبة كبرى لا أصل لها في الحالة السودانية ابتداء، إذ ليس هناك عرقى ضد عرقي، وإنما هناك نزاع على الماء والأرض والعشب، وغياب حكومى طال أمده، وإهمال للتنمية مماثل لإهمال سائر المناطق في السودان. وإن شئت قلت في أفريقيا وآسيا أيضاً. استغلته عناصر ثائرة عليه وبتحريض صهيونى وعلى طول أمده، وحاولت ولا تزال تحاول استثماره القوى الموالية للصهاينة الطامعة في السيطرة على السودان كله وثرواته جميعاً.

كما أعلن خمسة من أعضاء المكتب السياسى للتجمع الفيدرالى بالسودان استقالتهم نسبة لزيارة مسئول كبير بالتجمع ويتكلم باسم دارفور لإسرائيل، كما نشرت جريدة The jorusalem Post الصادرة في السابع من أغسطس ٢٠٠٤م أن وزارة الخارجية الصهيونية تقوم بتعبئة التنظيمات اليهودية لدعم أجهزة الإغاثة المتعلقة بدارفور، تحت واجهة جامعة، وأن وزير الخارجية الصهيونى «سلفان شالوم» خاطب مجلس الوزراء قائلا إن اسرائيل تواصل مساعيها لمساعدة الجهود الدولية المتعلقة بالمأساة الإنسانية بدارفور وأن أمة اسرائيل التى كانت لها معاناة عظيمة في الماضى لا يمكن أن تقف مكتوفة الأيدى إزاء الآلام التى تعصف بالآخرين في دارفور[٩].

إذاً اللوبى الصهيونى ليس ببعيد عما يحدث في دارفور، فهو طرف أصيل في المعادلة التى تتحكم في الأوضاع المتفجرة هناك، ليس فقط لأنه الأسبق «وجوداً وتأثيراً» في القارة السمراء عموماً وتربطه علاقات قوية بعدد من حكامها وأصحاب النفوذ فيها، ولكن أيضاً لأنه مأوى للمتمردين الأفارقة يلقون فيها الكلأ والماء.

ولذلك ما روجه اللوبى الصهيونى أخيراً عبر منظماته اليهودية في أوروبا حول دارفور وزعمه بأنه قضية يهودية صهيونية قد يستند - من وجهة النظر هذه - الى ظل من حقيقة، فالثابت أن أحد قيادات التمرد في دارفور يزور تل أبيب بشكل دائم وتربطه علاقات مصالح متشابكة مع الحكومات الصهيونية المتعاقبة. وبحسب تقارير بلجيكية فإن قادة عسكريين صهاينة يدربون سرا قوات التمرد في دارفور منذ سنوات ويضعون لها خطط المواجهة العسكرية مع جماعات الجنجويد ويلقنونهم دروساً في حرب العصابات بل إن بعض الخطط ترمى إلى ضرب الخرطوم نفسها من خلال تدريب أجنحة من المتمردين على حرب المدن والمناطق السكنية وربما من هذه الوجهة تحديداً تعتبر اسرائيل أن قضية دارفور هى قضية تعنيها بالدرجة الأولى، ولذلك لم يكن مفاجئاً أن يترك سفير اسرائيل لدى الأمم المتحدة القضية المطروحة للنقاش وهى قضية الجدار العازل ليستهل كلمته بالحديث عن ممارسة عرب السودان تطهيراً عرقياً في دارفور[١٠]، والشىء نفسه ينصرف على جماعات اللوبى الصهيونى التى قامت بتنظيم مظاهرات وتوزيع منشورات تتحدث فيها عن حقوق شعب دارفور في السودان حكماً وثروات.

يضاف الى ذلك عنصر آخر يتعلق باستراتيجية

**** غرب السودان كغيره من أطراف السودان ظلت جميعها مهمشة من الحكومات المركزية.**

** في دارفور نشطت تجارة السلاح.

اسرائيلية ترمى الى تحويل دارفور الى سوق للسلاح الاسرائيلى بعد أن ازدهرت تجارة السلاح التى أصبحت أهم مصدر من مصادر الدخل للجيش الإسرائيلي وتبلغ قيمتها ٤ بلايين دولار (أى ضعف قيمة الدعم العسكرى الأمريكى لإسرائيل).

والمعروف أن اسرائيل - بحسب وزارة دفاعها - هى إحدى كبرى الدول المصدرة للسلاح في العالم وتأتى - في الترتيب - بعد الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا (وتسبق روسيا وألمانيا).

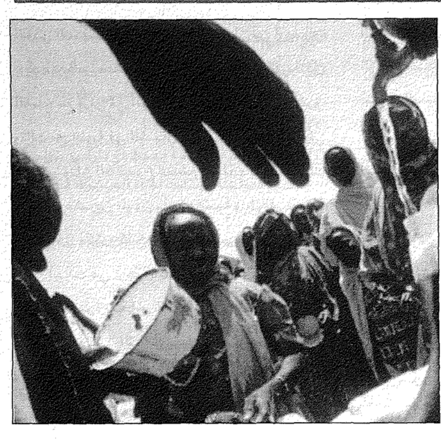
والثابت أن القارة السمراء (بدولها الـ ٥١) تستوعب نسبة لا بأس بها من إنتاج الأسلحة القادمة من تل أبيب عبر شركات دولية يديرها ضباط وجنرالات سابقون في الجيش الإسرائيلي والموساد، وتلقى هذه التجارة رواجا في أوساط المتمردين وعصابات الإجرام والمافيا في عدد من المناطق منها دارفور وجنوب السودان، والكونغو، وليبيريا، وسيراليون ، ولقد برع تجار السلاح الإسرائيليون في اختراق جميع الدول والحكومات وكانت البداية التقدم بعروض لحراسة الرؤساء والوزراء ثم أغروهم لاحقا بعقد صفقات السلاح[١١].

بعض الوثائق السرية تقول إن آلاف الأطنان من الأسلحة يتم تهريبها باتجاه دول إفريقيا سنويا، ولذلك وقعت القارة ضحية للعنف المسلح الذى يعصف بأكثر من ٦٠٪ منها فهناك نحو ١٨ دولة تفتك بها الحروب الأهلية والصراعات المسلحة، و١٣ دولة أخرى تواجه عنفاً قاتلا بشكل يومي، ومعنى ذلك أن شخصاً واحداً من أصل خمسة أشخاص يقعون ضحية بشكل مباشر للعنف المسلح[١٢].

ويذكر كتاب فرنسي بعنوان: (تهريب السلاح الى افريقيا) أن شخصاً اسرائيليا يدعى أركادى وجاى داماك اشترى نحو ١٥٪ من أسهم مجموعة إفريقيا - إسرائيل في إطار إعادة جدولة الديون العسكرية في أنجولا[١٣].

وإن شخصاً آخر يدعى شيمون نادر (صهيونى) يحتكر تجارة السلاح في نيجيريا واريتريا وينتهك الحظر الدولى الذى كان مفروضا من قبل الأمم المتحدة، وتم ضبط اسلحة بنحو مليون دولار كان يقوم بتهريبها الى توجو، وكمية أخرى من الأسلحة كانت موجهة الى المتمردين في بوركينا فاسو.

وعندما تعرض شيمون نادر الى مضايقات من رومانيا (التى ولد فيه) تدخل عايزرا وايزمان الرئيس الإسرائيلى، ونائب وزير الدفاع أفرايم سن لإنقاذه، وبعد عودته الى اسرائيل شملته الحكومة بغطاء رسمى لكى يواصل مهماته المافاوية في تهريب السلاح



وإشعال إفريقيا بالحرائق والحروب، وهو ما جعلها من أكثر قارات العالم تهديدا لأبنائها، فتذكر تقارير الأمم المتحدة أن القارة السمراء تسجل العدد الأكبر من الصراعات في السنوات الأربعين الأخيرة. فدفع أكثر من خمسة ملايين شخص حياتهم ثمنا للصراع المسلح في عشر دول في الفترة بين ١٩٨٠ و ١٩٩٥م وحصدت الحرب في الكونجو الديمقراطية أرواح نحو ثلاثة ملايين في عام ١٩٩٨م[١٤].

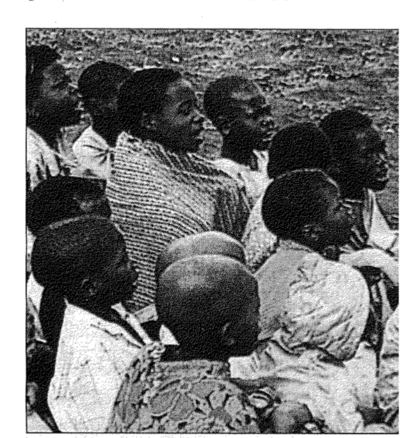
وظلت اسرائيل ـ في كل الأحوال ـ أرض الميعاد لمافيا تهريب السلاح، التى غذت الحرب العراقية ـ الإيرانية في أوائل الثمانينيات، وقدمت إلى إيران نحو ستة آلاف صاروخ TOW أرض ـ أرض ـ بقيمة ٨٣ مليون دولار تم تحصيلها عبر بنوك سويسرا، ولعل أشهر صفقة اسرائيل في هذا الخصوص هى تلك التى وقعها رجل أعمال إسرائيلى مع الرئيس كابيلا لاحتكار الأحجار الكريمة في كل أنحاء الكونغو لعدة سنوات، وأبرمت الحكومة الإسرائيلية معه اتفاقاً حول إنشاء وحدة حماية خاصة به، وتبين أن اسرائيل كانت تتعامل مع المتمردين على كابيلا في الوقت نفسه ـ، وقامت ـ عبر وسطائها ـ بتسليح المتمردين في شرق الكونغو، وأخذت ثلاث طائرات ميج روسية لتجرى عليها تعديلات فنية.

بعبارة أوضح:

«إن اسرائيل تلهو وتمرح كما يحلو لها في كل أنحاء أفريقيا، وأعوانها»، كما يقول جاك أتالى مستشار الرئيس الفرنسي فرانسوا ميتران: هم موجودون في دوائر صنع القرار ويحتل معظمهم مقعد المستشار للرؤساء والحكام، لذلك تختلط تجارة السلاح مع الجاسوسية، ولقد كشفت أزمة دارفور الحالية عن مدى تغلغل النفوذ الصهيونى بين جماعات المتمردين، ولقد اعترف احدهم من جماعة العدل والمساواة بأن اسرائيل علمته شن المعارك الخاصة، والقتال في مناطق مأهولة بالسكان وكيف يمارس الإرهاب[١٥]، ولعل هذا الاعتراف يقطع بأن أصابع اللوبى الصهيونى تعبث في دارفور وتضغط في الوقت نفسه على عنق إفريقيا.

إن اللوبى الصهيونى يريد تفتيت السودان وتحويله الى ما يحدث في العراق وفلسطين وكشمير،

اللوبى الصهيونى يريد تمزيق السودان من أوصاله، يريد ألا يكون هناك سودان، مطلوب من السودانيين الصلح مع قرنق في الجنوب وآخر مع البجة في الشرق وثالث مع النوبة في الشمال، ويريد اللوبى الصهيونى من السودان الخضوع للصلح المطلوب منه لأنه يملك مائتين وعشرين مليون رأس ماشية وإبل وفي مدينة واحدة هى «كتم» كانت خسائر الغنم هى ثلاثة ملايين رأس أبيدت في أربعة أشهر، وفي دارفور بحيرة اسمها بحيرة النحاس لا تحتاج الى تعدين، بمنشار خشب نقطع عرق النحاس بسهولة ويسر، وهناك جبال اسمها جبال الحديد، غير المخلوط بالتراب نسبة نقائه من ٨٠ الى ٩٠٪ ، وفي شمال دارفور يوجد يورانيوم وصودا وفي الوسط بترول وفي الجنوب معادن وجبل مرة الذى يسيطر عليه الزغاوة الآن مناخه مثل مناخ



البحر المتوسط وهى منطقة الفور أصلا ولكن المسلحين الزغاوة يسيطرون[١٦] عليه وعلى مساحة الجبل تنتشر أشجار النخيل والعنب والرمان في جو سياحى رائع.

ودارفور هى مفتاح الإسلام والعروبة في غرب أفريقيا كله، إذا قُضي عليها أو سُيطر عليها منعت المد العربي الإسلامى من غرب أفريقيا كله، ودارفور فيها ألفا خلوة، ونادرا ما يوجد مسجد في مساجد الخرطوم يكون إمامه من غير أبناء دارفور، الرجل في دارفور لا يختن إلا إذا حفظ جزءاً من القرآن ولا يتزوج إلا إذا حفظ ثلث القرآن أو نصفه، وهذا كله يشكل خطراً على الصهاينة، من هنا نرى أنه تأتى الحلول لمشكلة دارفور السودانية على عدة مستويات من أهمها:

١ ـ مستوى البرامج العاجلة ويتمثل في إعادة النازحين الى مناطقهم الأصلية التى نزحوا أو أجبروا على النزوح منها، سواء كانوا نازحين من داخل الإقليم أو في معسكرات اللجوء بتشاد وأفريقيا الوسطى، هذا بالإضافة لوضع برنامج عاجل بهدف توفير المساعدات الإنسانية الضرورية للذين تعرضت قراهم ومزارعهم وممتلكاتهم للحرق والتدمير.

٢ ـ مستوى البرامج المتوسطة ويهدف إلى إعادة بناء المدارس وتأهيل المستشفيات ولإقامة مشاريع المياه وتأمين الطرق وتهيئة البنية التحتية لدعم التعايش السلمى، هذا مع كفالة وضمان عدم الاحتكاك بين القبائل والتعدى على حقوق الغير، مع إنشاء آلية فنية متخصصة.

٣ ـ مستوى البرامج طويلة المدى وذلك من خلال

وضع استـراتيـجيـة طويلة المدى لإعـادة النسـيج الاجتماعى بدارفور والتخطيط للتنمية الشاملة بالإقليم، مع إعادة تأهيل المشاريع الحكومية المعطلة على أسس جـديدة والعناية الخـاصـة بمشـاريع الأمن الغـذائى والمائى لأهل دارفـور، هذا مع وضع خـرائط تنمـويّة تشمل كل مناطق الإقليم.

لذا فـاللوبى الصـهـيـونى هـو الرأس المدبرة لما يحـدث في دارفـور كمـا يحـدث في العـراق وفلسطين وكشمير.

على الحكومة السودانية والشعب السودانى أن ينظروا إلى مشكلة دارفور بأبعادها المختلفة، والعمل على تلافى المبررات التى قد تدعو اللوبى الصـهـيـونى لتنفيـذ مـخططه، وذلك بالتـعـاون مع الدول العـربيـة والإسـلاميـة ومنظمـة المؤتمر الإسـلامى ورابطة العـالم الإسلامي لمواجـهة مخططات اللوبى الصهيونى الذى في ظاهـره السـودان وفي باطنه الإسـلام والدول الإسلاميـة والعربية، وهذا يتطلب تكاتف جميع الدول العربية والإسـلاميـة ومنظمـاتهـا الأهليـة والإنسـانيـة والإغـاثيـة لزيادة حـجم المعونات الاقـتـصـادية والمادية للسـودان، والعـمـل على مـسـاعـدة دارفـور بالمعـونات الإنسانية حتى لا تترك الساحة للمنظمات والجمعيات الدولية والغربية المشبوهة، وقديماً قيل:

أرى تحت الرمـاد وميـض نار

ويـوشك أن يكون لـه ضـرام

لئن لم يطفـهـا عـقـلاء قـوم

يكون وقـودهـا جـثـث وهـام!!

الهوامش :

(١) عبد الله محمد بابكر/ السودان والتحديات الخارجية ، دار الشروق للنشر، بيروت، ٢٠٠١م، ص ٠٢٣.

(٢) المرجع السابق، ص ٠٦٣.

(٣) محمد سليم العوا: ما يحدث في دارفور مؤامرة صهيونية، حديث لقناة الجزيرة، قطر، يوم ٢٠٠٤/٩/١٦م.

(٤) عبد الله محمد بابكر/ السودان والتحديات الخارجية، دار الشروق للنشر، بيروت،٢٠٠١م.

(٥) المرجع السابق.

(٦) عبد الوهاب المسيرى: مقدمة لدراسة الصراع العربى الاسرائيلى، دار الفكر للنشر، دمشق، ٢٠٠٢م، ص ٠٢٧.

(٧) جريدة الرأى العام السودانية، ١٩ فبراير ٢٠٠٤م.

(٨) عبد الله محمد بابكر: مرجع سبق ذكره، ص ٠٣٣.

(٩) المرجع السابق، ص ٠٧٤.

(١٠) جريدة أخبار اليوم السودانية ٦ مارس ٢٠٠٤م.

(١١) يورجين روث : صفقة السلاح المشبوهة، ترجمة سامى أبو يحي، دار الشعب للنشر، القاهرة ٢٠٠٣م ، ص ٠١٢٣.

(١٢) احمد محمد فضل الله: الحروب الأهلية والنزاعات المسلحة في افريقيا، دار الراية للنشر، بيروت ٢٠٠٤م ، وثيقة رقم ٠١٦.

(١٣) إديمون واه : تهريب السلاح الى أفريقيا، ترجمة صادق على، دار القلم للنشر، الكويت ٢٠٠٤م، ص ٠٥٨.

(١٤) موقع Horn of Africa على الشبكة الدولية للمعلومات.

(١٥) أحمد محمد فضل الله: المرجع السابق.

(١٦) عبد الله محمد بابكر: مرجع سبق ذكره، ص ١٣٦٠.

المنحى التنصيري في روايات جورجي زيدان التاريخية

عَرّفَ نجيب الكيلاني الأدب التنصيري فقال: «نقصد بالأدب التنصيري ألوان الأدب الفنية المختلفة من قصة، ومسرحية وقصيدة ومقالة ونصوص سينمائية، وخاطرة، التى تحمل في طياتها الدعوة الى اعتناق النصرانية والتنفير من الإسلام وغيره من الديانات»[١].

انطلاقا من هذا التعريف هل بإمكاننا ادراج «روايات تاريخ الإسلام» في إطار هذا الأدب خصوصا إذا قرأنا وصفه للكنائس والأديرة والرهبان، فهو بهذا يتفق مع المنحى الأول للأدب التنصيري الذي وصفه الكيلاني بقوله: «يصور القساوسة والرهبان ورجال الدين بصورة ملائكية فريدة، فهم يخوضون الأخطار دون خوف ويقتحمون المشكلات في حلم وروية، ويتسمون بجمال الملامح ورقة المشاعر، وجلال المظهر وتألق الثياب، وانتقاء الكلمات الحلوة المؤثرة والتعاطف البالغ»[٢].

وهذا ما نجده عند جورجي زيدان في مثل قوله، وهو يشير إلى الخدمات الجليلة التى أسداها الرهبان لـ (أسماء) المسيحية بطلة رواية «عذراء قريش»، فأدارها على جنبها الصحيح وأخذ في كشف الجرح.. واشتغل الرئيس وراهبه بغسل الجرح، وتضميده وأمر بلبن فغسله به ثم صب عليه ماء مقدسا يحتفظون به لمثل هذا الحال، وربطه وأمر بملاءة من نسيج الصوف، فغطاها بها لتدفئتها ورش وجهها بالماء المقدس ودهنه بزيت مصباح الدير المضيء أمام صورة المسيح، وهو يدعو الله أن يقرب الشفاء.. ثم نظر الى خادمها مسعود وقال له: امض يا بني الى غرفة الاضياف إذا أردت طعاما، ثم اذهب الى رقادك مطمئنا، فلا يمضي على هذه الفتاة قليل حتى تصحو، وتتحسن صحتها بقوة الله وبركة صاحب هذا الدير، فقال مسعود: «إني لا أشعر بالجوع ولا أنا في حاجة الى الرقاد وأوثر أن أبقى هنا لأرى ما يصيبها»، قال: لا خير في بقائك، ولا بأس عليها لأننا ما مسحنا جريحا أو مريضا بهذا الماء المقدس إلا شفاه الله»[٣].

ويصف رئيس الدير بقوله: «عيناه تشعان قوة وصحة وقامته مستوية تدل على نشاط وهمة[٤] ويقول على لسان أسماء «ألا تذكر يا حضرة الأب المحترم أنك رأيتني قبل الآن؟ فلما سمع قولها انبسطت أسارير وجهه وتفرس في وجهها وقال: نعم رأيتك مع أمك وقد جئتما الى كنيسة ماريو حنا في دمشق لزيارة القسيس مرقس الشيخ البار»[٥].

والرهبان والقساوسة أناس في صورة ملائكة يخوضون الأخطار دون خوف ويحلون المشكلات في حلم وروية



جورجي زيدان

ويتعاطفون مع المظلومين انتصارا للحق، وهذا ما نجده عند جورجي زيدان في مثل قوله: «إنما كان يهمه الانتصار للحق والإذعان لصوت الضمير الحي شأن الذين ينتظمون في سلك الرهبنة رغبة عن ملاذ الدنيا، فهؤلاء إذا أخلصوا النية في تعبدهم لم يكن بين الناس أقدر منهم على نصرة الحق لزهدهم في الشهرة أو الثروة ولاحتقارهم زينة هذا العالم[٦].

وفي قوله واصفا أحد الرهبان «بنيامين حبيبنا الورع التقي سيأتي عما قليل»، وعن عفاف النصرانيات والراهبات يقول: «فاتفق ان وجد رجاله في بعض الأديرة فتاة جميلة الصورة فأحضروها إليه فأعجبه جمالها، فأرادها لنفسه وهي تأبى لأن بنات النصارى يحرصن كل الحرص على صيانة عرضهن، ولا سيما الراهبات، فإن الواحدة تفتديه بنفسها»[٧].

إن عالم الرهبان عالم الطهر والصفاء لدرجة ان المسلم نفسه يلجأ إليهم حين يكره هذا العالم خارج الدير المليء بالمظالم فسلمى المسلمة لولا بقية أمل بلقاء عبد الرحمن ما فضلت مكانا على الدير أو القبر، وجلنار كرهت معاشرة الأحياء واختارت الإقامة بالدير الذي فيه الأمان مع حاضنتها بعيدا عن الناس، وعبد الرحمن الكندي يقول لسلمى: «أطلب منك أن تتركي هذا العالم وتأتي معي الى دير نقيم فيه لا نرى فيه الناس ولا نسمع بمظالمهم»[٨].

وعلي المسلم أيضا يختار الإقامة في الدير من أجل العبادة فيقول مخاطبا صاحب الدير «انني وابنتي هذه نريد أن نقضي حياتنا هنا نعبد الله»[٩].

هكذا يكون الهروب من عالم المسلمين حيث المظالم والفتن الى الأديرة حيث الأمان للخائف والملاذ للمظلوم والسكون للحزين.

والكنائس والأديرة مأوى للمسافرين حيث يجدون حسن الاستقبال والراحة التامة، يقول جورجي: «فوصلوا إليه عند الظهر، فاستقبلتهم رئيسة الدير أحسن استقبال وانزلتهم على الرحب والسعة ولا سيما بعد ما رأت من لطف جلنار وكرمها فأفردت لها

د. سعيدة عبد الخالق

- المغرب -

ولريحانة غرفة طلقة الهواء نظيفة الأثاث، وأوصت الراهبات بأن يقمن على خدمتها أحسن قيام»[١٠].

بالإضافة الى ما ذكر نجده يعظم الصلبان والإنجيل ومياه المعمودية مع وصف دقيق للكنائس والأديرة، ففي وصف صلاة الرهبان يقول: «وكان الراهب في أثناء ذلك منشغلا بقراءة درج رق في يده، فيه فرض من فروض الصلاة.. ويضيف أيضا: «ثم عاد وبيده كتاب ضخم ففتحه فقرأ وتمتم ثم ركع الاثنان، فعلم أنهما يصليان»[١١].

وعلى لسان أركاديوس - بطل رواية (أرمنوسة المصرية) - يقول: «ساعداني بالصلاة وقل لها إن صليبي في عنقي وهو يرفع عني كل شيء لا ريب عندي هذا الصليب سيدفع عني كل غائلة ويقيني من كل شر، قال ذلك وقد خبأه في أثوابه» وثق يا مولانا أن صلاتنا في هذا الصباح هي التى ساعدت على رد العرب وحفظ أسوار المدينة فإن للسيدة العذراء كرامة»[١٢].

كل هذا الإيمان والثقة تولدت لدى أركاديوس عندما صلى له القسيس ورشه بمياه المعمودية تبركا وتيمنا وعلق على صدره صليبا من الذهب - يعتقد فيه الحماية من الضر - فقبل الصليب والانجيل الشريف[١٣]، الإنجيل الشريف، أما القرآن فإنه لم يصفه ولو مرة بهذا الوصف فهو كتاب عادي لا ينفع في المواقف الصعبة والحرجة «لقد تليت آياته ولم تغن المسلمين شيئا، فلم ينتصروا في بواتبيه»[١٤].

ويصف الصلبان وصفا دقيقا فيقول: «فلمحت على معصمها وشما على شكل الصليب، فاستغربت ذلك لعلمها أنها مسلمة، ولا يتخذ ذلك الوشم غير المسيحيين فتأملت فيه، فإذا هو رسم الصليب لا ريب فيه ثم دنت من رأسها.. وكأن أسماء أحست بوقوف نائله إلى جانبها فغيرت وضعها ورفعت يدها عن

جبينها واستلقت على ظهرها، فانشق صدر ثوبها فبان من تحته قلادة من فضة، فتدلت منها تميمة صغيرة عليها رسوم مسيحية»، ويضيف «فلمح الرئيس في صدرها حجابا اعتاد النصارى جعله على صدورهم، وكان سندها مكشوفا فرأى عليه رسم الصليب»[١٥].

أما الكنائس فهي دائما معطرة كما أنها تتميز بضخامة البناء ودقته «فدخلت الكنيسة وما تنسمت رائحة البخور المزوج بدخان الشموع حتى انتعشت وخشعت»[١٦].

ويقول في وصف كنائس أنطاكية «فدهشت أسماء لعظمة تلك المدينة وما فيها من الأبنية الشاهقة، وأكثرها من الكنائس فوقها القباب المزخرفة.. وظلت سائرة تلتمس دار البطريك، لعلها ترى القسيس هناك، فوصلت إلي بناء شاهق يدخلون إليه من باب عظيم قائم على أعمدة من الرخام، عتبته العليا من الجرانيت الأحمر وعليها نقوش باليونانية فأطلت من ذلك الباب على فناء واسع رصف بالفسيفساء ينتهي الى سلم عريض يصعدون منه الى دار رحبة رأت فيها جماعة من القسيسين والشمامسة وغيرهم يخطرون في مشيتهم»[١٧].

وعن الكنيست الكبرى بطليطلة يقول واصفا إياها «فاجتازوا مدخلها، وهو يتألف من ثلاثة أبواب أوسطها أعظمها، عتبته العليا بشكل قنطرة مثلثة عليها نقوش محفورة تمثل الملائكة وبعض القديسين والأنبياء، وساروا في صحن الكنيسة بين أعمدة فخمة من الرخام النقي أو المرمر، منصوبة في ثلاثة صفوف من الغرب الى الشرق يزيد عددها جميعا على ثمانين عودا، وعلو الكنيسة من صحنها الى أعلى قبتها ستة وأربعون مترا، وطولها يزيد على مائة متر.

وقد زادها فخامة في ذلك اليوم ما علقوه فيها من الثريات المضيئة بالشموع الملونة والقناديل المنارة بالزيت أمام الصور، وقد تصاعد البخار وعلت أصوات المرتلين»[١٨].

وهكذا أغلب الأحداث في الأديرة والكنائس، ففي «غادة كربلاء» فصل كامل بعنوان: (الرحيل الى الدير)، يليه فصل آخر بعنوان: (دير بحيراء)، وفي «فتاة غسان» نجد الفصول الآتية: (في دير بحيراء - ناسك حلوان - في دير هند الكبرى) كل ذلك في روايات تحمل شارة «روايات تاريخ الإسلام»، فكان أحرى بجورجي أن يطلق عليها «روايات تاريخ النصرانية» حتى يكون صادقا مع نفسه ومع الآخرين.

أما عن المنحى الآخر للأدب التنصيري فيقول نجيب الكيلاني «النيل بطريق غير مباشر من مختلف العقائد والديانات المنافسة واظهارها بمظهر الانحراف والجمود والدجل»[١٩]، مع محاولة إثارة اشمئزاز النفوس وتنفيرهم منها. وهذا أيضا نجده عند جورجي فهو يقول في وصف المسجد النبوي «بلغا الجامع فإذا هو مزدحم بالناس بين جاث وواقف، ولم يبق به موقف لطفل، وكلهم صامتون وقد تكاثفت أنفاسهم وانبعثت من باب الجامع حرارة ممتزجة بروائح أجسامهم وأثوابهم حتى لقد يشعر المار بالازدحام، وإن لم ير الناس»[٢٠].

روائح التعرق والأثواب القذرة، وهذا ينفر من دخول المسجد النبوي، أما الكنائس والأديرة فهي دائما معطرة لهذا فإن الداخل إليها ينتعش ويتخشع ما إن يتنسم رائحة البخور المزوج بدخان الشموع.

ويقول عند وصفه للجانب الشرقي من كنيسة ماريو حنا التى قال عنها «فتذكرت أن هذه الكنيسة العظيمة المعروفة باسم القديس ماريو حنا قد أخذ المسلمون حين فتحوا الشام نصفها الشرقي وجعلوا فيه مسجدا»[٢١].

هذا المسجد تحول بعد مقتل عثمان (رضي الله عنه) إلى مأتم للعويل والبكاء مما أدى إلى فرار القسيس مرقس حامل سر أسماء المسيحية بطلة روايته «عذراء قريش» إلى القدس ليجد راحته هناك وهو في أيامه الأخيرة، وهذا ما يشير اليه جورجي في هذا الحوار «فلما جلست قال لها إن القسيس مرقس سافر منذ بضعة أشهر، فأجفلت وقالت إلى أين؟ قال

إلى بيت المقدس، قالت: ومتى يعود؟ قال: لا أدري متى يعود، لأن سفره لم يكن بشأن خاص بالدير، ولكنه خرج فرارا مما أقلق راحته من أصوات البكاء والعويل التي ترن في آذاننا كل يوم في القسم الآخر من هذه الكنيسة، قالت وما هو هذا العويل، وعلى من؟ قال ربما سمعت بمقتل الخليفة عثمان في يثرب، فإن بعض رجال حاكمنا معاوية جاء بقميصه الملطخ بالدم، وأصابع امرأته، فوضعوها على المنبر الذي يخطبون فوقه، وكلما اجتمعوا للصلاة وذكروا مقتل الخليفة صاح الناس رجالا ونساء، شيوخا وأطفالا، يبكون ويولولون حتى تكاد تتفتت القلوب، وكان أبونا القسيس في أثناء ذلك مريضا مرض الشيخوخة فزاده ذلك الحال ضعفا، فأشار عليه طبيبه أن يسافر الى القدس يقيم بها حتى تتغير الحال»[٢٢].

سيطول غياب مرقس، وعندما ترحل إليه أسماء تتصادف مع جنازته فيضيع سرها الى الأبد، وكل هذا بسبب المسلمين الذين أقلقوا راحة مرقس، إن القارىء سيجد نفسه ضد المسلمين الذين ساهموا بسلوكهم اللا إنساني في ضياع السر الذي تشوق إلى معرفته.

ويظهر هذا المنحى التنصيري بشكل واضح عند حديثه عن النبي [صلى الله عليه وسلم] فهو يصفه بقوله: «صاحب الشريعة» يعني أنها من تأليفه ومن صنعه، إذ يقول في «فتاة غسان» (وبجوار بصرى هذه دير بحيراء الذي نزله أبو طالب ومعه ابن أخيه صاحب الشريعة الإسلامية حينما قدما الشام للتجارة قبل ظهور الدعوة الإسلامية ببضع وعشرين سنة).

وقد استمر في تكرار هذه اللفظة عشرات المرات «وفي أثناء ذلك جاء هرقل كتاب من صاحب الشريعة يدعوه فيه إلى الإسلام» وجعلها عنوانا للفصل التاسع، وفي «عذراء قريش» يقول عن المدينة المنورة «اشتهرت بعد الهجرة بنزول صاحب الشريعة بها في أثناء هجرته..» و«في أرمانوسة المصرية» «محمد رجل عظيم سن دينا جديدا وتبعه جمع غفير».

وغيرها من النصوص التي يحاول من خلالها جورجي اثبات أن القرآن من تأليف محمد [صلى الله عليه وسلم].

ونقول له: إنه وحي من عند الله ولو كره جورجي وأمثاله {وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين قل إنما يوحى اليَّ إنما إلهكم إله واحد فهل أنتم مسلمون} (الأنبياء/ ١٠٥ - ١٠٦).

ويظهر هذا المنحى أيضا عند حديثه عن الفتوحات الإسلامية إذ يذكر أن الإسلام انتشر بحد السيف أي بالقوة، والأمثلة على هذا الادعاء كثيرة ونكتفي في هذا المقام ببعضها. يقول عن النبي [صلى الله عليه وسلم] «وقد انتشرت سطوته في كل جزيرة العرب ويسمى أتباعه المسلمين»[٢٣]، وعن فتح مكة «الناس يهرعون والنساء يولولن وينادين بالويل والثبور»[٢٤].

وعلى لسان بطلته هند المسيحية يقول: «حتى التقت يوما بقافلة قادمة من مكة فسمعت الناس يتحدثون في فتحها وما كان من دخول المسلمين إليها عنوة وقتل بعض أهلها فارتعدت وتصورت حماراً في تلك المدينة عرضة لسيوف المسلمين»[٢٥].

انتشرت سطوته في كل الجزيرة العربية، سيوف المسلمين.. هكذا ليوهم القارىء بأن الجزيرة العربية ما دانت للرسول [صلى الله عليه وسلم] الا بالبطش، أين عام الوفود؟ أين قبول الرسول [صلى الله عليه وسلم] لصلح الحديبية كي لا يريق الدماء؟ أين عفوه صلى الله عليه وسلم؟ أين اذهبوا فأنتم الطلقاء؟ نسي جورجي كل هذا فلم يتذكر إلا السيوف والسهام والسطوة. أبمثل هذا البعد عن الحقيقة يكتب جورجي «روايات تاريخ الإسلام»؟.

وعن فتوح العراق والشام يقول «جاءوا ليقتصوا من الغسانيين ويبيدوهم عن آخرهم»[٢٦].

ويقول على لسان أحد الجنود «ندعو أهلها الى الإسلام فإن أبوا قاتلناهم حتى نفنيهم عن آخرهم»[٢٧]، ونحن نسأل أي شعب أُفْني وأبيد في فتوحات المسلمين؟ من كان جورجي يعمل في

استخباراتهم هم أصحاب الإبادة في آسيا وافريقيا وأمريكا واستراليا لا المسلمون، ولم يكتفوا بذلك فعينوا أمثال جورجي للإبادة الفكرية.

وعن فتح دمشق «إني واثق من سقوطها لما أعلمه من بطش العرب فأصحاب خالد لا يزالون يقتلون وينهبون، وكانوا قد دخلوا المدينة من الباب الشرقي وهم لا يعلمون بصلح أبي عبيدة ولكنهم اغتنموا فرصة اشتغال توما ورجاله بالقصر والولادة»[٢٨].

أما اسبانيا فقد سطا عليها العرب كما سطا عليها القوط «ثم سطا القوط على مملكة الرومان الغربية قبل سطو العرب على المملكة الشرقية ببضعة قرون»[٢٩].

المعروف تاريخيا أن السطو والبطش والهدم من صفات الغزو القوطي وغزو الهون والبرابرة حتى سميت غزواتهم وحروبهم بالبربرية وسموا بالبرابرة.

أما العرب المسلمون فليس من الأمانة التاريخية أن نستعمل كلمة سطو لفتوحاتهم، وبخاصة في اسبانيا، فشهادة المؤرخ الاسباني سانسيت ألبورنوت في الفتح الإسلامي لاسبانيا تبعد كلمة سطو عن هذا الفتح الحضاري الإنساني، حيث يقول: «إن الفتح العربي لأسبانية جلب لها كل خير» فكلمة سطو بحق الفتح الإسلامي للأندلس، كلمة لا تحمل أمانة تاريخية، وفي طياتها دس رخيص ومقارنة خاطئة[٣٠].

وفي رواية «شارل وعبد الرحمن» يذكر جورجي أن المسلمين ذبحوا النساء واغتصبوا الكنائس وأحرقوا أسقف شرطانية، وما عرف المسلمون بمثل هذه الأعمال على مر تاريخهم الطويل، فالتاريخ يشهد بعفوهم ورحمتهم التى شملت الحيوان والنبات فضلا عن الإنسان حتى قال غوستاف لوبون «ما عرف التاريخ فاتحا أرحم من العرب».

وهكذا يتضح لنا جليا من خلال هذا العرض أن جورجي زيدان لا يكتب تاريخا بل خيالا فيه تمجيد واشادة بكل ما هو مسيحي ولمحات مشوهة من تاريخنا. وأمام هذا التشويه المتعمد لتاريخنا لا يسعنا إلا أن نقول إن جورجي زيدان لتعصبه الديني وروحه الصليبية وعمالته الأجنبية لا يصلح لكتابة «روايات تاريخ الإسلام».

الهوامش :

(١، ٢) نجيب الكيلاني: مقال الأدب التنصيري، مجلة الأمة القطرية، العدد ٤٦.

(٣) عذراء قريش لجورجي زيدان، المكتبة الأدبية - بيروت ص ١٣٢ - ١٣٣ - ١٣٤.

(٤ ، ٥) المرجع نفسه ص ١٣٣ - ١٣٤.

(٦) فتح الأندلس لجورجي زيدان، المكتبة الأدبية ص ١٢٣.

(٧) أحمد بن طولون لجورجي زيدان، المكتبة الأدبية ص ١٢٩.

(٨ ، ٩) غادة كربلاء لجورجي زيدان، المكتبة الأدبية ص ١٨٦ - ٢٢٨.

(١٠) أبو مسلم الخرساني ص ١٥٢.

(١١، ١٢) عذراء قريش ص ١٣٣ - ١٣٤.

(١٣) المرجع نفسه ص ٨٧.

(١٤) شارل وعبد الرحمن، المكتبة الأدبية ص ٣٢٠.

(١٥) عذراء قريش ص ١٣٣ - ١٣٤.

(١٦) أحمد بن طولون ص ٣٧.

(١٧) عذراء قريش ص ١٧٢ - ١٧٣.

(١٨) فتح الأندلس ص ١٧.

(١٩) مقال الأدب التنصيري، مجلة الأمة ع ٤٦.

(٢٠) عذراء قريش ص ١٣.

(٢١، ٢٢) المرجع نفسه ص ١٥٢.

(٢٣ ، ٢٤) فتاة غسان لجورجي زيدان، المكتبة الأدبية جـ ١ ص ٣٨ - ١٨٦.

(٢٥) المرجع نفسه ١٩/٢.

(٢٦، ٢٧) المرجع نفسه ٩٢/١ - ١٣٨.

(٢٨) المرجع نفسه ١٢٩/٢.

(٢٩) فتح الأندلس ص ٥.

(٣٠) انظر جورجي زيدان في الميزان لشوقي أبي خليل دار الفكر - دمشق ط ١، ص ١٣٩.

رباعيتان



أحمد سالم باعطب

- جدة -

يا سيد الخلق ، والأخلاق ما فتئتْ

رغابُنا تعشقُ الفوضى وتحتضنُ

تُدْمي جراحاتنا في كل ثانية

سودُ الخطايا وتضري نارها الإحنُ

هلْ من سبيل إلى القُربى ومُغْتسل

من الرضا بارد تُشْفي به المحنُ

ومن سيطفىء حرَّ الشر في دمنا

والمرء بالشر مفتونٌ ومُمْتحنُ

* * *

يا سيد الخلق إنَّا أمَّةٌ عصفتْ

بها الصراعات واستشرتْ بها الفتنُ

جفَّتْ حروفُ الأماني في حناجرنا

ومسَّ وحدتنا الإحباط والوهنُ

كانت لنا في ذُرى العلياء منزلة

نجوبُها ولنا فوْق السُّهى سكن

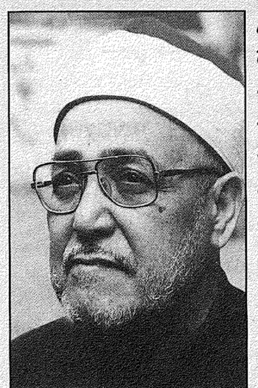
حتَّى هدمنا بأيدينا منائرنا

فلم يقُم في الحنايا للهُدى وطنُ



(جدّد حياتك)

للأستاذ الداعية/ محمد الغزالي


الشيخ محمد الغزالي

لا يمكن لكتاب يظهر في النصف الثاني من القرن العشرين باحثا عن طريق السعادة في الحياة إلا أن يكون ثمرة ناضجة لتجارب عميقة، وعصارة صافية لقراءات بصيرة، فموضوع حي كهذا الموضوع يتطلب من الجلد والموهبة نصيبا كبيرا يعين على سبره واكتشافه، فهو في حاجة ماسة الى دراسات متشعبة لعلوم النفس والتربية والاجتماع من ناحية، والى نفس حية خصبة المشاعر قوية الأحاسيس من ناحية ثانية، ثم الى عقل بصير يزن ويحلل وينقد من ناحية ثالثة، وبهذه الأضلاع الثلاثة يمكنك أن تجد فائدة صادقة فيما تطالع من بحث وما تنشد من تسديد.

وهذا الكتاب بموضوعه ومؤلفه جدير بالنقد والتحليل، على أننا لا نحتاج الى إيضاح هدفه للقراء، فعنوانه الدقيق «جدد حياتك» يكفى كفاية تامة في بيان مرماه، ولكننا نوضح الأسس التى ارتفع عليها بناء هذا الانتاج، ولعلها تنحصر في شمول النظرة، وتنوع الثقافة وبلاغة التعبير، وثلاثتها تسد مسدّا جميلا في الاقناع والتوجيه.

إن النظرة المحدودة لشيء ما لا تستطيع أن تبرزه على حقيقته، فأنت إذا نظرت من زاوية خاصة إلى لوحة حسية أمام عينيك لا تقدر أن تتكشف جوانبها المختلفة، بل تعود منها بفكرة جزئية تصدق في أمر وتكذب في أمور، والنظرة المحدودة في المعنويات أشد خطرا على الحقيقة، وأبعد مدى عن الواقع فلابد لمن يسبر أغوار النوازع والخوالج أن يقلب الرأى على شتى وجوهه، وأن ينظر الى موضوعه نظرة المتفرس الذى لا يدع زاوية في منحنى أو مسربا في اتجاه، واذ ذاك يستطيع أن يقدم ما يقنع ويمتع، فلا يترك نقدا يتردد في العقل، أو استدراكا يفد الى التفكير، وإذا بلغ الكاتب هذا المبلغ فقد سلك الطريق القويم وأنت



أ. د. محمد رجب البيومي

عضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر - مصر

تجد شمول النظرة فيما تطالع من سطور هذا الكتاب، فما يلم مؤلفه بناحية إلا وشفعها بإيضاح ما تنطوي عليه من غوامض، ولا يجيز لقلمه أن يجلو منها وجها واحدا، فقد يكون الوجه الآخر أدعى الى استكمال الرأي ونضوج المذهب، ونحن في حياة محيرة متشعبة فلابد أن يتشعب إزاءها طريق العلاج، ومناحي التشخيص!!

لقد تكلم الكاتب - مثلا - عن إحساس المرء بنفسه فمجّده وعظّمه وذكر أن النفس التي تمتلىء بالثقة واليقين تقدم على المصاعب آملة مستبشرة وتحتقر المكايد مترفقة مستعلية، «**فالرجل العظيم حقا كلما حلق في آفاق الكمال اتسع صدره، وامتد حلمه، وعذر الناس من أنفسهم والتمس المبررات لأغلاطهم، فإذا عدا عليه غرٌ يريد تجريحه نظر إليه من قمته كما ينظر الفيلسوف إلى صبيان يعيشون في الطريق وقد يرمونه بالأحجار، وقد رأينا الغضب يشتط بأصحابه الى حد الجنون عندما تُقْتَحَم عليهم نفوسهم! أفلو كان الشخص يعيش وراء أسوار عالية من فضائله يحس بوخز الألم على هذا النحو؟ كلا، إن الإهانات تسقط على قائفها قبل أن تصل إلى مرماها البعيد**» ص ١٢٤.

فهذه زاوية أولى من زوايا الثقة بالنفس، ولو اقتصر الكاتب عليها لفقد ما تميز به من شمول النظرة، وتشعب الاتجاه، ولكنه يعرض لك الزاوية الثانية فيقول: «**واحساس المرء إذا زاد عن حده يحجبه عن الآخرين، ويحصره في عالم خاص به، ولا يزال ماضيا في تكبير شأنه وتهوين غيره، ولا تزال نفسه تعجبه وتنسج حوله غلالة سميكة من الغرور والشراهة، ولا تزال «أنا» تنمو فيه ويتضاعف ورقها وتضخمها حتى يقول: أنا ربكم الأعلى، إن حب الذات والعيش في افرازاتها منته حتما الى الاختناق، وهو اختناق أدبي، وان وصل صاحبه الى قمة المجد والسلطان**».

بعد هذه الزاوية الثانية يسير بك الكاتب الى زاوية ثالثة يجمل فيها حب النفس، وتظهر «أنا» في محيطها عظيمة قوية، تلك هي زاوية الأهوال والمحن حين تَدْلَهِمُّ الخطوب.. «**ويتطلع الناظرون الى منقذ بطل يحمل روحه على كفه ويقول، (أنا) الحبيبة بملء شفتيه، ويالها من كلمة قوية تدعو إلى الاجلال والإعجاب، فأنا في هذه المناسبات صيحة القوة لنصرة الحق وفاتحة العمل لدعم الإيمان والتعهد بأداء الواجب إن بهظت تكاليفه، والشعور الحاد بأن المرء قبل غيره مفروض عليه أن يقوم بما ندب إليه، (أنا) التي يقولها امرؤ في مجال الطمع غير (أنا) التي يهتف بها رجل في مجال الفزع وبين الاثنين بُعد المشرقين**».

هذا مثل واحد من أمثال النظرة الشاملة في الكتاب، وأنت تجد نظائره في جميع ما تقرأ فهناك مثلا فرق بعيد بين الصبر حين يصبح ينبوعا تسيل منه مخايل الرجولة، وحين يكون بلادة تنحرف إليها الطباع المريضة.

وهناك التفكير في المستقبل إذ يسلم الى وساوس قلقة ؛ وأوهام ضجرة ، فيكون داء يعضل وإذ يكون استعدادا وتأهبا وحيطة فيكون شفاء يريح ، وهناك العودة الى الماضي حين تكون مجال العظة وموضع الاعتبار والاستفادة فتسعد ، وحين تصير تجديدا للحزن ونكأ للجروح وإظلاما للعين فتشقى ، وهناك مركب النقص حين يحفز إلى الكمال ويحدو المجد فيثمر ، وحين يجنح الى الرياء والتظاهر الكاذب فيجدب ويمحل ، وهناك عشرات الامثلة من هذه الالوان المتقابلة نلفت اليها الانظار في اهتمام وتقدير.

أما تنوع الثقافة في الكتاب فيستشفه القارىء استشفافا دون أن يجد ما يدل عليه من ثبت للمصادر، وحشد للمراجع، ومباهاة بالتنقيب والإطلاع فأنت ترى عصارة مهضومة لعلوم متنوعة، دون أن تصدم بمصطلحات علمية، يحشدها المتعالمون أو قضايا ذهنية يعرضها المباهون، بل أجزم أنك لا تكاد تحس بأصول هذه الثمار اليانعة؛ لأن الكاتب قد هضم قراءاته المختلفة هضما صحيحا، فتحولت على أسلات قلمه مادة أخرى، كما تتحول الطعوم والمشارب إلى دماء تجرى في العروق، فهي وان استمدت خلاصتها مما أكل وشرب إلا أنها في شرايينها المتدفقة ذات لون خاص وحيوية خاصة، فأنت إذا قرأت قوله مثلا - ص ٧٧ - «**وقد علم أولو النهى من تجاربهم، أن هناك أشياء تبدر من الانسان وهو غير آبه بها ولا يقظ لها يعدها الآخرون عليه، ويستنتجون منها أفكارا خاصة ويرون وراءها نيات غريبة**».

أقول إذا قرأت ذلك فإنك ستنتقل الى العقل الباطن في علم النفس، وتعرف كيف يفصح عن رغباته المكبوتة بهذه البوادر الضئيلة، فتكون على صغرها المنكمش أبلغ في افتضاح صاحبها من ألف مذياع، والمؤلف يستمد نظرته تلك من دراسته النفسية، ولكنه يأبى أن يحشد المقررات النظرية في اصطلاحاتها العلمية، بل يحيلها بأسلوبه الخاص الى عبارة واضحة متواضعة؛ وهو أحيانا يأتي بالظاهرة النفسية دون أن يتعالم بتحليلها العلمي، بل يتركه للمتخصصين، وقد كشف كل شيء عنه دون أن يلجأ إلى مصطلح غريب، وإذا قرأ القارىء مثلا قوله «**ومن المؤسف أن بعض الناس يقع على السيئة في سلوك شخص ما فيقيم الدنيا ويقعدها من أجلها، ثم هو يعمى أو يتعامى عما تمتلىء به حياة هذا الشخص من أفعال حسان وشمائل كرام**» فليس بعد هذا الوضوح البديهى في حاجة الى لغة خاصة ترجع بهذه الصورة الى قاعدتها العلمية في دنيا الاصطلاحات والتعاريف، وهكذا نقطف الثمرة دون أن نتكلف الغراس والرّى والتشذيب، وقد دفعه هذا التنوع الثقافي الى أن يقتبس أقوالا عديدة لأئمة المفكرين في الشرق والغرب والمسيحية والإسلام مع مقارنة لذيذة بين نتاج العلوم وحصاد القرائح، وكثيرا ما يشفع النص بتحليل عميق يضيف إليه الرائع الطريف.

فلديك قول المسيح عليه السلام «**أحبوا أعداءكم**» فقد نقل الغزالى أولا تعقيبا عليه قول (ديل كارنيجى) «**إنه ليس تقويما للخلق فقط وإنما هو تقويم للبدن أيضا، إذ أن العداوة تذيب الجسم وتفرى الضلوع**» ثم أتبع ذلك بقوله «**أما محبة الأعداء فلعلها تعنى إيثار العفو عنهم، وتنقية القلب من الضغائن عليهم، وترك الاشتغال بما أسلفوا من سيئات!! أما أن تكون عواطف الإنسان سواء تجاه من يحسن إليه ومن يجور**

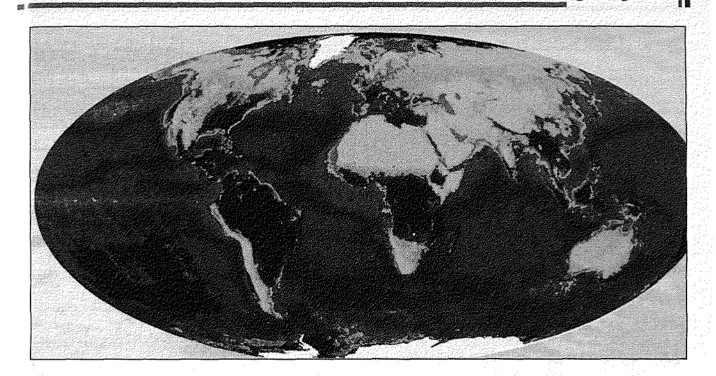
عليه فذلك يستحيل!!» وهذا صحيح، وإذا كان الكتاب للتربية والتهذيب فقد خاطب الجانب الوجداني من النفس وسرد الشعر الرائع عربيا وأجنبيا ليثير به الأحاسيس، وقد هزتني الأبيات الجميلة المختارة، هزة عاطفية، جعلتني أنقل أكثرها في أوراقي الخاصة، وإن كنت لا أوافق على الاستشهاد ببعضها فيما حدده الكاتب من مجال، فهو ينقل مثلا قول الشاعر.. «والت هوتيمان» (ما أجمل أن أواجه الظلام والأنواء والجوع والمصائب والمآسي واللوم والتقريع كما يواجهها الحيوان وتواجهها من الأشجار الجذوع) فالقياس بين الإنسان وغيره مع الفارق؛ لأن الحيوان بله والنبات لا يدرك العواقب فيبتئس، أما العاقل فيشقى في النعيم بعقله، ولعل مما يشفع لوالت هوتيمان أنه شاعر ينظر بإحساسه وحده، ولكن ماذا يشفع للمؤلف وهو مفكر يمزج الحس بالعقل.. ويمضي مع الخيال الى مدى محدود!. هذه وجهة نظر فقط ولعلها تكون مداعبة أكثر منها معارضة فالخيال شهي حبيب.

وعلى ذكر الاقتبسات والاستشهادات نسجل للكاتب سعة الصدر لدى خصومه في الرأي، فقد استدل بكلام كثير للدكتور/ زكي مبارك وأيد ما نقله عنه من الآراء في استحسان وتحبيذ مع أنه في كتابه عن الاستعمار قد حارب الدكتور زكي مبارك حربا طاحنة وعقب على آرائه في النثر الفني بما يطمس لألاءها الخلوب!! ولكنه حين يجد الإصابة لديه في كتاب التصوف يستقي من معينه ويفرق فرقا جليا بين الرأي والشخص، سانًا طريقة معتدلة حبذا أن يسلكها الباحثون.

وننتقل بعد ذلك الى الضلع الأخير وهو التعبير المطبوع، فقد ترقرق الأسلوب كالجدول الهادىء الشفاف حافلا بكثير من الصور والأخيلة التي ترسم جوا من الجمال الفاتن! وهو في صوره الأدبية لا يعمد الى المبالغة المتكلفة، بل يهدف الى الفكرة القوية فيلبسها كساء أخاذا تزدهي به فيوضح تقاطيعها ورشاقتها دون أن يصبغها بتمويه خداع، ولا أدري لماذا يذكرني بابن المقفع، فكلا الكاتبين يتخذ من الخيال البلاغي إطارا زاهيا لأفكاره ولكن الجزالة لدى الأديب العباسي تخلي الطريق للرقة لدى الأديب المعاصر، ولكل عصر مقال، فما أجمل أن نستروح عبير البيان التصويري من مثل قوله: «**والرجل المقبل على الدنيا بعزيمة وصبر لا تخضعه الظروف السيئة المحيطة به، إنما يستفيد منها ويحتفظ بخصائصه أمامها، كبذور الأزهار التي تطمر تحت أكوام السبخ، ثم هي تشق الطريق الى أعلى مستقبلة ضوء الشمس برائحتها المنعشة! لقد حولت الحمأ المسنون والماء الكدر الى لون بهيج وعطر فواح!!**».

أو مثل قوله «**الأفراد والجماعات منطلقون في سباق رهيب لإحراز اكبر حظ مستطاع من حطام الدنيا، وقواهم البدنية والنفسية تدور كالآلة الدائبه وراء هذه الغاية إلا أن الآلات قد يقطر عليها من الزيت ما يرطب حدة الاحتكاك أو يمنع الشرر المتولد من إحراقها، أما أعصاب الناس في عراك المادة، فكثيرا ما تفقد هذا العنصر الملطف، وتمضي مستثارة يستبد بها القلق والضيق حتى تشتعل فتأتي على الأخضر واليابس**».

أليس في أمثال هذه الصور الجميلة ما يقرع الأسماع الغافلة فيوقظ النائمين!! لقد كان القلم في يد الغزالي ناقوسا يجلجل، ورعدا يرن، فهل من سميع!.



ظاهرة التسخين غير المسبوقة منذ ألف عام:

تبدلات الظواهر المناخية في الألفية الثالثة؟

ما يشهده العالم في الآونة الأخيرة من ظواهر جوية عنيفة لم نعهدها طوال الحقبة التي نعيشها على الأقل على مدى المئة سنة الأخيرة وكأننا بها بداية لتغيرات مناخية مرتقبة على مدى القادم من السنين.. وانطلاقا من هذا الواقع حاولنا أن نطلع على تقارير المنظمة العالمية للارصاد الجوية بخصوص الوضع المناخي العالمي محاولين قدر الإمكان أن نفسر ما يحدث.. ومما تم جمعه من معلومات وبشكل متقطع لنصفي الكرة الأرضية، خلصنا وحسب تسجيلات أعضاء المنظمة العالمية في تاريخ ١٦ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٣م أن درجة حرارة سطح الكرة الأرضية للعام ٢٠٠٣م (٤٥) درجة مئوية زيادة عن المعدل السنوى العام للكرة الأرضية ما بين ١٩٦١-١٩٩١ وهذه القيمة تجعل من عام ٢٠٠٣م عام التسخين الثالث وذلك مباشرة بعد عام ٢٠٠٢م (٤٨) درجة مئوية والسنة الأكثر تسخينا تبقى سنة ١٩٩٨م (٥٥) درجة مئوية وعلى هذا فإن درجات الحرارة المرتفعة المسجلة على الأرض عام ٢٠٠٣م أثرت بجميع المناطق حيث عانت أوروبا من حرارة لم يسبق لها مثيل خلال أشهر حزيران وتموز وآب.. أما منطقة المتوسط والمنطقة الشرقية المجاورة فكانت من أكثر

المناطق حرارة على الأرض كما أن درجة حرارة سطح البحر كانت مرتفعة طبقا لتسجيلا حزيران/ يونيو وتموز/ يوليو أما نصف الكرة الشمالي فكان الأكثر حرارة على الأرض وفي حيدان حرارة سطح البحر حسب التسجيلات لأيلول/ سبتمبر وتشرين الأول/ أكتوبر.

ولقد تزايدت درجة حرارة سطح الكرة الأرضية منذ بداية التسجيل الآلي عام ١٨٦١م فعلى مدار القرن العشرين كان التزايد أكثر من ٦ درجات مئوية وأن معدل التغيير للفترة من عام ١٩٧٦م هو تقريبا ثلاثة أضعاف عما كان عليه قبل مئة عام إجمالا، وتحليل المعطيات لنصف الكرة الشمالي يشير الى أن تسخين نهاية القرن العشرين لم يسبق له مثيل في الألف عام الماضية على الأقل ففي نصف الكرة الشمالي كان عقد التسعينيات العقد الأكثر تسخينا وعام ١٩٩٨م العام الأكثر تسخينا في الألف سنة الماضية.

فروقات درجات الحرارة الإقليمية :

لقد تأثرت معظم أوروبا بموجات الحر خلال أشهر الصيف (حزيران ، تموز ، آب) للعام ٢٠٠٣م ودرجات الحرارة الفصلية الأعلى تم تسجيلها في كل من ألمانيا، سويسرا، فرنسا واسبانيا، هذه الموجة الحارة التى نشأت نتيجة منطقة ذات ضغط جوي مرتفع فوق أوروبا الغربية، مرتبطة ومترافقة بامتداد لمرتفع جوي واضح ومميز (ridge) واسع الانتشار في طبقات الجو العليا.

إن مثل هذه المرتفعات الثابتة والمعوقة لتقدم المنخفضات (blocking highs) والتى تدوم لعدة أيام ليست نادرة الحدوث في أوروبا خلال الصيف، وهي عادة تترافق بطقس مشمس ودافيء ومهما يكن في هذه الحالة فإن الهواء المسخن والقادم من الجنوب عزز شدة واستمرارية الموجة الحارة.

د. عصام وهدان
سوريا

لقد زادت درجات الحرارة عن ٤٠ درجة مئوية، في العديد من الأماكن، ففي فرنسا، وإيطاليا، هولندا، البرتغال، المملكة المتحدة وإسبانيا أكثر من ٢١٠٠٠ حالة وفاة إضافية تعزى الى درجات الحرارة القياسية غير المسبوقة، وعانت اسبانيا، البرتغال، وفرنسا وبلدان في أوروبا الشرقية والوسطى من حرائق الغابات الكثيفة.

أما في جبال الألب الأوروبية فقد وصل معدل فقدان سماكة الأنهار الجليدية الى ما يساوي ٣ أمتار من المياه والتى كانت تقريبا ضعف مقدار ما فقدته في تسجيل العام السابق ١٩٩٨م، (٦ر١متر) لقد كانت درجات الحرارة عبر أجزاء من أوروبا خلال فترة الصيف بمعدل ثابت أعلى من المعدل السنوي العام بـ ٥ درجات مئوية وذلك لعدة شهور.

وامتدت موجات الحر الى أجزاء أخرى من نصف الكرة الشمالي بدرجات حرارة قريبة من القياسية سجلت في كندا، الولايات المتحدة (بما فيها هاواي وآلاسكا) الصين، وأجزاء من روسيا، وخلافا مع فصل الصيف فوق أجزاء كبيرة من النصف الشمالي كانت هناك درجات حرارة منخفضة جدا مع رطوبة عالية امتدت من الصين الشمالية الى اليابان خلال شهري تموز/ يوليو وآب/ أغسطس.

وفي كل من الهند، الباكستان ، وبنغلاديش أدت الموجة الحارة التى تسبق المنخفض الموسمي الهندي هذا العام إلى درجات حرارة مرتفعة وصلت لذروتها وتراوحت بين ٤٥ و ٤٩ درجة مئوية خلال شهر أيار. وشهر أيار عادة ما يكون الشهر الأكثر حرارة في الهند، وموجات الحر غالبا ما تظهر قبل بداية تشكل المنخفض الموسمي الهندي ولكن التسخين هذا العام

** عقد التسعينيات من القرن الماضي كان الاكثر تسخينا في الألف سنة الماضية.

بشكل خاص كان شديدا، حيث وصلت الوفيات في الهند الى ١٥٠٠ شخص على الأقل بسبب الطقس الحار.
وتناقض ذلك بشدة مع درجات الحرارة المنخفضة جدا التى رصدت في شمال الهند خلال شهر كانون الثاني/ يناير فدرجات الحرارة العظمى تراوحت بين ٤ إلى ٥ درجات مئوية وهي أدنى من معدلها السنوي العام والتى نتج عنها أكثر من ١٩٠٠ حالة هلاك وفي البلدان المجاورة كالباكستان، نيبال ، بنغلاديش، فإن تركيبة الطقس البارد والضباب المنتشر أودى بحياة المئات في كانون الثاني.

وخلال شتاء نصف الكرة الشمالي شهدت مناطق كبيرة في أوروبا الشرقية والوسطى عوارض لدرجات حرارة باردة جدا، حيث وصلت درجات الحرارة في الاتحاد الروسي في كانون الثاني/ يناير إلى (ـ ٤٥) درجة مئوية، أما منغوليا فقد عانت وللسنة الثالثة على التوالي من دورة صيف جاف. وشتاء بارد إضافة لآثار مدمرة على الدواجن والمواشي، وخلال الشتاء الأسترالي أدت الموجة الباردة في المرتفعات البيروفية الى أكثر من ٢٠٠ حالة وفاة حيث إن درجات الحرارة في المناطق التى ترتفع ٤٠٠٠ متر انخفضت تحت (ـ ٢٠) في تموز/ يوليو.

الانفراج في بعض المناطق الجافة :

بدأ العام ٢٠٠٢م بظاهرة النينو المعتدلة في المحيط الهادي الاستوائي والتى تبددت بسرعة إلى أحوال جوية حيادية باقتراب نيسان، إن تأثيرات ظاهرة النينو التى استمرت إلى بداية ٢٠٠٣م تضمنت جفافا أكثر من الأحوال العادية فوق أستراليا وأحوال جافة شديدة في الأجزاء الجنوبية من أفريقيا.

إن الحرارة المسجلة والأحوال الجافة في أستراليا عززت الحرائق الهائلة التى دمرت أجزاء من الجنوب الشرقي، فحرائق الأدغال الهائلة والمركبة التى استمرت ٥٩ يوما خلال شهري كانون الثاني/ يناير وشباط/ فبراير دمرت أكثر من ٣ ملايين هكتار، وعلى الرغم من التهطال القريب من المعدل فإن آثار الجفاف بقيت على مدار عام ٢٠٠٣م.

أما في أفريقيا فاستمرت الأحوال الجافة لتؤثر أكثر من بوتسوانا، زمبابوي، أجزاء من جنوب أفريقيا وموزامبيق، في بداية عام ٢٠٠٣م، فكمية التهطال التى تم جمعها في موبوتو خلال شهري تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠٢م وكانون الثاني/ يناير كانت أقل كمية هطول منذ ١٩٥١ ـ ١٩٥٢م لقد استفادت مناطق في شمال موزامبيق، جنوب مالاوي، وشرق زامبيا من التهطال الذي فاق المعدل الطبيعي أثناء الفصل الماطر ولكن معظم هذا التهطال نتج بسبب أعاصير مدارية وغالبا ما ترافقت بفيضانات وكان للفصل الماطر الجارف آثار متفاوتة على المحاصيل ولكن أدى إلى زيادة إجمالية في الإنتاج الزراعي في المنطق.

إن التهطال الذي فاق المعدل الطبيعي عبر معظم المنطقة الساحلية في أفريقيا الغربية عدل حالة الجفاف في هذه المنطقة أيضا، وهكذا فإن محاصيل القطن

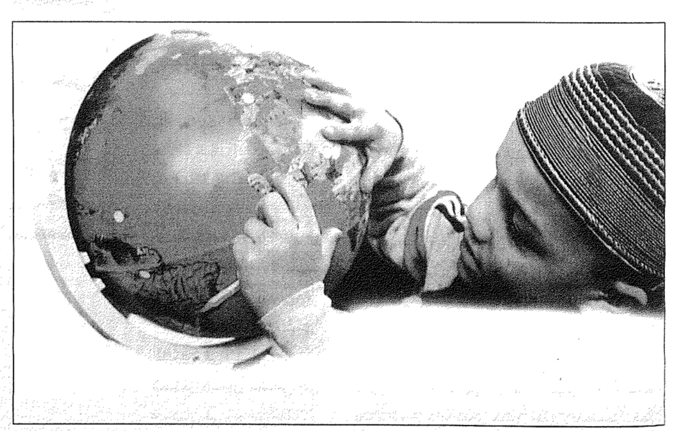
والحبوب كانت أيضا زائدة عن المعدل في معظم البلدان أما في افريقيا الشرقية فالجفاف في الأجزاء الشمالية من أثيوبيا وأريتريا استمر بإلحاق الضرر بالزراعة والأمن الغذائي.

ومع اقتراب نهاية العام ٢٠٠٢م أثر الجفاف المتراوح بين المعتدل إلى الشديد جدا بـ ٣٧٪ من المناطق المتجاورة في الولايات المتحدة، كما أدى إلى نقص في المياه في بعض المناطق للسنة الرابعة أو الخامسة على التوالي، وظهرت في جنوب كاليفورنيا في نهاية تشرين الأول حسب ما سجلته الولايات المتحدة أكبر الحرائق الهائلة التى كبدت الكثير من الخسائر، كما عانت كولومبيا البريطانية (في كندا) خلال فصل الصيف من حرائق هائلة لم تشهدها من قبل كبدتها الكثير من الخسائر أيضا، ثم أتت الأمطار الخريفية الغزيرة لتنهي أحوال الجفاف ولكنها أدت إلى فيضانات في المنطقة. وأدى تساقط الثلوج والأمطار إلى انفراج في الأحوال الجافة في أفغانستان التى تنامت خلال الأربع سنوات الماضية، واستمرت الأمطار الهاطلة في تزويد خزانات المياه التى كانت جافة لسنوات.

الأمطار الغزيرة والفيضانات :

وكعادته كما في سنوات عديدة فإن المنخفض الموسمي الهندي الذي يسيطر في الصيف من حزيران/ يونيو وحتى أيلول/ سبتمبر جلب أمطارا غزيرة وفيضانات لأجزاء من باكستان شمال الهند، نيبال وبنغلاديش، كما وصل نهر الغانج الى أعلى مستوى له منذ عام ١٩٧٥م مسببا مئات الوفيات بسبب فيضانه، وعلى

**** الصناعات الأمريكية هي الأكثر تسبباً في ارتفاع درجات الحرارة.**



أية حال فإن مجمل الهطول في الهند كان قريبا من المعدل الطبيعي وهو (١٠٢٪ من المعدل السنوي الطويل المدى) وكانت الأمطار الموسمية موزعة بشكل مناسب عبر الفصل والبلاد.

والأمطار الغزيرة للمنخفض الموسمي الهندي أدت إلى فيضان حوض النهر الأسفر الصيني وبعض روافده بين حزيران/ يونيو وتشرين الأول/ أكتوبر حيث وصل عدد الضحايا الموتى في الصين الى حوالي ٢٠٠٠ شخص وكانت هذه الحصيلة أقل منها في حوادث سابقة في عام ١٩٩١ و ١٩٩٨م. وجزء من المنطقة التى تعرضت للفيضان تأثرت مع بداية العام بأسوأ موجة جفاف خلال الخمسين سنة الماضية، وشهدت كل من تايلاند وفيتنام أمطارا غزيرة وفيضانات هائلة خلال فصليهما الماطرين ولا سيما في تشرين الأول/ أكتوبر.

لقد أدت الأمطار الغزيرة في البرازيل خلال شهر كانون الثاني إلى فيضان في ريو دي جانيرو مسببة انزلاقات طينية مميتة، وعانت منطقة سانتافو في الأرجنتين من فيضان خطير في نهاية نيسان/ أبريل وأول أيار/ مايو أدى إلى انخفاض في الإنتاج الزراعي وتأثيرات سلبية على نوعية المياه. وأدت الأمطار الفصلية الغزيرة في أفريقيا خلال شهر نيسان/ أبريل الى فيضان في كينيا والأجزاء الجنوبية من أثيوبيا والصومال، مع أحوال مشابهة غرب أريتريا وشمال شرق السودان خلال تموز/ يوليو.

إن العواصف الثلجية التى حصلت في شباط/ فبراير جلبت ٢٤ ساعة من التساقط الثلجي الغزير حيث سجلت رقما قياسيا جديدا للعاصفة الثلجية في شرق الولايات المتحدة أدت الى وفيات عديدة بسبب الطقس، وكانت تسجيلات الهطول في تشرين الثاني/ نوفمبر في أجزاء من كولومبيا البريطانية الساحلية قد وصلت إلى ٤٧٠ملم من الأمطار في غضون ستة أيام محدثة أسوأ الفيضانات في هذا القرن.

**** أكثر من عشرين ألفاً لقوا حتفهم نتيجة ارتفاع درجة الحرارة في أوروبا في العقد الماضي.**

الزوابع والأعاصير والمنخفضات الاستوائية :

لقد شهد الفصل الإعصاري الأطلسي هذه السنة ظهور ١٦ عاصفة مسماة حيث فاقت المعدل بين عامي ١٩٩٤ ـ ١٩٩٦م بمعدل ٩٫٨ ولكن مع تزايد ثابت ملحوظ في العدد السنوي للنظم المدارية منذ منتصف التسعينيات. وتم تصنيف ٧ من العواصف المسماة كأعاصير وثلاثة منها أساسية، حيث صنف إعصار إيزابيل الذي ضرب شمال كارولينا كأقوى إعصار تم تسجيله، وإعصار جوان كان أسوأ إعصار ضرب هاليفاكس (والتي تسمى حايا نوفا سكوتيا)، وإعصار فابيان الذي ضرب برمودا كان الإعصار الأكثر تخريبا لأكثر من ٧٥ سنة. وبدأ الفصل الإعصاري ببطء في شرق الباسفيك على الرغم من ظهور ١٦ عاصفة مسماة مع بداية شهر كانون الأول/ ديسمبر، فهذه

القيمة هي أكبر بقليل من سنوات ماضية ولكنها قريبة إلى المعدل الذي يبلغ ١٦ر٤ بين عامي ١٩٦٦ - ١٩٩٦م، حيث إنه ولا عاصفة وصلت الى حد قوة الإعصار حتى شهر آب الأخير، فوصلت سبع عواصف إلى حد قوة الإعصار في ٣١ من شهر تشرين الأول أكتوبر وواحد منها فقط وصل إلى حد التطور الأعظمي.

أما بالنسبة للشمال الغربي للمحيط الباسفيكي فقد تدنت الفعالية قليلا في عام ٢٠٠٣م إلى ٢٠ عاصفة مسماة رصدت في الباسيفيك الشمالي الغربي وكانت تحت المعدل بـ ٢٥ر٤ منذ عام ١٩٧١م حتى غاية عام ٢٠٠٠م إذ وصل ١٢ منها إلى شدة التيفون، فتيفون ميامي الذي عبر فوق جنوب اليابان ورسى فوق شبه الجزيرة الكورية في ١٢ أيلول/ سبتمبر، تسبب بحدوث أكثر من ١٣٠ حالة وفاة ودمار هائل في الممتلكات.

أما بالنسبة لجنوب غرب حوض المحيط الهندى فإن الفصل الإعصاري كان ذا فعالية بعدد من العواصف المسماة التى تجاوزت المعدل الطبيعى فوق الحوض بأكمله، وفي سيرلانكا فإن الأمطار الغزيرة التى هطلت في أيار/ مايو بسبب الإعصار الاستوائي OIB تسببت بتفاقم الأحوال الجوية المشبعة بالرطوبة تماما والتى نتج عنها الفيضانات والانزلاقات وقتل ٢٥٠ شخصا على الأقل، يعتبر هذا الفيضان أسوأ ما أثر في المنطقة خلال الخمسين سنة الماضية.

اتساع ثقب الأوزون القطبي الجنوبي :

يظهر التحليل الشامل للمعطيات المتقاطعة المقيسة من القمر الصناعي ومن المحطات الأرضية في المنطقة فوق وقرب القطب الجنوبي بأن أقصى حجم لثقب الأوزون وصل في أواخر أيلول/ سبتمبر الماضي الى (٢٨ مليون كم٢) متجاوزا الحجم المسجل في أيلول/ سبتمبر عام ٢٠٠٠، وهذا في تناقص مع حجم ثقب الأوزون للسنة الماضية، والذي انشطر إلى شطرين خلال أيلول الماضي وكان الأصغر لأكثر من عقد وكما هو الحال في عام ٢٠٠٠ فإن ثقب الأوزون تبدد في عام ٢٠٠٣م باكرا.

تقلص مساحة البحر الجليدي (اركتيك) :

وصلت مساحة البحر الجليدي لنصف الكرة الشمالية إلى ٥ر٤ مليون كم٢ في أيلول/ سبتمبر عام ٢٠٠٣م والتى كانت تقريبا مساوية للتسجيل المنخفض الذى كان بمقدار ٥ر٣ في أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٢م، إن رصد انخفاض مساحة البحر الجليدي الذي تم خلال السنوات الماضية جاء مطابقاً لتحليلات معطيات القمر الصناعي، والتى تظهر بأن المنطقة القطبية الشمالية تسخنت بشكل مميز في التسعينيات مقارنة مع الثمانينيات.

**** درجة حرارة الأرض ارتفعت ثلاثة أضعاف ما كانت عليه قبل مئة عام.**



العَوَرُ والعَمَى في العولمة

أحماض أدبية

حدثنا ابن العالمة[١] قال:

أسبغ الله عليّ من نعمه الظاهرة والباطنة ما أغناني عن ذلّ السؤال بيسر الحال، ووفرة المال لما عملتُ في الوزارة واحترفتُ الطب، فرأيتُ أن أكرم أهل العلم والأدب، مستهلا التكريم بالكوكب الدري، أستاذي وشيخي ابن الجوزي[٢] الذي لا تنفك موجبات الاحتفاء به تلح على خاطري: فهو مؤرخ محقق، ومصنف مدقق، وأديب افتن في صيد الخاطر، ونسّاخ ماهر كتب بيده نحو خمسمائة مجلد! ورأيتُ أن أكرمه برحلة علمية لا بحفلة خطابية، فاصطحبته الى لبنان بلد الأرز والماء والزهر، وتجولنا وبزوغ النور في بيروت وصيدا وصور، وطرابلس وبعلبك ومرجعيون، ونعمنا بظل ظليل في مرج وعيون على ضفاف العاصي والليطاني والحاصباني وفوق القرنة السوداء، وبين أحضان البقاع الخضراء!

ولما علم الأدباء بمقدم ابن الجوزي توافدوا عليه، وأسرعوا إليه، وحفّوا به، واجتمع منهم خلق كثير يتصدرهم أمير البيان شكيب أرسلان، والشدياق، وجبران، واليازجي وأحفاده، والبستاني وأولاده، وآل المعلوف، وابن نعيمة المعروف، ويعقوب صروف، والأخطل الأصغر، وشعراء المهجر! ولما تكلم ابن الجوزي سحرهم ببيانه، وبهرهم ما خط ببنانه، فارتجل الشواف أبياتاً في تقريض يراعه والإشادة بطول باعه:

لبنانُ، لا غرو أن خفوا وأن وفدوا
فإنهم أهله من حوله احتشدوا
آمنتُ بالقلم الجبار يجمعهم
جمع الحجيج لدى البيت الذي قصدوا
لا تحسبوه يراعاً قُدّ من قصب
هذا فم وفؤاد خافق ويد

ما صارَ بالحق إلا خرَّ منحطماً
للظلم ركن من الأركان أو عمدُ
لا يحفظ الدهر إلا ما تخط يد
بناءة فُجّرت من خلفها كبدُ[٣]!

وبعد انصراف الأدباء تابعنا المسير في الطبيعة الخلابة فاستوفت عينه حظها من رباها، وقد صبغها الليل بلونه الأسود، ومن آفاقها وقد اختضبت بالصباح المشرق، وتملت أذنه قسمها من هديل حمامها، وحفيف ورقها، وضجيج بحرها، وزجل رعدها. وأخذ أنفه نصيبه من نرجسها وورودها وآسها وأقحوانها، وملأ نفسه من ذهب شمسها وفضة مائها، واندفاق غيثها في غداة مخضلة، أو عشية مبتلة[٤].



د. أحمد عطية السعودي

- الأردن -

واستشعر شيخي السرور الغامر فشكرني على حسن تبجيله، فقلت: يا أبا الفرج:

حام السرور على قلبي فلست أعي
وهل يطيب مكان لست فيه معي[٥]؟

قال : إني لأرجو أن تنعم البشرية قاطبة بالأمان والإيمان كما ننعم بالطمأنينة والسكينة، وأن تتخلص الإنسانية من أعدائها الأربعة الألداء!

قلت : تواطأ الناس على أنَّ أعداءهم الألداء ثلاثة: الجهل والفقر والمرض، فمن رابعها يا أبا الفرج، فرّج الله عنك الكُرب، ودفع عنك الحرج؟!

قال : رابعهم أخطرهم وألعنهم، وهو مولاهم وسيدهم، وكبيرهم الذي يعلمهم البطش والتنكيل، والإجرام والتقتيل، إنه العولمة يا بن العالمة!

قلت: ومن أين جاء هذا العدو المدمر، والرعد المزمجر، والريح المدمدم؟

قال: من الغرب الموبوء بفكر الهيمنة، وسُكر الأمركة، والغلبة في المعركة:

من قال إن الغرب أحسن منظراً
فلقد رآه بمقلة عمياء[٦]!

قلت : فما تعني العولمة يا أبا الفرج؟

قال : اعلم أبا العبّاس، أنهُ من العالم أخذت العولمة، وربما سميت الكوكبة، أو الكونية المركبة، وأنها تعني تعميم ثقافة الغرب، وفرضها «بجدول الضرب»، والترويج لها عبر وسائل الاتصال التقني غير المحدود، واجتياز الحدود والسدود؛ ليدور العالم في فلك اليهود! وإن شئت الاختصار، أو رمت كبد الحقيقة فمعناها الأمركة الصفيقة!

قلت : عجباً، وكيف يسلم العالم قياده لليهود، وهم قتلة الأنبياء، وحفنة من الجبناء الذين ضربت عليهم الذلة والمسكنة أين ما ثقفوا؟

قال : لا تعجب، لقد صيَّروا العالم أحجاراً على رقعة الشطرنج، وأخضعوا العرب والفرنج، وتربعوا على إمبراطورية ثالوثها: المال والإعلام والجنس، وأداروا العالم بالبروتوكولات، والماسونية، والمخدرات، وأشعلوا الفتن والحروب بين الأمم والشعوب **{كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فساداً والله لا يحب المفسدين}** وجاءوا بإفك الأمركة المصهينة ليصير العالم كله بأيديهم، **{فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة}**.

قلت : ولكن الأمركة تزعم أنها توحد العالم، وتنشر السلام بين الأنام!

قال : صدقت إن صدق الأعور الدجال، فسلامها وأد أحلام الاطفال، وأمطر اليابان بقنابل الدمار، وأسال أنهار الدماء في فيتنام، فما يرجو تقي من شيطان عتي إن تظاهر بالسلام وألان الكلام؟!

قلت : ولم ترفض الشعوب الحرة هذه العولمة المُرّة؟

قال : لأن العولمة تفقد الأمة الاستقلال، وتفضي

الى الاحتكار، وتزيد ثراء الفجار، وتطمس الهوية، وتضعف الإرادة القوية، فتعجز الأمة عن حماية قيمها ومنجزاتها، ورعاية صناعاتها ومنتجاتها!

قلت : كأنما يريدون أن يتنفس العالم كله من رئة العولمة، فيصبح نسخاً مكررة لمجرمي الكابوي، ومرتدي الجينز، وأكلة الهامبورغر!

قال : هو ما تقول، وتكون لهم الغلبة على الشعوب المستضعفة، **{وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال * فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله إن الله عزيز ذو انتقام}**.

قلت : فمن يروج للعولمة في ديار الأمة المسلمة؟

قال : رجل مفتون يقال له مخذول بن أبي عولمة[٧] أظمأ نهاره، وأحيا ليله في التبشير بما في العولمة من انحلال جنسي يغري المراهقين، وإلحاد يطوق أعناقهم بسبائك السامري، ويتهم كل مخالف بالتعصب والرجعية، وإثارة النعرة القبلية، ومعاداة السامية!

قلت : فما وجه التعارض بين عالمية الإسلام وعولمة اللئام؟

قال: يا بن أخي، إنما الإسلام دعوة حق وسلام، وتعارف وتآلف، وتناصر وتحالف، دعوة ترفع ولا تضع، وتعمّر ولا تدمّر، ورسالة توحّد العالم على كلمة سواء، وتكرم الإنسان وتحرره من الشقاء، وتخرج العالم من عبادة الأحجار والأبقار، والآلة والدولار، إلى عبادة الواحد القهار، لا فرق بين بني آدم في عرق أو نسب أو مال أو منصب، بل الأكرم هو الأتقى: **{يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير}**.

أما العولمة فدعوة الى السيطرة على الشعوب بالأمركة اللعوب، والانتحار الجماعي في حمأة الجنس وحمى الإيدز، وشتان ما بين الدعوتين:

{أفمن يمشي مكباً على وجهه أهدى أم من يمشي سوياً على صراط مستقيم}.

قلت : إن المسلمين اليوم يسامون الخسف والويل، وهم خمس العالم، ولكنهم غثاء كغثاء السيّل، فكيف السبيل يا شيخي الجليل إلى إنهاض الأمة، والتصدي للعولمة؟.

قال : لا سبيل إلا بترسيخ القيم الإيمانية، وإشاعة الشورى والحرية، والإفادة من المنجزات العلمية، وتعزيز التكامل والتكافل، وإقامة السوق الإسلامية، وتحقيق الوحدة الشمولية: **{ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين}**.

قلت : فما المثل الذي ضربه «بيدبا» للعولمة في «كليلة ودمنة»؟

قال : زعموا أنه كانت لرومي كلبة مسعورة تروّع الأطفال، وتعضّ الرجال، فتهيّب الناس من بطش صاحبها إن مسّوها بسوء، فحاروا وداروا، ثم أشار بعضهم - لدرء خطرها - أن تطعم اللحم فأطعموها، فما ازدادت إلا شراهة وشراسة، ثم أتوا حكيماً وشاوروه في قتلها. فقال لهم: لا تقطعن ذنب الأفعى وترسلها، وارموا بسهم صاحبها، ففي موت الذئب حياة للغنم. فرموه فأردوه، فما لبث الكلبة أن تحولت إلى نعجة!

قلت : شوّقتني إلى حكاياتك الظريفة في كتابك «أخبار الحمقى والمغفلين» فما آخر طرائف الحمقى العولميين من سكارى «هوليود» ذوي الضفائر والنهود؟!

قال : أنت محق، فلقد شغلتنا العولمة وأصابتنا بالصداع، كما شغلت العالم بالصراع. اسمع أبا

لعباس: قيل لمخذول بن أبي عولة: ما بلغ من حبك للأمركة؟.

قال : أني أرى الشمس في تكساس أحلى من شمس مكناس[٨]!

وقيل له : أي شيء أحب إليك: اللبن العربي أم التمر الهندي؟

قال : بل الكولا والبيبسي! ونخب الهوتو والتوتسي[٩]!

وقيل لعولي أكول: ما حدّ الشبع من «البيتزا»[١٠]!

قال : أن يحشى حتى يُخشى! (أي أن يحشى البطن حتى يخشى الهلاك)!

وقيل لعولي عريس: ما أجمل تسريحة تحبها في العروس؟

قال : أن تحلق مارينز، وتلبس الجينز، وتكون كالعنز!

قلت : أمتعت وأبدعت، وإنّه ليحزنني أن أرى المتهافتين على قصعة العولة، وهم يلتقمون ما وقع الذباب عليه، وما ولغت الكلاب فيه، وكأنما خلت نفوسهم من عزة المجاهد وأنفة الماجد:

إذا وقع النبابُ على طعام
رفعت يدي ونفسي تشتهيه
وتجتنب الأسود ورود ماء
إذا كان الكلابُ وَلَغْنَ فيه!

قال : إنما يتهافتون على جيفة قذرة تحمل بذور فنائها في أحشائها، وإنهم لمخدوعون، **{ولقد صدّق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه}**.

قلت : إني لأرجو يا أبا الفرج، أن تضع فصلا جديداً عن مثالب العولة وأخطارها، وما يسوّل الشيطان لأنصارها، وما يلبس على منظريها وأحبارها.

قال : قرّ عيناً أبا العباس، وبشّر أحرار الناس، فقد وضعتُ في عولة المفاليس كتابي «تلبيس إبليس» وجعلتُ عنوانه الجديد بالخط الكوفي: «العَوَر والعمى في العولة»

الهوامش :

(١) ابن العالمة: أبو العباس أحمد بن أسعد، طبيب وأديب دمشقي، كانت أمه عالمة فنسب إليها. ولي الوزارة، له المدخل الى الطب، ت ٦٥٢هـ.

(٢) ابن الجوزي: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي نسبة الى مشرعة الجوز، علامة عصره في التاريخ والحديث، له نحو ٣٠٠ مصنف منها: صيد الخاطر، وصفة الصفوة، ومناقب عمر بن الخطاب، وتلبيس إبليس.. ت ٥٩٧هـ.

(٣) الأبيات للشاعر خالد الشواف قالها في لبنان سنة ١٩٥٤م.

(٤) مقتبس من كلام أ. شفيق جبري/ مجلة اللغة العربية بدمشق ج٣/ مج ٤٨.

(٥) البيت للشاعر الأردني عرار (ت ١٩٤٩م).

(٦) البيت للشاعر والفقيه الأصولي عبد القادر بدران الدمشقي (ت ١٩٢٧م).

(٧) مخذول بن أبي عولة: رمز لكل مخدوع ومروّج للعولة في ديار العروبة والإسلام.

(٨) تكساس : مدينة بالولايات المتحدة الأمريكية. مكناس: مدينة تاريخية بالمغرب.

(٩) الهوتو والتوتسي: قبيلتان إفريقيتان متحاربتان يوقع الغرب بينهما الفتنة والمجازر.

(١٠) البيتزا : أكلة أمريكية من فطائر وقطع صغيرة من اللحمة والسلطات والأجبان.

د. حسين مؤنس
بين تواريخ قريش والمغرب والأندلس

يعد الدكتور حسين مؤنس مؤرخاً في الصفوف الأولى من مؤرخينا العرب المعاصرين، الذين أخذوا من العلم بحظ وافر، وكتبوا تاريخ الإسلام بين شرقه وغربه بأسلوب حديث، مناسب للعقلية العربية في الزمن المعاصر.

وقد خط بقلمه عديداً من المؤلفات والأبحاث والدراسات والمحاضرات.. أشهرها (تاريخ قريش) وهو تاريخ أصغر قبيلة عربية جعلها الإسلام أعظم قبيلة في تاريخ البشر، كما يقول في شرحه لعنوان الكتاب على غلافه الأول، وهو الكتاب الذى نشرته الدار السعودية بجدة، ولفت انتباه كثير من القراء.

ويقول دكتور مؤنس معرفاً بكتابه هذا :

د. حسين مؤنس

وفكرة القيام بدراسة لقبيلة قريش وتاريخها، وأسباب قوتها.. على غيرها من قبائل الجزيرة العربية قبل الإسلام وبعده، وصراعها مع الإسلام رغم طلوع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من بين أظهرها، ثم دخولها فيه ووصولها الى رياسة دولته، وما جرى عليها بعد ذلك من تصاريف الزمان وما كان لذلك من آثار في تاريخ أمة الإسلام.. هذه كلها - كما يقول - موضوعات دارت في ذهني من زمن طويل لأن قريشاً كانت العمود الفقري للتاريخ الإسلامي في معظم عصوره[١].

ثم يوضح أن ذلك ضروري لمن يريد أن يدرس السيرة النبوية الجميلة وموقف قريش منها وانقسامها الى قريش الإيمان وقريش الكفر.

والحق ان كتاب (قريش) الذي بين أيدينا كان المحاولة الموسعة الأولى لمؤرخ حديث في عصرنا، لقريش منذ ظهورها على مسرح التاريخ الى يومنا هذا[٢].

ذلك لأن الذي كتب في هذا الموضوع كان من قبيل الإشارات والمعلومات العامة عن مكة وحرمها


فاروق صالح باسلامة
- جدة -

وبيتها العتيق مثل ما صنف قديماً للأزرقي والفاسي وفي عصرنا مثل تاريخ مكة لأحمد السباعي، وكتاب التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم لمحمد طاهر كردي، وكتاب (سيد العرب) للشيخ حسين عبد الله باسلامة وهو سيرة النبي {صلى الله عليه وسلم} وكتبه الأخرى عن عمارة المسجد الحرام وكسوة الكعبة المعظمة... الخ. وكتاب (مكة في القرن الرابع عشر للأستاذ عمر رفيع أو على شكل وصف لرحلات الحج الى مكة مثل كتاب (في منزل الوحي) للدكتور محمد حسين هيكل. و(الرحلة الحجازية) للأستاذ محمد لبيب البتنوني - رحمهم الله جميعا.

أما الدكتور مؤنس فقد خصص لموضوعه الكتابة عن قريش في اكثر من ٩٠٠ صفحة في قسمين كبيرين:

القسم الأول: قريش قبل الاسلام ويضم فصلين الأول في ٨٠ صفحة وموضوعه ظهور قريش وأوليات تاريخها.. والثاني في ١٤٧ صفحة وموضوعه بناء قريش سياسياً واجتماعيا واقتصاديا ودينيا.

أما القسم الثاني: فعن هذه القبيلة العظيمة بعد الإسلام ويضم سبعة فصول:

الأول : منها عن قريش والإسلام في مكة.

الثاني : فعن قريش وأمة الإسلام في المدينة.

الثالث: قريش في الطريق الى الإسلام .

الرابع: بعنوان فتح مكة ودخول قريش في الإسلام.

الخامس: فعن قريش تفقد قيادة أمة الإسلام.

والموضوع فيه نهاية الوحدة القرشية بحلول فتنة عثمان - رضي الله عنه - وما تلاها من الأحداث المؤسفة.

السادس: الأمويون والعباسيون، ونصيبهم في القضاء على هيبة قريش، وبقاء الفرع العلوي نسبة الى أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه.

السابع والأخير: من هذا الكتاب الضخم الفخم فيختمه المؤلف الدكتور حسين مؤنس رحمه الله تعالى بنهوض البيت العلوى وإحيائه لقريش وأهم الدول التى انشأتها قريش على طول التاريخ، بما فيها الدولة الأموية الأندلسية، ودولة الأدارسة في المغرب الأقصى، والعلويون الحسنيون هناك والزيديون في اليمن، والدولة الفاطمية في افريقيا ومصر والشام، ودول الشرفاء في مكة

المكرمة والمدينة المنورة والحجاز، ودول الشرفاء السعديين والعلويين في المغرب الأقصى، وظهور الشرفاء العلويين المتطاول في عهد مولاى اسماعيل الذي يعتبره المؤلف من أجلاء ملوك المسلمين في سلا ومكناس من أرض المغرب الأقصى التى حكمها طويلا من سنة ١٦٧٢م الى ١٧٢٧م.

والى هذا الأساس من حكم مولاي اسماعيل - والقول للمؤلف - يرجع الفضل في بقاء الدولة القرشية الهاشمية الى يومنا هذا واحدة من أعاظم دول الإسلام، وثانية الدول الهاشمية التى لازالت تمثل قريشاً في عالمنا الراهن. وهما المملكة المغربية والمملكة الأردنية الهاشمية[٣].

قلت : لقريش ذرية صالحة في منطقة الحجاز بالمملكة العربية السعودية - اليوم - منهم آل شيبي سدنة الكعبة المشرفة بالحرم المكي الشريف، ومنهم أيضا الأشراف في وادي فاطمة من ضواحي أم القرى مكة المكرمة وآخرون منتشرون في البلاد العربية السعودية الواسعة والشاسعة الأطراف والرحاب.

قال الحق تبارك وتعالى في محكم التنزيل: **{لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف، فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف}**.. صدق الله العظيم.

وعند الحديث عن تاريخ الدكتور حسين مؤنس للمغرب العربي الكبير: المملكة المغربية أو مراكش وتوابعها البلدية والجزائر بلد المليون شهيد، وتونس أو إفريقية التونسية وطرابلس وبنغازي (ليبيا)، فإن الرجل قد ألف أولا كتاب: (فتح العرب للمغرب) كبحث مبدئي جميل لموسوعته الكبرى التى ألفها بعد ذلك؛ بعنوان: (تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح الإسلامي الى الغزو الفرنسي) الصادر في مجلدين ضخمين على ثلاثة أجزاء: المجلد الأول احتوى ٧٦٧ صفحة وهو جزء الموسوعة الأول. والمجلد الثاني حوى جزئين، الأول في ٣٣٤ صفحة والجزء الثاني احتوى على ٤٩٢ صفحة، وهما الجزآن الثاني والثالث للموسوعة.

والتاريخ الموسوعي للمغرب هذا قد وسَّع المؤلف به ما كان على شكل مختصر والمخصص لفتح العرب للمغرب كما أشرنا الى اسمه سابقا. فالموسوعة تلك ضمنها المؤلف التاريخ الحضاري لهذا البلد العظيم اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا وعلميا وأدبيا وثقافيا من قبل الفتح العربي الإسلامي حتى العصر الحديث.

وواضح للقارىء ان الدكتور مؤنس قد اهتم بالتاريخ السياسي أكثر مما اهتم في موسوعته بتاريخ أي شيء آخر من المجالات والمعالم والأنواع الأخرى من تاريخ المغرب وحضارته، وبالذات الحضارة الإسلامية والثقافة الأدبية والعلوم الدينية

والعربية بصفة عامة في إطار ما يمكن تسميته بالتراث المغربي.

وكان منتظراً منه رحمه الله أن يقوم بتوثيق وتحليل المواد العلمية والفكرية والدينية للتاريخ المغربي الكبير ـ كما فعل زميل أستاذه الدكتور عبد الحميد العبادي ألا وهو صاحب موسوعة فجر الإسلام وضحاه وظهره: «يوم الإسلام» الدكتور أحمد أمين، ولكنا نقول المأثور «قدر الله وما شاء فعل» إزاء ما أملته المقادير. على أن الرجل جهد جهده الكبير فيما عمله كمؤرخ لعهود دول المغرب الكبير من العصر الجاهلي الى العصر الحديث، واستطاع أن يشكل مادة تاريخية ضخمة للمغرب بلغت صفحاتها ١٥٩٣ صفحة، وهو رقم ليس قليلا أو هيناً على كل الأحوال. الأمر الذي اخذ من وقت المؤلف زمنا كثيراً لا يقل عن ثلاث سنوات، في عصر موسوم بعصر السرعة والذرة، وهو يؤلف هذه الموسوعة الضخمة من تاريخ وحضارة المغرب العظيم.

وبالذكر للأندلس، فللدكتور مؤنس له موسوعة عن تاريخه في مجلدين نحا فيها المنحى التاريخي السياسي كذلك بالنسبة لتاريخ المغرب الذى سبق الحديث عنه. ولكن كتاب (الرحلة الأندلسية) وهو وصفي التوجه ثقافيا وأدبيا يشفع للمؤلف ما قام فيه من التعبير الأدبي الفني للاندلس ذلك الفردوس المفقود كما يسميه الأديب السوداني الراحل محمد أحمد محجوب رئيس الوزراء الأسبق في ملحمته الشعرية عن الاندلس ونقرن ـ بالمناسبة كتاب الرحلة الاندلسية الذي كتبه المؤنس نثراً مقابل ملحمة المحجوب الشعرية للأندلس المجيد تلك. الأمر الذي يشكل التعادلية من الجانب الموضوعي لكلا الكتابين الأدبيين.

أما بالنسبة لتاريخ الفكر الأندلسي فقد نقله الدكتور مؤنس عن الإسبانية لمؤلفه أنخيل جنثالث بالنثيا، وله فيه فضل الترجمة والإعداد والتنسيق الى لغتنا العربية، وقد أسدى المترجم بذلك الكتاب يداً بيضاء وأضاف شيئاً جديداً إلى المكتبة الأندلسية.

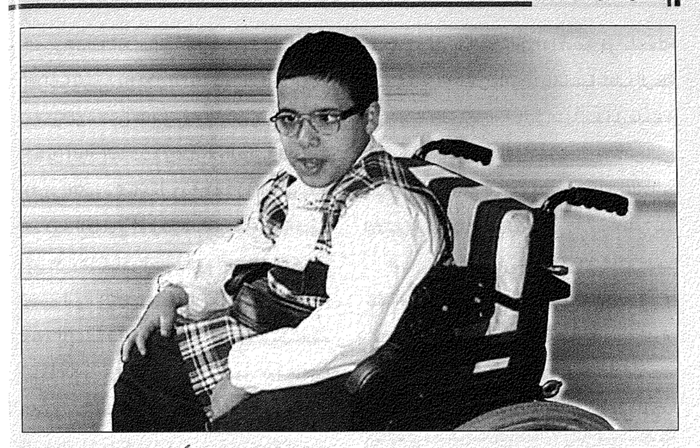
هذه معالم الأعمال التاريخية الكبرى للدكتور حسين مؤنس التى قدمها للمكتبة العربية التاريخية والثقافية؛ وثمة كتب أخرى من تآليفه مثل (معالم تاريخ المغرب والاندلس) وهو مقرر في مناهج التعليم العالي ببعض أقسام التاريخ الجامعية في الدول العربية، و(تاريخ موجز للفكر العربي)، و(تنقية أصول التاريخ الإسلامي) نُشرا بعد وفاته.. وفيهما نظرات نقدية لأئمة لبعض أعلام العرب المسلمين، وملاحظات دينية وأدبية عليهما.

الهوامش :

(١) تاريخ قريش ص ٧ ط أولى ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

(٢) نفس المصدر ص ٨.

(٣) تاريخ قريش ص ٨٠٩، ٨١٠.



الشلل المخي.. عند الأطفال

تواجه مجتمعاتنا مشكلة هامة جديرة بالدراسة وايجاد الحلول المناسبة العملية. وهذه المشكلة هى مشكلة الأطفال المعوقين.. وهذه التسمية أصبحت محل نقد في الكتابات العلمية الحديثة. فصار يفضل عليها تعبير أطفال الرعاية الخاصة. وديننا الإسلامى يحثنا على مساعدة هؤلاء الأطفال، فقد قال رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ كما روى أحمد والبخارى وابن ماجه: «ما أنزل الله من داء إلا أنزل له شفاء» فالطفل المعوق نستطيع أن نقدم له الرعاية الصحية والاجتماعية والتعليمية والنفسية.

وهناك أسباب كثيرة للإعاقة منها مرض الشلل المخى الذى نتناوله الآن. والشلل المخى يصيب الطفل باعاقة بدنية وقد تضاف الى الاعاقة البدنية إعاقة في النطق والإدراك. كما أن الطفل المصاب بمرض الشلل المخى قد تنتابه في كثير من الأحيان تشنجات عصبية.

وينشأ هذا المرض نتيجة أضرار تؤثر على مخ الطفل قبل ولادته أو أثناء الولادة، وفي قليل من الأحيان تكون الأسباب مؤثره في المرحلة التى تلى مرحلة الولادة، ففي أثناء الحمل قد تصاب الأم

الحامل بمرض الحصبة الألمانية وقد تتعرض الى الأشعة السينية سواء كان ذلك علاجيا أو من أجل التشخيص، وقد تتناول عقاقير مضرة، ومن الأسباب التى تؤثر على الحامل أيضا سوء التغذية ومرض السكرى.

ويعتبر عسر الولادة وما يصاحبه من أهم أسباب الشلل المخى عند الأطفال، فالولادة المتعسرة التى تستغرق وقتا طويلا قد تتسبب في حدوث نزيف في المخ مما ينتج عنه الشلل المخى والتخلف العقلي، وهناك عوامل تؤثر في المخ في المراحل المبكرة من عمر الوليد مثل التهابات المخ واليرقان الشديد والجفاف أيضا.

وتختلف الأعراض حسب نوع الإصابة ودرجتها، وفي كثير من المرضى الأطفال يستطيع طبيب الأطفال عن طريق الفحص السريرى اكتشاف هذا المرض في مرحلة مبكرة، ففي هذا المرض تكون العضلات متوترة ومتصلبه خاصة العضلات التى أهم وظائفها ضم الرجلين، لذا فإن الطفل المصاب بالشلل المخى يجد صعوبة فائقة في ابعاد فخذيه، وفي خمسة وعشرين بالمائة من الحالات يصاب الطفل بتشنجات وضعف عقلى.

ويحتاج الطفل المصاب الى رعاية وعناية على قدر الاعاقة ونوعها، ولذلك يجب بادىء ذى بدء فحص الطفل لتحديد مقدار الضعف أو العجز أو الاعاقة، كما يفحص بصر الطفل وسمعه وقدرته على الكلام وحالته النفسية.

ومن الضرورى اشراك الوالدين في تفهم

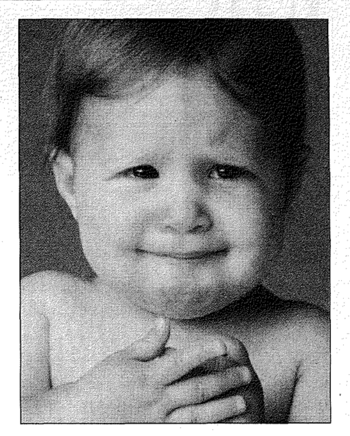


د. طاهر تونسي
جدة - جامعة الملك عبد العزيز

المرض واحتياجات الطفل المريض.. وانواع العلاج متعددة وتشمل العلاج الطبيعى والعلاج المهنى وعلاج النطق والسمع والعلاج النفسي والجراحة في بعض الحالات وكذلك علينا ألا نغفل دور التعليم والتدريب المستمر والمتطور.

ويعتبر التدريب المهنى من أهم ركائز التعامل مع الطفل المصاب، فالتدريب المهنى وسيلة هامة لتعليم وتدريب الطفل في المدرسة ثم تستمر اثناء وجوده في المدارس الخاصة بالأطفال المعوقين أو الأصحاء، والغرض من التدريب المهنى تقويم قدرة الطفل في الحركة وتدريبه على القيام بالأعمال اليومية في حياته مثل التغذية وارتداء ملابسه والاعتماد على نفسه، كما يساعد الفريق الطبي الطفل المصاب على استعمال الوسائل الحركية مثل الأحزمة والدراجات ذات الثلاث عجلات وكرسى العجلات ليستطيع الطفل المصاب بشلل الرجلين، الحركة من مكان الى آخر، كما يساعد الفريق الطبي المعالج الطفل العاجز عن استعمال يديه على تعليمه الكتابة على الآلة الكاتبة باستخدام أجهزة مساعده يمكن تثبيتها حول الرأس.

وعلى الوالدين أن يهيا للطفل جوا منزليا فيه الحب والود وروح الاعتماد على النفس كما ينبغى عليهما ألا يبخلا عليه بالتشجيع في كل ما يحققه من نجاح مهما صغر ذلك النجاح.



لغة الطفل في السنوات الخمس الأول

أول ما يصدر من أصوات عن الطفل عند الولادة هو صرخة الولادة، وبطبيعة الحال ليست هذه الصرخة وما يصدر عن الوليد بعد ذلك بقليل من أصوات لغة أو كلاما، ولكنها بلا شك مفيدة للوليد، وخاصة من حيث هي تمارين في استعمال جهاز النطق عنده.

ويبدأ الطفل استعمال اللغة كوسيلة للاتصال في ما بين اثني عشر شهرا وثمانية عشر شهرا من عمره، وتتطور اللغة تطورا سريعا الى درجة انه ما أن يبلغ الطفل أربع سنوات من العمر حتى يصبح قادرا على استعمال عشرة آلاف كلمة في اليوم الواحد، وعندما يبلغ الست سنوات من عمره تكون قد تشكلت لديه حصيلة كبيرة من المفردات تصل الى ٢٥٠٠ كلمة مختلفة.

وبهذه السن يستطيع الطفل تشكيل جمل مختلفة الطول والتعقيد.. وعندما يبدأ المدرسة يكون قادرا على التعبير عن حاجاته باستعمال لغة واضحة - هذا إذا أحسن التكيف مع أجواء المدرسة.

وتوصل بعض المؤلفين الى نمط معين تتطور لغة الطفل على أساسه الى مرحلة تعلم القراءة والكتابة.

١ - يتعلم الطفل الإصغاء الى اللغة المحكية ليميّز مقاطع الكلام ويربط الكلمات بالواقع المادي المحيط به.

٢ - يتعلم الطفل استعمال الكلام للاتصال بالآخرين - يبدأ أولا بجمل مؤلفة من كلمة واحدة، ثم تزداد جمله تعقيدا.

٣ - يتعلم الطفل التمييز بين الرموز البصرية المختلفة من حروف وصور.

٤ - يتعلم الطفل الربط ما بين الكلمات المطبوعة والأجسام المادية والأفكار الأكثر تجريدية ويتعلم استعمال هذه الكلمات في جمل وفقرات قصيرة مفيدة.

٥ - يبدأ الطفل كتابة الكلمات، مع بعض التدريب في استعمال الرموز اللفظية في النصوص المقروءة. ويساعد التدريب على الخط والتهجئة في تعزيز الإقبال على الكتابة.

مشكلات لغوية عند دخول المدرسة :

هذه المراحل التى أتينا على ذكرها هي مراحل عامة ولا تنطبق بحذافيرها على كل تلميذ وتلميذة. ويجب أن يدرك المعلم أن تلاميذه الثلاثين هم في مراحل متفاوتة من التطور اللغوي، ويعانون من مشكلات لغوية مختلفة اختلافا بينا.

من هذه المشكلات :

- يعاني كثير من الأطفال من إحساس مربك بالخجل في الوضع الاجتماعي الجديد في المدرسة. فالواحد منهم يعرف كيف يخاطب أمه أو أباه أو إخوته الكبار في البيت، ولكنه لا يعرف كيف يخاطب من هم في سنه في الصف أو المدرسة، وهم قادمون من أسر تختلف في مستوياتها الاجتماعية والاقتصادية. وقد يكون هذا واضحا في وضع تلميذ ذكي قادر على استعمال مفردات كثيرة بجمل أكثر تعقيدا مما يستعمله أطفال آخرون، فقد يغدو هذا التلميذ موضع سخرية من بقية التلاميذ.

- ويألف بعض الأطفال استعمال شكل خاص من اللغة في البيت يفهمه أفراد الأسرة ولا يفهمه معلم الصف في المدرسة، الأمر الذي يولد صعوبات في طريق تكيف هذا التلميذ مع جو المدرسة. يضاف الى ذلك أن بعض المفردات التى يستعملها الطفل في البيت للتعبير عن حاجاته الأساسية كالذهاب الى المرحاض قد تسبب له الإحراج إذا استعملها في الصف، وهذا الإحراج يجعل عملية التكيف في المدرسة أكثر صعوبة.

- ويواجه بعض الأطفال صعوبة في النطق الواضح السليم، وقد لا يكون هذا عقبة كبيرة في بداية السنة

د. زياد الحكيم

- سوريا -

المدرسية، ولكن المعلم الحاذق يستطيع أن يلاحظ إن كان يمكن مساعدة الطفل بعرضه على مشرف لغوي متخصص في تقويم مشكلات النطق بتمارين خاصة وبعلاج فيزيائي.

ومن الممكن أن لا يفهم التلميذ اللغة التى يستعملها المعلم نظرا أن الجو المدرسي يستدعى استعمال مفردات جديدة. كما أن المدرسة قد تفرض على التلميذ نمطا جديدا من استعمال اللغة والنطق، وهذا يزيد من أعباء التكيف مع الظروف الجديدة. وهنا يتعين على المعلم أن يعي أهمية تشجيع التلميذ على التعبير الحر وأن يعي المرحلة من التطور اللغوي التي يمر بها.

وقد تفرض المدرسة على التلميذ أن يبدأ في تعلم القراءة والكتابة في مرحلة أبكر مما يجب في السنة المدرسية الأولى. ومن المعروف أن الكتابة والقراءة امتداد لقدرات لغوية مبكرة.

يقول بعض المؤلفين إن التلميذ يستعمل بالمتوسط ثلاثين ألف كلمة في اليوم قبل دخول المدرسة، ولذلك فمن المتعذر عليه أن يقفز قفزة كبيرة ما بين الكلام الحر والقيام بمهام جديدة كل الجدة تضع قيودا على ما يستطيع أن يفعله.

عوامل التطور اللغوي :

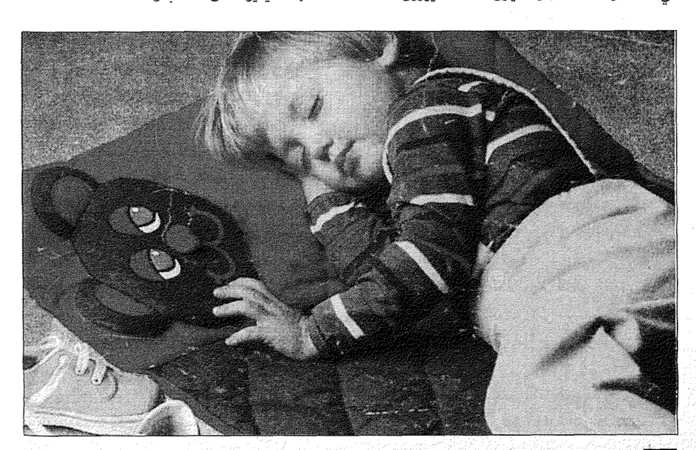
ويؤكد المؤلفون العلاقة بين التطور اللغوي للطفل ونموه العام في السنوات التى تسبق الالتحاق بالمدرسة. ويحددون ثلاثة أنواع من العوامل:

العامل البدني: يتعلم الطفل قبل سنوات المدرسة جملة من المهارات الحركية العامة التى يستعملها في

النشاطات العضلية. ويتعلم التوافق العضلي عن طريق هذه النشاطات. وهذه مرحلة يزداد فيها نشاط الطفل الحركي، الأمر الذي يستدعي أن توجه المدرسة اهتماما خاصا لبرنامج يهدف الى تنظيم هذه النشاطات وربطها بالبرامج اللغوية، فالمدرسة ليست للجلوس فحسب، كما أن تلقي المعلومات قد يقيد تفكير الطفل وحركته. ويولي المعلم عناية خاصة لتطوير توافق العضلات الصغيرة كعضلات العينين والفكين واليدين المستعملة في الكلام والقراءة والكتابة.

العامل العقلي : يهتم تلاميذ هذه المرحلة بالأشخاص والأشياء المحيطة بهم بشكل مباشر، وبالتدريج يتعلمون الاهتمام بالأشخاص والأشياء التى تقع خارج بيئتهم المباشرة. ويجب أن تكون هذه الخبرات حقيقية ويجب أن ترتبط بالخبرات السابقة للأطفال حتى تصبح جزءا من حياة الطفل. والأطفال في هذه المرحلة أطفال واقعيون، فعندما يروون قصة يهتمون اهتماما عظيما بكل تفصيل فيها. وعندما تتقدم بهم السن قليلا يصبحون أكثر انتقائية للتفصيلات في القصة، ولغة الأطفال في هذه المرحلة تركز على الواقع وهي لغة مباشرة ومحددة، وشيئا فشيئا تنتقل اللغة من المادي الى المجرد، ويهتم الأطفال حتى سن الخامسة أو السادسة بوصف الأشياء، في حين أنهم بعد السابعة يهتمون بالأسباب وراء حدوث الأشياء وكيفية حدوثها.

العامل الاجتماعي : يبدأ الطفل في سن دخول المدرسة التخلي عن اللعب وحده، ويميل الى الألعاب الأكثر تنظيما التى يشارك فيها عدد من الأطفال، واللغة هنا مباشرة ومحددة، والجمل واضحة، والطفل هنا أكثر قدرة على المشاركة في المناقشة الجماعية، وفي أواخر هذه المرحلة يأخذ الأطفال بتقسيم أنفسهم الى فئتين واضحتين: واحدة للبنات وواحدة للأولاد، وكل فئة لها ما يميزها من الألعاب والاهتمامات.



الداعية الشيخ/ محمد علوي المالكي .. في ذمة الله

انتقل الى رحمة الله تعالى الداعية المكى الدكتور/ محمد علوى المالكي فجر يوم الجمعة المباركة الخامس عشر من رمضان المبارك ١٤٢٥هـ الموافق ٢٩ اكتوبر ٢٠٠٤م.

وينتمي الفقيد الى أسرة مكية علمية معروفة، على رأسها جده عباس، ووالده علوي مالكي أحد علماء المسجد الحرام.

وقد تخرج الدكتور/ محمد علوى المالكي من جامعة الأزهر الشريف بمصر وحصل على الماجستير والدكتوراه منها وحملت رسالته عنوان «الامام مالك وجهوده في الحديث النبوي الشريف» كما عمل استاذا في علم الحديث في كلية الشريعة بمكة المكرمة وتلقى الدكتور المالكي العلم منذ نعومة أظافره على يد مشايخ كثر في علم الحديث واللغة وغيرهما من العلوم ومن هؤلاء المشايخ والده الشيخ علوى عباس مالكي الذى كان رمزا من رموز العلماء السعوديين الذين لهم شأن بارز في المكانة الدينية والعلمية والاجتماعية في المجتمع المكي.

وورث الفقيد أباه في هذه المكانة الدينية والاجتماعية، فلقد كان منزله يتحول الى منتدى فكري يلتقى فيه مختلف التيارات الفكرية.

وكان عليه رحمة الله يتميز برحابة الصدر



وشيم الكرام وحلو الكلام وعفافة اللسان ، كما أن اتجاهاته الدعوية والتدريسية تنحو منحى الفكر الدينى التنويرى الذى جمع فيه بين المدارس التقليدية القديمة والمنهجية العلمية الحديثة بعيدا عن التزمت والعنف والتشديد.

فكان منهجه البساطة وأخذ الأمور بروح التسهيل والصبر وإعمال الفكر بالتأمل القائد الى الاجتهاد المستنبط في أصوله من مصادر التشريع الاسلامي ومقاصد الشريعة الاسلامية.

خلّف الفقيد العديد من المؤلفات التى صاحبها الكثير من النقاشات مثل كتابه «مفاهيم يجب أن تصحح» و«الذخائر المحمدية» و«شفاء الفؤاد» و«الصلوات المأثورة» و«أدعية وصلوات» وغيرها الكثير.

ولقد كان الدكتور/ محمد علوى المالكي - عليه رحمة الله - من الكتاب الدائمين والمميزين بمجلة المنهل وله بها العديد من المقالات الدينية والاجتماعية.

وعزاؤنا فيه ذلك التراث الفكري الكبير الذى خلفه وراءه لينهل من معينه طلاب العلم والمعرفة.

رحم الله الفقيد وأسكنه فسيح جناته وغفر الله لنا وله .

و (إنا لله وإنا إليه راجعون)

المسألة التعريبية في الوطن العربي

من الإشكالات الكبرى التى واجهت الأقطار العربية عقب تحقيقها لاستقلالاتها السياسية مسألة «التعريب»؛ تعريب الإدارة والتعليم وسائر المجالات. وقد بذلت هذه الأقطار - فعلا - مجهودات ملموسة في هذا الصدد، تحدوها الرغبة الأكيدة في إعادة الاعتبار للغتها القومية، وتثبيت هويتها التى حاول المستعمر الغاشم طمس معالمها. ولا جدال في أن هذه الجهود قد أثمرت نتائج، ولكنها متفاوتة من قطر عربي الى آخر؛ إذ هناك أقطار قطعت أشواطا مهمة في درب التعريب، وهناك أخرى ما تزال في بداية الطريق.

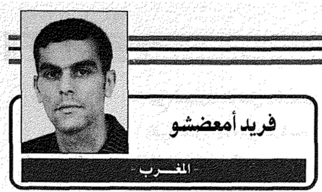
وللاقتراب أكثر من هذا الموضوع، ارتأيت أن أعالجه وفقا لخطة واضحة، وانطلاقا من الوقوف عند مجموعة من المحطات المترابطة، بحيث سأنطلق بداءة من تحديد ماهية «التعريب» في المستويين اللغوي والاصطلاحي، ثم أدلف إلى تبيين أهميته وضرورته على شتى الصعد، وبعد ذلك سأفرد حيزا لتسليط الضياء على واقع التعريب في العالم العربي، مع التركيز على التجربة المغربية في التعريب، وسأختم هذا المقال بتجلية بعض المعوقات والعراقيل التى تقف حجر عثرة في سبيل تحقيق تعريب ناجع وشامل.

وقبل البدء في معالجة هذه العناصر، لا مناص من أن أشير الى أن هذا المقال سيفيد - بشكل كبير - من كتاب الدكتور علي القاسمي «مقدمة في علم المصطلح»، الذى يعد - بحق - عمدة في بابه؛ وذلك بالنظر الى المرحلة المبكرة التى ظهر فيها، والى قيمة محتوياته معرفيا ومنهاجيا. فمقالنا هذا - في الأساس - قراءة لبعض كتاب القاسمي، وبالتحديد للفصل الرابع منه، ولمزيد من توضيح واقع التعريب عندنا، فإنني لا أرى بأسا من الإفادة من مجهود الدكتور مصطفى محسن في دراسته القيمة حول التعريب وعلاقته بتنمية شعوبنا.

١- تعريف (التعريب) في اللغة والاصطلاح :

يقول ابن منظور (ت ٧١١هـ) في اللسان «(...) قال الأزهري: الإعراب والتعريبُ معناهما واحد، وهو الإبانة.. وعرَّب منطقه أي هذبه من اللحن.. وعرَّبه: علَّمه العربية.. وتعريب الاسم الأعجمي: أن تتفوه به العرب على منهاجها؛ تقول: عربتهُ العربُ، وأعربته أيضا، وأعرب الأغتمُ، وعرُب لسانُه - بالضم - عروبة أي صار عربياً .. والتعريب: أن يتخذ فرساً عربياً.. ابن الأعرابي: التعريب: التبينُ والإيضاحُ»[١].

يتضح من خلال هذا الكلام أن لمصطلح (تعريب) معاني لغوية متعددة ومختلفة، منها التبيين والتهذيب وتلقين العربية، ولعل أبرزها وأكثرها ارتباطا


فريد أمعضشو
- المغـرب -

موضوعنا كون التعريب إحلال اللفظ العربي محل اللفظ الأجنبي، يقول - في سياق هذا المعنى - اسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣هـ): تعريب الاسم الأعجمي أن تتفوه به العرب على منهاجها[٢].

وفي المستوى الاصطلاحي، يحدد الدكتور علي القاسمي لمصطلح (التعريب) أربعة معان رئيسة يمكن ترتيبها من الخاص الى العام على النحو الآتي:

- التعريف هو نقل اللفظ (ومعناه) من اللغة الأجنبية الى اللغة العربية كما هو دون إحداث أي تغيير فيه (الدخيل)، أو مع إحداث بعض التغيير فيه لينسجم مع النظامين الصوتي والصرفي للغة العربية (المعرَّب). ويطلق على هذه العملية اصطلاح (الاقتراض اللغوي) أو (الاستعارة اللغوية). والى هذا المعنى، قصد الدكتور عبد السلام المسدي بقوله: «فأما التعريب فهو مصطلح نوعي يقترن بمعالجة اللسان العربي للألفاظ التى يستقبلها من الألسنة الأخرى مستوعبا إياها دالا ومدلولا»[٣].

- التعريب هو نقل معنى نص من لغة أجنبية الى اللغة العربية، وهكذا، فإن التعريب بهذا المعنى يغدو مرادفا للفظ (الترجمة). وهو - في هذا السياق - ضد (التعجيم)، الذي يراد به نقل الأثر من اللغة العربية الى اللغة الأجنبية.

- التعريب هو استخدام اللغة العربية في الإدارة أو التدريس أو كليهما . وقد ارتبط استعمال هذه الكلمة بهذا المعنى بظروف تاريخية وسياسية معروفة عاشتها الأقطار العربية.

- التعريب هو جعل اللغة العربية لغة حياة الإنسان العربي كلها؛ أي لغة الفكر والشعور، ولغة التواصل والإبداع، ولغة العلم والعمل. وهذا هو السبيل الأنجع الى تحقيق النهضة والتنمية، إذ «لم يسجل التاريخ قط أن أمة حققت التنمية والتقدم الحضاري الحقيقي بلغة غيرها من الأمم»[٤].

ثم إن «العالم لن يستمع الى أمة تتحدث بلسان غيرها - كما قال الرئيس الفرنسي فرانسوا ميتران لشعبه المتعلم في تحذيره له من طغيان اللغة الإنجليزية»[٥].

وهذا ليس معناه الدعوة الى التزمت والانكماش، بل إن الانفتاح على اللغات الأخرى (العالمية منها خاصة) أمر مهم وضروري. يقول الدكتور محمد ديداوي: «إن التعريب ضرورة قومية وتأكيد للهوية الثقافية والحضارية، وفيه بلورة للذاتية كما أنه لا ينتفي معه وجود لغات أخرى يستعان بها ويستفاد منها، تتكامل مع اللغة القومية»[٦].

إن التعريب ظاهرة قديمة قدم الوجود العربي، وقد بلغت ذروتها في عصر بني العباس. ومن الثابت أن حركة التعريب القديمة تختلف تمام الاختلاف عن نظيرتها الحديثة والمعاصرة. فإذا كان العرب - قديما - يتعاملون مع حضارة أو حضارات في حالة سكون؛ توقفت عن العطاء والتجدد، فإنهم في الوقت الحديث، يتعاملون مع حضارة دائمة التجدد وكثيرة العطاء. ومن هنا، لا يجب أن نسارع الى تشبيه حركة التعريب

في عصرنا الراهن بما حدث في فترة ازدهار الحضارة العربية، وإنما ينبغي علينا أن نضع حركة التعريب المعاصرة في إطارها الخاص، ونتنبه الى الظروف المميزة التى تتسم بها هذه الحركة، والتى تضع عقبات كأداء أمام تحقق الهدف المنشود للتعريب[٧].

٢ ـ أهمية التعريب :

لا شك في أن للتعريب أهمية بالغة في اللحظة الحضارية الآنية خاصة. إذ يسهم في توحيد كلمة الأمة العربية، وإقامة «جسر بين الماضي والحاضر والمستقبل»[٨]، وتأكيد الهوية الحضارية لأمتنا.. ومن هنا تنبع ضرورته.

يتفق المثقفون العرب ـ اليوم ـ على أن التعريب ضرورة سياسية واجتماعية واقتصادية وحضارية ونفسية وتربوية ولغوية. وفيما يلي بيان ذلك:

** التعريب ضرورة سياسية: بحيث لا يعد استقلال الأقطار العربية حقيقيا ما لم يكن تاما شاملا جميع مستوياتها؛ ومنها المستوى الثقافي واللغوي. ولا يكفي لها أن تنشىء مؤسساتها التربوية والإدارية، وتضع عليها علمها، دون أن تستعمل لغتها القومية في تسيير تلك المؤسسات.

** التعريب ضرورة اجتماعية : إذ يسهم ـ قوميا ـ في مد الروابط بين أجزاء الأمة العربية، وتوثيق الصلات بين أفرادها مشرقا ومغربا سواء في الثقافة أم الشعور أم غيرهما. وليس بمستساغ أن تضطلع لغة أجنبية بهذه المهمة. وبهذا، تغدو «اللغة القومية عنوان وحدة الأمة وتماسكها»[٩].

** التعريب ضرورة اقتصادية: بحيث لا يخفى على أحد أن فعالية خطط التنمية الاقتصادية متوقفة على مدى استيعاب شرائح المجتمع لها وتعاونها في سبيل تنفيذها. ولا يمكن أن يتحقق ذلك إلا عبر مؤسسات تعليمية وإعلامية وهذا يتطلب ـ في المحل الأول ـ محو الأمية؛ أي تلقين الجماهير الشعبية القراءة والكتابة، وهو ما لا يمكن أن يحصل إلا باستخدام اللغة الوطنية.

** التعريب ضرورة حضارية: ذلك بأن الله تعالى شاء أن ينزل كتابه العزيز على نبي عربي وبلسان عربي مبين. وفي هذا تشريف للعرب وتكليف لهم في الوقت نفسه؛ إذ كلفوا بتعليم العربية لغير الناطقين بها، وأمروا بنشرها في كل زمان ومكان. وهكذا، لم يعد التعريب في حياتنا «مجرد هدف ثقافي، وإنما أصبح هدفا حضاريا شاملا، ينطوي على جوانب سياسية وقومية لا تقل أهمية عن جوانبه

** المستعمر بذل كل جهده لابعاد اللغة العربية، أو اضعافها.

الثقافية»[١٠]. وفي السياق ذاته، يقول الدكتور محيي الدين صابر في حديث له نشر في صحيفة (الشرق الأوسط) بتاريخ ١٩٨٢/١٢/١م «التعريب ليس قضية لغة، بل هو قضية حضارية أساسية تواجهنا حاليا».

** التعريب ضرورة نفسية: فقد وضح علماء النفس أن الطفل الذى يتلقى تكوينه وتعليمه بلغة أجنبية غير لغته الأم، تتولد لديه عقدة النقص والشعور بالدونية والانهزام. لذا فمن الأجدى تلقين الطفل العربي الفنون والآداب والعلوم - خاصة في بداياته - باللسان العربي.

** التعريب ضرورة تربوية: إذ ييسر التواصل بين المعلم وتلاميذه وبين الأستاذ وطلابه، ويؤمن جو نقاش علمي خال من الحرج.. وقد دلت دراسات ميدانية حديثة أن أصلح لغة للتعليم هي اللغة التى يفكر بها المتعلم، وأن المتعلمين يحتاجون إلى وقت أطول وجهد أكبر لفهم نص علمي بلغة أجنبية.

** التعريب ضرورة لغوية: إذ أن الإنسان العربي يحكم على لغته بالجمود والموت حينما يرفض استعمالها في مجال تدريس المعارف الإنسانية والتقنية، ذلك بأن ثمة علاقة جدلية واضحة بين استخدام اللغة في مختلف مرافق الحياة ونموها، ثم إن استعمال العربية في أغراض الحياة اليومية، واللغة الأجنبية في تدريس العلوم والآداب والفنون، يترتب عنه نمو العربية في مجال حياتي معين، وركودها في مجال آخر يعد الأهم والأخطر.. ويدعو هذا كله إلى تعميم اللغة العربية لتشمل شتى جوانب الحياة.

مما سلف، يتضح أن التعريب قد أمسى ضرورة ملحة لا ترفا ثقافيا. ولا جدال في أنه يروم تحقيق جملة من الأهداف، من ذلك أنه يسعى الى أن تكون اللغة العربية «أداة تثقيف ومعرفة وتنظيم اجتماعي واقتصادي وتوجيه سياسي»[١١]. ومن ذلك أيضا أنه يتغيًا «خلق ثقافة قومية أصيلة»[١٢]... الخ.

٣- راهن المسألة التعريبية في الوطن العربي :

لقد خضعت جل الأقطار العربية - ردحا غير يسير من الزمن - للحكم العثماي الذى سن في أواخر القر ١٩ وأوائل القرن ٢٠ «سياسة التتريك» التى ترمي الى فرض اللغة التركية في ميدان التعليم والإدارة. وإثر سقوط الخلافة العثمانية، وقعت الأقطار العربية كلها تحت سيطرة الدول الإمبريالية الأوربية التى فرضت لغاتها على المناطق التى تستعمرها، وبعد مقاومة مستميتة ونضال كثير،

**** الحفاظ على اللغة العربية سليمة معافاه يعني الحفاظ على هوية الأمة وكيانها.**

** التعريب، ضـــرورة ملحــة ولـيـس ترفـاً ثقافيـاً.

استرجعت هذه الأقطار استقلالها، وعادت الى لغتها العربية لتستعملها في الإدارة والتعليم، ولكن هذه العودة تفاوتت من قطر عربى الى آخر تاريخا وكما وكيفا.

يمكن أن نتحدث عن نموذجين تعريبيين بارزين في الوطن العربي، أحدهما مشرقي يتسم «بالسمة اللفظية وبالصبغة الفنية التخصصية الدقيقة»[١٣]، والآخر مغربي «يعنى بشمول عملية التعريب وعموميتها لجميع الأنشطة داخل المجتمع»[١٤]. ولكن الثابت أن المشارقة قد حازوا قصب السبق والريادة في مضمار التعريب، وذلك لاعتبارات ثلاثة - على الأقل -

أولها : أن الأقطار المشرقية قد سبقت الى التحرر من الاستعمار الغربي.

ثانيها: أن الاستعمار الفرنسي نظر الى الأقطار المغاربية الواقعة تحت سيطرته باعتبارها جزءا لا يتجزأ من كيان فرنسا، فسعى الى فرنستها بشتى الوسائل، وطمس صواها الحضارية، وإحلال لغته محل اللغة العربية.

وثالث الاعتبارات أن المشرق قد سبق الى النهضة الحديثة والاحتكاك القوي بالغرب.

ويجمع الباحثون على أن التجربة التعريبية السورية تجربة رائدة عربيا. إذ استطاعت سوريا أن تعمم اللغة العربية في جميع مراحل الدراسة (بما في ذلك التعليم الجامعي)، وتمكنت من تعريب الإدارة والجيش منذ عام ١٩١٩م، وقد حاولت مجموعة من البلدان العربية (كالعراق والأردن ومصر) الاقتداء بتجربة سوريا في التعريب.. وانكبت البلدان المغاربية من فور استقلالها على تعريب حياتها (التعليم خاصة) رغبة منها في تأكيد هويتها، ومحو آثار الاستعمار، ولكن هذا التعريب أصيب بانتكاسات، واعترضته صعوبات جمة لأسباب عدة وسنكتفي في هذا المقال بالحديث عن تجربة التعريب في المغرب.

يحسن بنا أن نشير - بادىء ذي بدء - إلى أنه لا توجد حتى الآن دراسات علمية معمقة وشاملة لتقويم تجربة المغرب الراهنة في ميدان تعريب التعليم، إلا أنه في إطار هذا الغياب، يمكن الرجوع - على سبيل الاستئناس - إلى بعض المعطيات الأولية - الهامة أحيانا - التى تضمنتها بعض مذكرات وبحوث التخرج من عدد من مؤسسات تكوين الأطر التربوية، مثل: كلية علوم التربية بالرباط، والمركز الوطني لتكوين مفتشي التعليم بالرباط.. الخ.

لقد قام المغرب - إلى حدود ١٩٩٥م - بتعريب كل مستويات التعليم الأساسي والثانوي العمومي، سواء

تعلق الأمر بالشُّعب العلمية أم الأدبية، بالإضافة الى تعريب جميع مواد الإنسانيات في التعليم الجامعي، وقد كان من مستتبعات هذه التجربة - حسب مصطفى محسن - ما يأتي:

- الإبقاء على فرنسة المواد العلمية في مستوى التعليم العالي، وكل مواد التكوين التقني والمهني المتوسط والعالي، وكذلك بعض شُعب التعليم العالي في تخصصات متعددة كالاقتصاد وتدبير المقاولات والتجارة والطب والهندسة والزراعة والبيطرة.

- الحفاظ على الهيمنة العالية جدا للفرنسية في سوق الشغل، ولا سيما في مجالات المال والاقتصاد والصناعة والتجارة.

- التنامي المتزايد وغير الموجَّه للتعليم الخاص (المفرنس في مجمله)، إضافة الى تعليم البعثات الأجنبية (الفرنسية خاصة)، وكذلك قطاع التكوين المهني والفني المنتمي الى هذا النمط من التعليم.

وقد وجهت جملة من الانتقادات الى هذه التجربة، وذلك بالنظر الى ما ترتب عنها من ضحالة المردودية وضآلة النتائج. إن المشكل لا يمكن عزوه الى التعريب في حد ذاته، ذلك بأن اعتماد اللغة الوطنية لا يمثل مشكلة ولا عائقا، بل هو مطلب اجتماعي وحضاري هام. ولكن أسباب فشل هذه التجربة يعود - بالأساس - الى «كونها لم تقم على استراتيجية تخطيطية محكمة تضبط وتحدد أجهزتها وهياكلها وشروط تنفيذها، كما لم تسبقها دراسات علمية لمعرفة حاجيات التجربة وإمكانية نجاحها، سواء كان ذلك على مستوى الدراسات التشخيصية أو التنبؤية، كما لم تواكب هذه التجربة أيضا دراسات تتعلق بالمتابعة والتقويم والتطوير»[١٥]. أي إن عدم نجاعة التجربة المغربية في ميدان التعريب راجع الى عاملين رئيسين، هما: غياب المنهجية التى من شأنها أن توجه هذه التجربة وتضبطها، وغياب التنظير سواء القبلي أم المرافق لهذه التجربة.

وأمام هذا الوضع، يقترح الباحث السوسيولوجي المغربي (مصطفى محسن) استراتيجية يرى أنها فعالة وقادرة على تحقيق الكثير في مجال التعريب. وهذه الاستراتيجية تقوم على الأسس النظرية والمنهاجية التالية:

- ضرورة الحذر المنهجي من الطرح الاختزالي لإشكالية التعريب.

- حتمية الانطلاق من اقتناع مبدئي رئيس، مؤداه أن اللغة الوطنية هي أس التنمية ودعامتها.

- أهمية تجاوز المنظور المنغلق للتعريب، والأخذ «بالتعريب المنفتح» أو «التعريب المحاور» الذي

**** كل أمم الغرب تدرس العلوم والرياضيات بلغتها القومية ما عدا الأمة العربية.**

يرفض الشوفينية اللغوية والانغلاق الثقافي والحضاري، ويحارب الانحباس في الأحادية اللسانية المغالية والمتزمتة[١٦].

ويتوقف نجاح التعريب - فضلا عن الاستراتيجية المحكمة - على تضافر الجهود وتنسيقها قطريا، وعلى الإفادة من الأقطار العربية الاخرى وعلى ضرورة ابتناء أماكن خاصة به؛ وفي هذا الصدد، يقول أحد الباحثين إن «مسألة التعريب لا تتم إلا بإنشاء دور للترجمة والتعريب، ومكانها المناسب هي الجامعات»[١٧]. ويتطلب تحقيق التعريب وإنجاحه كذلك قرارا سياسيا ملزما... الخ.

**** مجامعنا العربية لم تبذل الجهد الكافي في حركة التعريب.**

٤ - معوقات التعريب :

اقتصر القاسمي في كتابه «مقدمة في علم المصطلح» على الحديث عن معوقات التعريب في المجال التربوي في العالم العربي دون غيره من المجالات، وذكر أن ثمة عقبات لا يستهان بها تعترض عملية التعريب هذه، وأن هذه العقبات (أو المعوقات) ترتبط بالمقومات الأربعة الرئيسة للعملية التربوية (الأستاذ والكتاب المدرسي والطالب ولغة التعليم).

لقد عانت الأقطار العربية - نتيجة للسياسة التربوية التى انتهجتها سلطات الاحتلال الغربي غياب (أو ندرة) الأطر الوطنية المعرَّبة القادرة على تدريس المواد أو الموضوعات باللغة العربية، وخاصة في بدايات استقلالها. كما عانت غياب (أو ندرة) الكتاب المدرسي العربي ردحا غير يسير من الزمن.. وحينما يكون الطالب غير معرَّب يجد المسؤول التربوي صعوبة في اتخاذ قرار التعريب الشامل. لأن هذا الطالب لا يستطيع مواصلة التعلم عند تغير لغته فجأة. ولهذا كان لا مناص من تبني التعريب التدريجي الذي يبدأ من المراحل التعليمية الدنيا ليصل الى المراحل العليا ولا ريب في أن لغة التعليم والتعلّم كانت العامل الأساس في عرقلة عملية التعريب، وتبطيء حركتها إبان الاستقلال.

هذه خلاصة مركزة للمعوقات التى ذكرها القاسمي، وهي - كما ترى - مرتبطة بالجانب التربوي.. ويمكن أن نستعرض بعض معوقات التعريب العام في النقط الآتية:

- إن انتشار اللهجات المحلية - المدعمة في أحايين كثيرة من قبل جهات خارجية - يحول دون استعمال اللغة العربية الفصحى بصورة مُرْضية، بالرغم من أنها القاطع المشترك بين ابناء الأمة العربية.

- إن للتخلف الحضاري والعلمي الذي تعانيه

الأقطار العربية والتبعية الثقافية الغربية أثرا بارزا في عرقلة عملية التعريب الشامل.

- إن المجامع اللغوية العربية تبذل جهودا كبيرة في سبيل تحقيق التعريب، بيد أن الانفصال بين النظرية والممارسة في أعمالها ما يزال واضحا.

- إن اللغة العربية تشكو من قلة المعاجم والمراجع العلمية والتقنية والكتب الدراسية في ميادين الطب والصيدلة والبيطرة والهندسة والكيمياء والفيزياء وعلوم الأحياء. كما يشكو الإخصائيون من المصطلحات العلمية العربية، الأمر الذي يضطرهم الى الاستعانة باللغات الأجنبية واصطلاحاتها، خاصة وأن المصطلح العلمي العربي لم يستكمل بعد توحيده في العالم العربي. ما يؤدي الى فوضى التعريب على صعيد الأمة العربية.

الهوامش :

(١) ابن منظور: لسان العرب، دار صادر (بيروت)، ط ١٩٩٢، مادة (ع ر ب)،١٠/ ٥٨٨ + ٥٨٩ + ٥٩٠.

(٢) الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين (بيروت)، ط٣ (١٩٨٤)، ١/ ١٧٩.

(٣) عبد السلام المسدي: قاموس اللسانيات مع مقدمة في علم المصطلح، الدار العربية للكتاب (ليبيا - تونس)، ط ١٩٨٤، ص ٢٨. وللمسدي تعريف شبيه جدا بهذا التعريف، أورده في كتابه الموسوم بـ (المصطلح النقدي)، حيث يقول عن التعريب: «وهو مصطلح دقيق يقصد به طريقة اللسان العربي في معالجة الألفاظ التى يستقبلها من الألسنة الأخرى مستوعبا إياها دالا ومدلولا»، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع (تونس)، ط١ (١٩٩٤)، ص ٢٩.

(٤) مصطفى محسن : التعريب والتنمية، سلسلة (شراع)، طنجة، ع ٥٦، يونيو ١٩٩٩م، ص ٦٦.

(٥) محمد جابر الأنصاري: تجديد النهضة باكتشاف الذات ونقدها، المؤسسة العربية للدراسات والنشر (بيروت)، ط ١ (١٩٩٢)، ص ٢٠٣.

(٦) محمد ديداوي : علم الترجمة بين النظرية والتطبيق، دار المعارف للطباعة والنشر (سوسة/ تونس)، ط١ (١٩٩٢)، ص ٤٥٥.

(٧) فؤاد زكريا: ثقافتنا المعاصرة بين التعريب والتغريب، مجلة (العربي)، الكويت، ع ٣٠٢، يناير ١٩٨٤، ص ٣٨.

(٨) محمد ديداوي: علم الترجمة بين النظرية والتطبيق، ص ٤٥٠.

(٩) علي القاسمي: مقدمة في علم المصطلح، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة)، ط ٢ (١٩٨٧)، ص ١٣٦، بتصرف.

(١٠) فؤاد زكريا: ثقافتنا المعاصرة بين التعريب والتغريب، مجلة (العربي)، ع ٣٠٢، ص ٣٥.

(١١) نجاة عبد العزيز المطوع: آفاق الترجمة والتعريب، مجلة (عالم الفكر) الكويت، مج ١٩، ع ٤ ، ١٩٨٩م، ص ٧.

(١٢) فؤاد زكريا: ثقافتنا المعاصرة بين التعريب والتغريب، مجلة (العربي)، ع ٣٠٢، ص ٣٨.

(١٣) نجاة عبد العزيز المطوع: آفاق الترجمة والتعريب، م.س، ص ٧.

(١٤) المجلة نفسها، الصفحة نفسها.

(١٥) مصطفى محسن: التعريب والتنمية، ص.ص ٦٤ + ٦٥.

(١٦) لمزيد من التفاصيل، يمكن الرجوع الى المرجع السابق، من ص ٧٢ الى ص ٧٩.

(١٧) خضر بن عليان القرشي: تعريب العلوم ووضع المصطلحات، مجلة (اللسان العربي)، مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي (الرباط)، ع٢٢، ١٩٨٣م،



الفرق بين الأصنام والأوثان والأنصاب والأزلام

تأتي الآيات التى تذكر فيها الكلمات ذوات المعاني المتعددة المعلومة المعنى بالمعنى العام، وإن لم تكن معلومة المعنى بالمعنى الخاص؛ الذى يخص كل كلمة على حدة، لكن الناس يكتفون بما عرفوا ولا يدققون في المعاني الخاصة، من ذلكم مثلا: الأصنام والأوثان والأنصاب والأزلام، معلوم أنها كلها من أعمال الكفار، أو ما عُبد من غير الله تعالى.

يقول الله تعالى:

{يا أيُّها الذين آمنُوا إنما الخمْرُ والميْسرُ والأنصابُ والأزلامُ رجْسٌ منْ عمل الشيْطان فاجْتنبُوهُ لعلكمْ تفلحُون} (سورة المائدة الآية/ ٩٠).

{إنما تعْبُدُون منْ دُون الله أوثانا وتخلقون إفكا إنَّ الذين تعبُدُون من دُون الله لا يملكون لكمْ رزقا فابتغُوا عند الله الرزق واعبُدُوهُ واشكُرُوا لهُ إليه تُرجعُون} (سورة العنكبوت الآية/ ١٧).

{وإذ قال إبراهيمُ ربِّ اجعلْ هذا البلد آمنا واجنبني وبنيَّ أنْ نعبُد الأصنام * رب إنهُنَّ أضللن كثيراً منَ الناس فمنْ تبعني فإنَّهُ مني ومَنْ عصاني فإنك غفُورٌ رحيمٌ} (سورة ابراهيم الآية/ ٣٥، ٣٦).

لكن هذه الأشياء الأربعة ليست بمعنى واحد قطعاً ، فما هو الفرق بينها؟.

الفرق بين الصنم والوثن :

اختلف أهل اللغة في ذلك:

قال الجوهري: الصنم هو الوثن، وقال غيره: الوثن ما له جُثَّة[١]، والصنم: ما كان مصوراً[٢]، فبينهما على هذا عموم وخصوص من وجه.

ومادة اجتماعهما إذا كان الوثن مصورا[٣].

وقال ابن الأثير في النهاية: الفرق بين الوثن والصنم: أن الوثن كل ماله جثة معمولة من جواهر الأرض، أو من الخشب والحجارة؛ كصورة الآدمي تعمل وتُنْصب فتُعْبد، والصنم الصورة بلا جثة، ومنهم من لم يفرق بينهما وأطلقهما على المعنيين. وقد يطلق الوثن على غير الصورة، ومنه حديث «عدي بن حاتم قدمتُ على النبي {صلى الله عليه وسلم} وفي عُنُقي صليب من ذهب، فقال: ألق هذا الوثن عنك»[٤] انتهى.



د. ياسين بن ناصر الخطيب

جامعة أم القرى - مكة المكرمة

وفي أحكام القرآن للجصاص قال: والفرق بين النُّصُب والصَّنم أن الصنم يصوَّر وينقش، وليس كذلك النُّصبُ، لأن النصُب حجارة منصوبة، والوثن كالنصب سواء، ويدل على أن الوثن اسم يقع على ما ليس بمُصَوَّر «إن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال لعدي بن حاتم حين جاءه وفي عنقه صليب: ألق هذا الوثن من عنقك» فسمى الصليب وثنا، فدل ذلك على أن النصُب والوثن اسم لما نصب للعبادة وإن لم يكن مصوراً ولا منقوشاً[٥].

ويختلف الشافعي عن هؤلاء - وهو اللغوي الذي تربى في هذيل، فقد نقل النووي في مجموعه قوله حيث يقول:

وذكر - الشافعي - في الجديد الصنم والوثن، فقال: قيل هما بمعنى واحد، والأصح أنهما متغايران، فعلى هذا قيل: الصنم ما كان مصورا من حجر أو نحاس أو غيرهما، والوثنُ ما كان غير مُصَوَّر[٦]، وقيل: الوثن ما كان له جُثَّة من خشب أو حجر أو جوهر أو ذهب وفضة ونحو ذلك، سواء كان مصوراً أو غير مصور، والصنم الصورة بلا جثة، والله أعلم.

وذكر في المصباح المنير للفيومي فرقا آخر فقال: الصنم: يقال هو الوثنُ المتخذ من الحجارة أو الخشب، ويُروى ذلك عن ابن عباس، ويقال: الصنم المتخذ من الجواهر المعدنية التى تدوب، والوثن هو المتخذ من حجر أو خشب وقال ابن فارس: الصنم ما يُتَّخذ من خشب أو نحاس أو فضة والجمع أصنام[٧].

وقال أيضا : الوثن : الصنم سواء كان من خشب أو حجر، أو غيره - وتقدم في صنم - والجمع وُثْن - بضم فسكون - مثل أَسَد وأُسْد، وأوثان، وينسب إليه من يتدين بعبادته على لفظه؛ فيقال رَجُل وَثَنيٌّ، وقَوْم وثَنيُّون، وامرأة وثنية، ونساء وَثَنيَّات[٨].

وخالف الجميع ابن عابدين في حاشيته فقال: (ووثنيٌّ عجميٌّ) الوثن: ما كان منقوشا في حائط[٩] ولا شخص له، والصنم: ما كان على صورة الإنسان، والصليب ما لا نقش له ولا صورة، ولكنه يُعْبَد. انظر منح على السراج، ومثله في البحر؛ لكن ذكر قبله الوثن ما له جُثَّة من خشب أو حجر أو فضة أو جوهر ينحت، والجمع أوثان وكانت العرب تنصبها وتعبدها اهـ[١٠].

وقال أيضا : والصنم : صورة الإنسان من

خشب أو ذهب أو فضة، فلو من حجر؛ فهو وثن[١١].

وفي مغنى المحتاج للشربيني ذكر فرقاً آخر فقال: والوثنُ: هو الصنم، وذكر السهيلي: أنه لا يقال وثن إلا لما كان من غير صخرة كنحاس وحديد اهـ[١٢].

والفرق بين الأنصاب والأزلام :

قال الجصاص في أحكام القرآن: وأما الأنصابُ: فهي ما نُصب للعبادة من صنم أو حجر غير مصور، أو غير ذلك من سائر ما ينصب للعبادة.

وأما الأزلام فهي القداح، وهي سهام كانوا يجعلون عليها علامات (افعل) و (لا تفعل) ونحو ذلك، فيعملون في سائر ما يهتمّون به من أعمالهم على ما تُخرجه تلك السهام من أمر، أو نهي، أو إثبات، أو نفي، ويستعملونها في الأنساب أيضا إذا شكُّوا فيها، فإن خرج (لا) نفوه، وإن خرج (نعم) أثبتوه، وهي سهام الميسر أيضاً[١٣].

وجمع الأقوال في الموسوعة الفقهية وبيّن الفرق بين الأنصاب والأصنام والتماثيل، فقال: أنصابُ

التعريف:

١ـ الأنصاب:

جمع مفرده نُصُب، وقيل: النُّصب جمع مفرده نصاب، والنُّصُب كل ما نصب فجُعل علما، وقيل: النُّصب هي الأصنام، وقيل: النُّصب كل ما عُبد من دون الله.

قال الفراء : كأن النُّصب الآلهة التى كانت تُعبد من أحجار.

والأنصاب حجارة كانت حول الكعبة تُنْصب فيهلُّ ويذبح عليها لغير الله تعالى، وروى مثل ذلك عن مجاهد وقتادة وابن جريج، قالوا: إن النصُب أحجارٌ منصوبة كانوا يعبدونها ويقربون الذبائح لها (الألفاظ ذات الصلة).

٢ـ الأصنام والأوثان:

الأصنام جمع صنم، والصنم: قيل هو الوثن المتخذ من الحجارة أو الخشب، ويروى ذلك عن ابن عباس، وقيل الصنم جثة من فضة أو نحاس أو خشب كانوا يعبدونها متقربين بها إلى الله تعالى. وقيل: الصنم ما كان على صورة حيوان وقيل: كل ما عُبد من دون الله تعالى يقال له صنم. والفرق بين الأنصاب والأصنام، أن الأصنام مصورة منقوشة، وليس كذلك الأنصاب لأنها حجارة منصوبة.

وفي أحكام القرآن للجصاص: الوثن كالنصب سواء، ويدل على أن الوثن اسم يقع على ما ليس بمصور، أن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال لعدي بن حاتم حين جاءه وفي عنقه صليب: «ألق هذا الوثن

من عُنُقك» فسمى الصليب وثنا، فدل ذلك على أن النصب والوثن اسم لما نصب للعبادة، وإن لم يكن مصورا ولا منقوشا، فعلى هذا الرأي تكون الأنصاب كالأوثان في أنها غير مصورة وعلى الرأي الأول يكون الفرق بين الأنصاب والأوثان أن الأنصاب غير مصورة، والأوثان مصورة.

٣ ـ التماثيل:

التماثيل: جمع تمثال، وهو الصورة من حجر أو غيره سواء عُبد من دون الله أم لم يُعبدْ.

٤ ـ أنصاب الحرم:

حَرَم مكة هو ما أحاط بها من جوانبها، جعل الله حكمه حكمها في الحرمة وللحرم علامات مبينة، وهي أنصاب مبنية في جميع جوانبه قيل أول من نصبها إبراهيم الخليل عليه السلام بدلالة جبريل له، فقيل نصبها إسماعيل عليه السلام ثم تتابع ذلك حتى نصبها النبي {صلى الله عليه وسلم} عام الفتح، ثم الخلفاء من بعده (ر: أعلام الحرم).

والفرق بينها وبين أنصاب الكفار: أن أعلام الحرم علامات تبين حدود الحرم دون تقديس أو عبادة، أما أنصاب الكفار فكانت تقدس ويتقرب بها لغير الله ويذبح عليها، وجه الدلالة والذبح على النصب كان عادة من عادات أهل الجاهلية، ينصبون الأحجار ويقدسونها ويتقربون إليها بالذبائح. وقد بين الله تعالى أن هذه الذبائح لا تحل[١٤].

وفي الختام أقول لا تعبد الأصنام الآن لكن الناس اتخذوا أصناما من نوع آخر.

قال الحسن البصري: لكل أمة صنم يعبدونه، وصنم هذه الأمة الدينار والدرهم[١٥].

الهوامش :

(١) أي ما نحت من الحجارة وغيرها فيكون له جسد.

(٢) اي صورة بلا جثة، كالصورة على الحائط، فهذا لا جسم فيه.

(٣) نيل الأوطار للشوكاني ج ٥.

(٤) سنن الترمذي ٥/٢٧٨: وقال عنه إنه حديث غريب نيل الأوطار للشوكاني ٩/١٥٠.

(٥) أحكام القرآن للجصاص ج٣.

(٦) (قلت) لما كان يمكن أن يكون الوثن مصورا، والصنم هو المصور؛ لذا قال من قال: إنهما بمعنى واحد، فيكون بينهما عموم من حيث إن كلا منهما مصور، وخصوص من حيث إن الصنم مصور، والوثن غير مصور. والله اعلم.

(٧) المصباح المنير للفيومي مادة (صنم).

(٨) نفسه مادة (وثن).

(٩) أي ليس له جثة.

(١٠) رد المحتار حاشية ابن عابدين على الدر المختار ج٤.

(١١) نفسه ج ٣.

(١٢) مغني المحتاج للشربيني ج ٥.

(١٣) أحكام القرآن للجصاص ج ٢.

(١٤) الموسوعة الفقهية طبعة الكويت ج ٧.

(١٥) الآداب الشرعية لابن مفلح ج٢.



المصالح الدينية والدنيوية لمناسك فريضة الحج

إن لفريضة الحج مصالح ومقاصد وغايات دينية ودنيوية متعددة لا يمكن حصرها، فالمصالح الدينية تتمثل في كون الحج عبادة إسلامية تشمل الصلاة والذكر والدعاء والجهاد بالمال والبدن.. أما المصالح الدنيوية فتتجلى في الأسفار والرحلات والتجارب المكتسبة والأعمال التجارية والإجتماعية.. وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: **{وأذِّن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم}** (الحج/ ٢٧، ٢٨). (وتنكير منافع) للتعظيم، المراد منه الكثرة وهي المصالح الدينية والدنيوية لأن في مجمع الحج فوائد جمة للناس[١].

إن لفريضة الحج معاني عميقة ومدلولات كبيرة (إن سفر الحاج مثال لسفر الآخرة، فوداع الأهل والأحباب يذكر الحاج بسكرات الموت. ومفارقة الوطن تدل على الخروج من الدنيا وركوب الراحلة للحج يدل على ركوب النعش، ولبس ثياب الإحرام ينبه الى لبس الأكفان ومسافة الطريق من بلد الحاج الى مكة المكرمة مثل حياة البرزخ. والوصول الى الميقات كالحشر الى ميقات القيامة والتلبية تمثل إجابة الداعي بعد البعث)[٢].

إن فريضة الحج تبين مبدأ المساواة بين البشر بأسمى معانيها: مبدأ واحد ولباس واحد وسلوك واحد ونداء واحد.. قال الله تعالى: **{يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر**

أقلام أحبت الكلمة، بل عشقتها.. تعاملت معها: فهما وذوقا وإبداعا.. بين أحضان الكلمة نسمع نبضاتهم، ونرى ومضاتهم.. ومضات: أقلام طالما احتضنتها صفحات المنهل، وهي تصنع بين عينيها.. (المنهل)

ومضات

أنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير (الحجرات/ ١٣)٠ وفي حجة الوداع خاطب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الحجاج فقال: (أيها الناس كلكم لآدام وآدم من تراب، ليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى) كما أن في نداء التلبية (لبيك اللهم لبيك) ترسيخا لمبدأ المساواة بين الناس وإبرازاً لعظمة الله وملكه وأنه لا قيمة للمال والجاه والقوة والولد٠٠ قال تعالى: {**يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد**} (فاطر/ ١٥)٠

إن لطواف الحاج حول الكعبة حكما جليلة ومعاني سامية، يقول الإمام الغزالي رحمه الله في كتاب أسرار الحج: «واعلم أنك بالطواف متشبه بالملائكة الحافين حول العرش الطائفين حوله ولا تظنن أن المقصود طواف جسمك بالبيت بل المقصود طواف قلبك بذكر رب البيت حتى لا تبتديء الذكر إلا منه بحضور الربوبية وأن البيت مثال ظاهر في عالم الملك لتلك الحضرة التى لا تشاهد بالبصر وهي عالم الملكوت»[٣]٠

إن من خلال حركة السعي بين الصفا والمروة نستحضر المرأة المؤمنة هاجر زوجة ابراهيم عليه السلام وهي تجد من أجل الحصول على الماء حتى إذا عجزت واستقصت الأسباب جاءها الفرج من عند الله عز وجل الذى يسبب الأسباب٠ وهكذا فإن حركة السعي تذكر بوجوب إخلاص النية لله واتخاذ الأسباب في الحياة وتقوى الله واليقين بقوته وقدرته٠ قال تعالى: {**وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب**} (البقرة/ ١٩٧)٠

إن يوم عرفة يوم الحج الأكبر بحشوده الجامعة ذكر الإنسان بيوم القيامة يوم الحج الأكبر فيتذكر لمسلم خطاياه وذنوبه فيلح في التوبة ويجتهد في الاستغفار فيكرمه الله بالعتق من النار كما روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها٠

إن رمي الجمرات يذكر بالصراع الذى تغلب فيه الأنبياء على إبليس وضعف سلطانه أمام عباد الله الصالحين «قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين} (ص/ ٨٢ ـ ٨٣)٠ إن الشيطان هو ابتلاء وامتحان للإنسان من الله في الدنيا، لقد أقسم على غواية الإنسان وتضليله، قال تعالى: {**قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين**} (آل عمران/ ١٦ ـ ١٧)٠

إن الحاج حينما ينحر الهدي استجابة لله {**فصل لربك وانحر**}، ويشترك معه المسلمون حينما ينحرون أضاحيهم يعبرون عن تقربهم الى الله وشكرهم له على ما رزقهم من بهيمة الأنعام ومساعدة الفقراء٠ قال تعالى: {**فكُلوا منها وأطعموا القانعَ والمُعْترَّ كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون**} (الحج/ ٣٦)، وهذه الشعيرة تؤكد البعد الاجتماعي والربط بين الفعل والهدف الاقتصادي للعبادات٠

الهوامش :

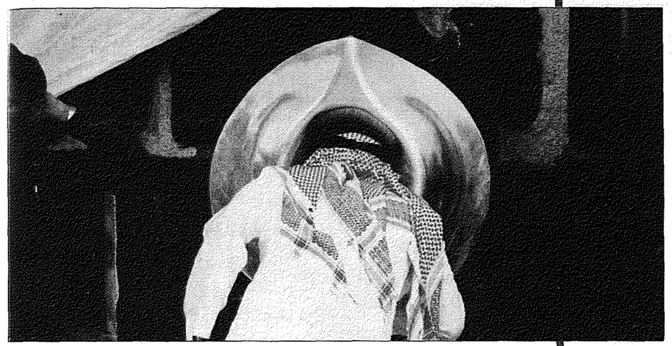
(١) التحرير والتنوير ٢٤٦/١٧٠

(٢) الحديقة الأنيقة في شرح العروة الوثيقة لابن بحرق الحضرمي ـ ص ١٩٥٠

(٣) إحياء علوم الدين ـ الإمام أحمد أبي حامد الغزالي ـ المجلد الأول ج٣ ـ ص ٥٧ ـ طبع دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان٠

عمر الرماش
- المغرب -





الحنين إلى مكة

مرت عهودُ
والهواء، هواءُ مكة
لا يزال على فمى
بين الدّنا ينثالُ
أسقيتُ من عطش الرمال..
ضياءها، آخيت زمزم
والسنونُ تضيءُ لى ..
من روح بيت الله نورا
في دمى يختالُ
وتضوعت نفسى بفيض
من ربا تلك الأماكن
مشينا نحو الشعائر..
وابتهالات الحجيج،
وموكبُ الايمان يمضى،
والسّنا جوّالُ
مرت عهودُ ، والجبالُ
جبالُ مكة ، لا تزالُ بمقلتيّ
تشدنى ، وأنا المهاجرُ
نحو ربى ، قادنى شوقى لنورك..
ها أنا في قبضة الأيام

محمد زيدان
- مصـــر -

الكتابة في عصر النبوة

الكتابة العربية ليست رموزاً ومواصفات فنية وحسب، ولكنها الى جانب ذلك فهي منهج فكر وطريقة نظر وأسلوب تصور فيه رؤية متكاملة تمدّها خبرة حضارية متفردة، ويرفدها تكوين نفسي مميز فالذي يتكلم لغة ما، يفكر بها.

فهي تحمل في كيانها تجارب أهلها وخبرتهم وحكمتهم وبصيرتهم وفلسفتهم في الحياة، فهي وسيلة تفكير كما هي وسيلة تعبير.

فمن دار مخرمة بن نوفل في المدينة المنورة والتى اتخذها الرسول {صلى الله عليه وسلم أول دار لتعليم الكتابة، وظف لهذه المهمة بعض صحابته لتعليم الكتابة ونشرها فيما بينهم.

كما اتخذ رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لنفسه كُتَّابا من أجلاء الصحابة رضي الله تعالى عنهم لكتابة الوحي ولكتابة الرسائل التى يبعثها الى الملوك وغيرهم، ثم تختم بخاتمه {صلى الله عليه وسلم}، منهم الخلفاء الأربعة وزيد بن ثابت ومعاوية بن أبي سفيان وكانوا ملازمين للكتابة بين يديه {صلى الله عليه وسلم} في الوحي وغيره.

الا أن زيد بن ثابت لكثرة كتابته الوحي أطلق عليه كاتب النبي {صلى الله عليه وسلم} وقد ذكر البخاري في صحيحه بابا بهذا الاطلاق وعبد الله بن الأكرم الزهري وكان يكتب لرسول الله {صلى الله عليه وسلم} الرسائل للملوك وغيرهم، وأبي بن كعب وهو أول من كتب للرسول {صلى الله عليه وسلم} من الأنصار بالمدينة، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح وهو أول من كتب الوحي من قريش مكة.

كما شجع الرسول {صلى الله عليه وسلم} على تعلم الكتابة بطرق مختلفة، فمن ذلك أنه جعل فداء بعض أسرى قريش في بدر ممن تعلموا الكتابة أن يعلموها عشرة من صبيان المدينة.

وبجانب ذلك ترى الرسول {صلى الله عليه وسلم} يدعو بعض أصحابه الى تعلم اللغات الأجنبية، ففي البخاري عن زيد بن ثابت، أتي بي النبي {صلى الله عليه وسلم} حين مقدمه المدينة فقيل: هذا من بني النجار وقد قرأ سبع عشرة سورة من القرآن الكريم، فقرأت عليه فأعجبه فقال: تعلم كتاب يهود فإني ما آمنهم على كتابي. ففعلت، فما

مضى لي نصف شهر حتى حذقته، فكنت أكتب له اليهم واذا كتبوا إليه قرأت له.

وأمر رسول الله {صلى الله عليه وسلم} الصحابة الكرام أن يكتبوا الوحي ليضم التسجيل الكتابي مع الحفظ الذي تفضل به الله سبحانه على أصحاب رسوله {صلى الله عليه وسلم}.

وأخرج مسلم من حديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: لا تكتبوا عني شيئاً غير القرآن فكان الصحابة رضوان الله عليهم يكتبون ما يسمعون من فم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من القرآن في الصحاف والرقاع مخافة النسيان والضياع.

وكانت هذه الكتابة مما هدى الله إليه رسوله {صلى الله عليه وسلم} وصحابته في سبيل الحفاظ على نص الوحي المنزّل أن يضيع.

وكان من الصحابة رضوان الله عليهم من يثابر على تتبع كل جديد من الوحي ليحفظه، كما كان من الصحابة من يلازم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ليكتب لأول نزوله فعرفوا بكتاب الوحي حتى ما لقى رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ربه كان القرآن محفوظا في الصدور على هيئته وترتيبه الذي نعرفه ومكتوبا في الرقاع والأكتاف والعسب واللخاف ولمّا كانت حروب الردّة كان من شهدائها العديد من قرّاء القرآن وحفظته وتداول أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ذلك الأمر وانتهيا إلى رأي أن يجمع القرآن المكتوب المفرق في الرقاع والأكتاف والعسب بين دفتي مصحف واحد.

فلما عرض ذلك على زيد بن ثابت فيما يرويه البخاري عنه قال: فو الله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ مما أمراني به من جمع القرآن».

والثقل ثقل المسؤولية، حتى لا يضيع من القرآن

شيء وكلهم حافظون له عن ظهر قلب، وكانت المهمة مقابلة المكتوب بالمحفوظ قبل أن يدوّن في مصحف بين دفتين.

وكان هذا أيضا مما شرح إلله له صدر أصحاب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} للحفاظ على الوحي من أن يختلط أو يضيع، وكانوا يكتبون الوحي في زمن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} على الأديم، قال عثمان بن عفان رضي الله عنه: «فأعزم على كل رجل منكم ما كان معه من كتاب الله شيء لما جاء به، وكان الرجل يجيء بالورقة والأديم فيه القرآن».

وقد كان صحابة رسول الله يكتبون كذلك على الكتف واستمروا أيضا يكتبون على الكتف بعد ذلك بدهر. بل لقد بقي العظم مادة من مواد الكتابة حتى العصر العباسي الأول في النصف الأخير من القرن الثاني للهجرة.

قال الشافعي رضي الله عنه : فكنت أجالس العلماء وأحفظ الحديث أو المسألة وكان منزلنا بمكة في شعب الخيف وكنت أنظر الى العظم وقد طرحته في الجرّة.

وجاء في الأثر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه هو أول من جمع الأولاد في المكتب وأمر عامر بن عبد الله الخزاعي أن يلازمهم للتعليم وجعل رزقه من بيت المال، وسألوه عن تخفيف التعليم، فأمر المعلم بالجلوس بعد صلاة الصبح الى الضحى العالي ومن صلاة الظهر الى صلاة العصر ويستريحون بقية النهار، ولمّا خرج رضي الله عنه الى الشام عام فتحها ومكث شهرا ثم رجع الى المدينة، وقد اشتاق الناس إليه، فخرجوا للقائه فتلقاه الصغار على مسيرة يوم وكان ذلك يوم الخميس فباتوا معه ورجع بهم يوم الجمعة فتعبوا في خروجهم ورجوعه، فشرع لهم الاستراحة في اليومين المذكورين وصار ذلك سنة متبعة ودعا بالخير لمن أحيا هذه السنة.

وقد وردت الصحف في لغة التنزيل ويرد بها كل شيء مكتوب على رقوق أو عسب أو لخاف كما كان الأمر في (الصحف) التى احتفظ بها بعد رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في بيت حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها، حيث اتخذها عثمان رضي الله عنه أصولا للمصاحف في جمعه المعروف الذي اضطلع به جلة من الصحابة من كتاب الوحي فانتهوا الى ما انتهوا إليه في استقرار رأيهم واختيارهم واستحسانهم وجمعهم.

وتطوّر الخط العربي من القساوة الى اللين، فقد ظهر الخط الكوفي المشوب بلمسات من زوايا الجزم مع تطور كبير في رسم الحروف، مقتربين بشكل واضح في طريقة الكتابة النبطية وبدأت الحروف تلين منذ صدر الإسلام حيث كان يكتب الوحي، وكذلك الرسائل بخط يميل الى الصلابة مع شيء من اللين في بعض حروفه وهو شبيه بالكوفي ويمكن أن نقول: إن الخط الكوفي المعروف قد تطور من هذا الخط، لأن معظم الحروف التى كتبت بها رسائل الرسول {صلى الله عليه وسلم} والولاة المسلمين في صدر الاسلام كانت من هذا الخط.

والكتابة العربية التى هي كل ما قدمه العرب أنفسهم للفن الإسلامي تعتبر حيثما وجدت دليلا على سيادة الإسلام وعظيم تأثيره. ولأنها الخط الذي دون به القرآن الكريم. كانت مقدسة في كل بلاد الإسلام وكل عصوره، وطالما تنافس الخطاطون في تحسين حروفها الجميلة وأتت أجيال من الخطاطين كانت تعمل في توفيق ونجاح حتى أصبح الكتاب الجميل كنزا لا يقدر بثمن.

ومنذ أن بدأت أقلام الخطاطين تخط آيات القرآن الكريم، كان هناك التزام عرفوا به جميعا جيلا بعد جيل، ذلك أن الكاتب يتوضأ ويتطيب قبل أن يشرع في مسك القلم ليخط كلمة أو آية من كتاب الله، وهو أول دليل حي على أن كتابة الآية القرآنية جزء لا يتجزأ من العبادة ذاتها.

معصوم محمد خلف
- سوريا -





تباريح

القلب حاجته الصراخ

والروح مقهى للشجن

والجسد ذاك المستكين على التباريح القديمة

يهوى الأماني الحالمات على محطات الأمل

ما عادت الأحلام تطربه

وما عادت تدثره تلابيب الزمن

ما عاد يحتمل الشجن

يشتاق صوتاً من دواخله بأن يخرج

بأن يمضي بنحو الحلق نحو مسبعات العنكبوت

بأن بهتك غشاءات النسيج

بأن يصرخ: وجدت النور

ما أحوج الصوت المكتم في الدواخل أن يثور

ما أروع الآهات أن تمنح بطاقات العبور

ما أروع الصرخات أن تصرخ

وأن تفرخ زغاليل البواح

ترتاح دوماً أن تشاهد كل أشكال التشاكث في الصغار

ترتاح دوماً في محطات البواح

أواه ما أحلى الصراخ

أواه ما أشهى البواح

كمال الدين سر الختم

- السودان -



القرار

راح يجيل نظراته الكليلة في أرجاء البهو الفسيح وهو يلعب بأصابعه ويشبكها في حركات مرتبكة محاولا أن يقاوم تردده واضطرابه الواضحين.. يوشك أن يقوم ليغادر نهائيا، لكنه يتراجع ويعدل من جلسته وهو يحاول مرة أخرى أن يقنع نفسه - ربما للمرة العاشرة - بأنه مضطر ولا خيار له في ما سوف يفعله، وأنه - معاذ الله - لا يرتكب إثما في حق ابنته الصغيرة، وأن .. ابنته؟.. كان قد نسيها تماما في غمرة انشغاله بما يمور به صدره من شد وجذب ومن صراع محموم مع نفسه، فالتفت نحوها بسرعة وفي عينيه ما يشبه الخوف، كأنما يخشى أن يجدها قد غادرت مكانها فجأة.. فوق الأرضية النقية المغطاة بمفرش قطني ناعم، والى جوار الكنبة الفخمة، كانت الفتاة جالسة في صمت والى جوارها رزمة تحوي ثيابها وبعض أشيائها الصغيرة.. على النقيض من أبيها كانت هادئة تماما، ولم يكن وجهها ينطق سوى بملامح الطفولة والبراءة والسكينة، اللهم بعض الدهشة التى أحست بها داخل هذا المكان الواسع الفخم الذي تراه لأول مرة والذي يرين فيه هدوء وصمت باردان جعلاها تغفو أكثر من مرة.. عندما وقع بصره على وجهها الطفولي الناعم وتأملها قليلا ازداد اضطرابه وانفعاله، فقام من مكانه وأخذ يذرع البهو جيئة وذهابا.

وهذا «السيد»؟.. لماذا تأخر هكذا؟ كأنما يمعن في إهانته وإذلاله إذ يتركه ينتظر كل هذه المدة مع هواجسه المضطربة وتردده الذي ما فتيء يعذبه ويقهره.. لماذا لا يأتي بسرعة ويأخذ البنت ثم يسلمه الدفعة الأولى من المبلغ كما اتفقا، وينتهي كل شيء؟ لكن كلما حانت منه التفاتة نحو ابنته الصغيرة تمنى، في أعماق نفسه، أن يتأخر ذلك «السيد» أكثر إلى أن يقتنع بالقرار الصائب الذي ينبغي له اتخاذه.

وهكذا يزداد تردده وتطول حيرته.. يفكر في النقود تارة، وتارة أخرى يتخيل طفلته الصغيرة وهي تكنس وتغسل وتهان.. يحس بخطيئته وتسرعه في لحظة، ثم سرعان ما يعود ليبسط أمام نفسه مبرراته وظروفه القاهرة.. كل هذا والبهو فسيح، بارد وصامت.. وبندول الساعة الضخم يسكب قطرات الوقت بإيقاع منتظم.. والطفلة لائذة ببراءتها ودهشتها لا تزال..

يلوح «السيد» أخيراً.. لا زال في ثياب النوم الأنيقة.. ينزل درج الطابق العلوي ببطء وهدوء، ناظرا الى أعلى وفي يده سيجارة مشتعلة.. سبقته نحنحاته المفتعلة لتخبر ضيفه بقدومه.. عندما وصل ألقى تحية مقتضبة وأخذ يتأمل الفتاة وهو يمتص أنفاسا من سيجارته، وبدا بأنه يتجاهل تماما الرجل المضطرب الواقف الى جانبه.. جلس وهو يحرك رأسه ثم نظر الى الرجل الذي بقي واقفا دون أن يقول شيئا.. مد يده الى جيبه وأخرج مبلغا من المال وضعه فوق الطاولة وقال للرجل الذاهل الصامت: خذ.. لكن الأخير لم يأخذ شيئا..

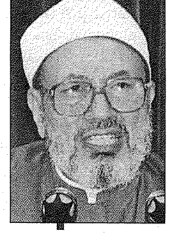
أخذ ينظر الى المبلغ المالي فتراءى له سياطا لاهبة تنهش جسد طفلته الصغيرة، واستشعر وخزات الندم والتأنيب التى ستستبد بقلبه بمجرد أن يسلمه باب هذا المنزل الى الخارج. فجأة، وكأنما دفعته قوة داخلية خارقة، قام من مكانه منتفضا وأخذ ابنته من مكانها، وسرعان ما وجد نفسه في الخارج.

مشى مسرعا بشكل أقرب الى الهرولة وهو يكاد يجر طفلته وراءه.. وما إن وصل الى منزله حتى أخذ فأسا أخذ يتراكم عليها الصدأ، وكانت مركونة في زاوية مظلمة.. وفي الخارج نظر مليا الى الجبل البعيد وركز بصره على بعض الأشجار الصغيرة اليابسة المتناثرة فوقه هنا وهناك، ثم حث سيره باتجاه الجبل وهو يحس بأن دم العزيمة يتجدد في عروقه، وبأن المرض المزمن الذي يعاني منه ليس عاتقا مثبطا، بل هو قوة أخرى تدفعه الى الأمام وتشد من أزره.

لحسن باكور
- المغرب -

السعادة الحقيقية

بين القرضاوي وأبي ماضي


د. القرضاوي

ايليا ابو ماضي

(إن البشرية ستبقى معذبة مضطربة قلقة مريضة مادامت لا تعتنق عقيدة الإسلام فالعقل وحده لا يصلح ضابطا موزونا ما لم ينضبط هو على ميزان العقيدة الصحيحة، العقل يتأثر بالهوى كما نشهد في كل حين ويفقد قدرته على المقاومة في وجه الضغوط المختلفة ما لم يقم الى جانب ذلك الضابط الموزون) هذا ما أشار إليه الأستاذ سيد قطب في ظلاله فلو انتقلنا الى ديوان الجداول لإيليا أبي ماضي نتصفحه وخصوصا قصيدة الطلاسم التى تقع في إحدى وسبعين مقطعا وكل مقطع يتكون من أربعة أبيات أي مجموعها أربعة وثمانون بيتا ومئتين لوجدنا قصور العقل البشري أمام هذا الكون وألغازه ـ على حسب قوله ـ عندما حاول التغلغل في الأشياء لاستجلاء صفاتها وعلاقتها ومصدر وجودها فيستهل قصيدته:

جئت لا أعلم من أين ولكني أتيت
ولقد أبصرت قدامي طريقا فمشيت
وسأبقى سائرا إن شئت هذا أم أبيت
كيف جئت ؟ كيف أبصرت طريقي؟
لست أدري ..

أجديد أم قديم أنا في هذا الوجود؟
هل أنا حر طليق أم أسير في قيود؟
أتمنى أنني أدري ولكن
لست أدري..

وطريقي مـــا طريقي أطويل أم قصير؟
هل أنا أصعد أم أهبط فيه وأغور؟
أأنا السـائر في الدرب أم الدرب يسير؟
أم كلانا واقف والدهر يجري؟
لست أدري

أتراني قبلما أصبحت إنسانا سويا؟
كنت محوا أو محالا أم تراني كنت شيئا؟
ألهذا اللغز حل أم سيبقى أبدي؟
لست أدري ولماذا لست أدري؟
لست أدري

ثم ينطلق فيسأل البحر ويقف به ثم

ومضات

يعرج يسأل سكان الدير وعباده ويقف بالمقابر والقصر والكوخ، ويستعرض فكره، فيحدث صراعاً بين الجسد والروح، وينظر في الطبيعة والجمال والبرق والشهب والسحب والغاب، ويلقي بالأسئلة تباعا والجواب هو نفس المقطوعة (لست أدري) حتى تكررت في القصيدة خمسا وسبعين مرة، فينهي ذلك كله مقرا:

أنا لا أذكر شيئاً من حياتي الماضية
أنا لا أعرف شيئاً من حياتي الآتية
لي ذات غير أني لست أدري ما هيه
فمتى تعرف ذاتي كنه ذاتي؟
لست أدري

ويعترف أيضا بقصوره عن مواصلة البحث والسؤال قائلا :

إنني جئت وأمضي وأنا لا أعلم
أنا لغز .. وذهابي كمجيئي طلسم
لا تجادل ذا الحجا من قال إني ..
لست أدري.

فينصرف بعدها في قصائده اللاحقة للتمتع بملذات الحياة واستغلال الحاضر الذي يعيش، تاركا الحديث عن الماضي لأنه فات أو الرؤى للمستقبل.

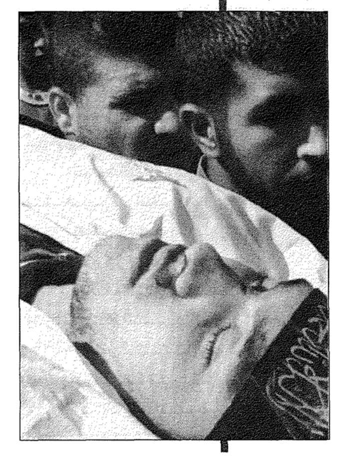
بينما عندما نطالع ما سطر لنا العلامة الدكتور القرضاوي من أبيات جعلها سر السعادة الحقيقية، وجوهر الإجابة الشافية لكل ما تساءل عنه إيليا في قصيدته واستفسر في طلاسمه، فيسترسل القرضاوي بعقيدة المؤمن ينشد في الآفاق الرحبة:

إن السعادة أن تعيش
لفكرة الحق التليد
لعقيدة كبرى تحل
قضية الكون العتيد
وتجيب عما يسأل الحير
ان في وعي رشيد
من أين جئت؟ وأين أذهب؟
لم خلقت ؟ وهل أعود؟
فتشيع في النفس السكون
وتطرد الشك العنيد
وتعلم الفكر السوي
وتصنع الخلق الحميد
وترد للنهج المسدد
كل ذي عقل شرود
تعطي حياتك قيمة
رب الحياة بها يشيد
ليظل طرفك رانياً
في الأفق للهدف البعيد
فتعيش في الدنيا لأخرى
لا تزول ولا تبيد
وتمد أرضك بالسماء
وبالملائكة الشهود
هذي العقيدة للسعيد
هي الأساس هي العمود
من عاش يحملها ويهتف
باسمها فهو السعيد

نسأل الله الهداية والعناية والرعاية.. والحمد لله رب العالمين.

عون معين القدومي
- الاردن -





متجذرون

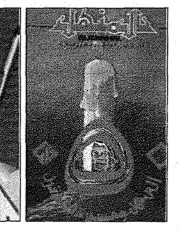
قدم التتارُ ليملكوا
بلدي .. فعادوا بالبوار..
وكذا الصليبيون ..
لاذوا .. بالهزيمة والدمارْ
والتركُ لم تهضمو
أرضي .. فلم يبقوا
بدارْ..
وكذا الفرنسيسُ اللئام
.. وكلهم طلب الفرار..
فمتى ترى يا قاصدي
أرض الضراغم .. تفهمونْ
..؟
أني هنا .. بلدي هنا
.. جدي هنا ..

متجذّرون..
إني هنا .. من قبل قحطان وعدنان.. وطني هنا ..
جذري هنا ..
فمتى الصهاين يفهمون؟ !..
جاءوا بكم يا نسل صهيون لكي يتخلصوا منكمْ ..
جاءوا بكم للمسلخ العربي كي تتمرغوا بدمائكمْ ..
هم يعلمون بأنكم نبت غريب.. في أرضنا نبت غريب
..
صحراؤنا نفطٌ ونار ..
وجبالنا : رعدٌ .. وعصفٌ .. واندثارْ ..
وسهولنا شوكٌ وشبحٌ ..
وطعامنا الزقوم .. والزقوم يغلي في البطونْ.
فمتى الصهاينُ يفهمونْ .. وإلام .. لا .. لا
يفهمونْ؟!
لن تقلعوني من دياري .. فأنا أسٌّ قديمْ ..
وجذوري الخضراء قد نبتت بأرضي ..
ثم ساخت تحت أعماق الصخور..
إن تقطعوا غصناً سيورق ألف غصن ..
من جديدْ ..
أو تقلعوا جذراً .. سينبتُ ..
ألفُ جذر من حديدْ ..
فمتى تراكم .. تفهمون..؟
ومتى تراكم تعلمون ؟
أن الذين ساندوكم .. كلهمْ ..
متآمرون ..
وإلى طريق المسلخ العربي أنتمْ
تقدمون ..؟
هيا اقرؤوا التاريخ جدّياً .. وأنتم تعلمونْ ..
أن بلادي قبرتْ .. آلاف آلاف الغزاة.
وستقبرون
مثل الغزاة ستقبرونْ ..
مثل الطغاة ستهزمونْ ..
وستندمونْ ..
هل تعلمون ؟
هل تفهمون ؟ ..

خليل عارف جعلوك
- فلسطين -

ومضات







يا نبع الهوى

« مهداة الى مجلة المنهل الغراء٠٠»

كل القلوب إلى الضـيـاء تتُـوْقُ
والعـقْلُ فيْ روض البـيـان يفـيقُ

بضــفـــافـــهـا زهرُ العلوم منور
والشــعـــر يرسم بســمـــة ويروق

يا حلوة الكلمـات يا نبع الهـوى
سطعت عليك ســعــادة وحــقــوق

في كل علـم للحــيـــاة تـألقت
تغـزو العــقــول وللظلام تعـوقُ

يا منهـلا نشـر السـلام ضـيـاءه
عمَّ العــروبة واســتطاب رحـيقُ

عـبقُ الأصــالة فى سـمُــو زارنا
وعلى الكنوز لقــد أطلَّ شـُـرُوقُ

يا قلعـة شـاب الزَّمـانُ بسـاحـها
هـي لم يصلهـا بالكهـولة ريقُ!

وقـفتْ تصُولُ بعلمهـا ، ورجالها
فــوق الذُّرا فـفـعـالهُمْ تصـديقُ

من كُل علم للبـــراعم سطَّرت
والمكرُ بالأعـــداء بات يحــيقُ

هى مـوردٌ عـرف النَّمـاء سبيلهُ
إنَّ الجــمـــال لمثلهـــا مــخلُوقُ

يا حُلْوة الكلمـات يا نبع الهـوى
سطعتْ عليك سـعـادة وحـقـوقُ

زكريا عبد المحسن على
- مصـــر -

حسين عرب/ شاعر أم القرى

إنه قمة من قمم الشعر العربي السعودي ـ ولد بمكة المكرمة عام ١٣٣٨هـ ـ تخرج من المعهد العلمي السعودي بمكة المكرمة عام ١٣٥٦هـ وكان بيته قريباً من الحرم المكي مما جعله ملازماً لعلماء الحرم ومداوماً لحلقاتهم فاستفاد من شروحهم المستفيضة للأحاديث النبوية واستوعب تفاسيرهم المبينة لآيات التنزيل وكان يقضي شهور العطلة الصيفية في مكتبة الحرم المكى لمطالعة ذخائر العلم وكنوز الأدب مما كون لديه رصيداً ضخماً من الحقائق والمعارف وأوجدت له كياناً أدبياً وأساساً لغويا فصقلت موهبته ونصعت ديباجته لصفاء بصيرته ونقاء بصره، وديوان شاعرنا لا يخلو من تغاريد وأهازيج ويكثر في صفحاته التعبير عن العيد.. عيد المسلمين وما يكتنفه من شؤون وشجون.. ووصف لابتهاج الناس بالعيد ووقعه الخاص في نفسه.

أقبل العيد مستفيض الجلال

مستنير الشروق والآصال

أصبحت من صباحه الناس في بشر

وأمست من ليله في اختيال

الشاعر حسين عرب

التهاني على الشفاء تراجيع

تغنت بفرحة الإقبال

والأماني بين الجوانح خفق

دائب بالرجا والابتهال

هكذا كان شعر حسين علي عرب.. مرآة صادقة لمزاجه وانفعاله وخلجة نفسه.. صوَّر معاناته الفردية ومشاعره الذاتية بأسلوب أخاذ.. ففي قصيدته (موكب النور) تجد عمق الروح الاسلامية



عثمان محمد مليباري

- مكة المكرمة -

في شعره حيث الحديث الممتع عن فضائل الإسلام والتكلم عن الشعائر الدينية من صوم وحج وزكاة وعيد وما أصاب أمة الإسلام من فرقةٍ وهوان وتناحر وشقاق فأرسل هذه الصرخة ليستقيم لهم الرشد ويؤدي بهم الى انبل غاية وأكرم مقصد:

ياربوع الهدى وأرض النبوات

سلاماً من الفؤاد العميد

هاجنا العيد فاذكرنا البطولات

بواديك في قديم العهود

وأطاف بنا الهواجس شتى

يتوالى قديمها بالجديد

مالنا؟ لا نرى رجالا عهدنا

هم مصابيح في ظلام الوجود

* * *

كان حلماً مجنحاً وسلاماً

قام بالحق والنظام السديد

كان ملكاً ما فيه من سطوة

الملك سوى العدل والإباء الوطيد

كان إشراقة الزمان وتاريخ

المعاني وحكمة المستفيد

كان ما كان وانطوت صفحة

المجد الى صفحة البلى والركود

وفي قصيدة (قال الحكيم) نجد تصويراً صادقاً لمعاناة شاعرنا إزاء النفوس الدنيئة قوامها القال والقيل والتمجيد والقُبل ازاء النفوس المضطربة بين جنباتها بالطمع والذل لتحقيق المآرب الشخصية الأمر الذي يؤدي الى فقدان الكثير من القيم السامية والمثل العليا بين أبناء المجتمع الواحد.

وقد بليت بعيارين تحسبهم

من الرجال وما في ثوبهم رجل

مطوفين على الأعتاب دينهم

القال والقيل والتمجيد والقبل

شبوا على الرجس من قول ومن عمل

وعالجوه وقد شابوا أو اكتهلوا

يستكبرون إذ اكبرتهم فجروا

ويستذلون إن أذللتهم وجلوا

لا دين يزجرهم كلا ولا خلق

بالفضل يأمرهم كلا ولا ملل

أولئك القوم ممن لا خلاق لهم

من الحياء وكم هانوا وكم هزلوا

تلك النفوس الدنايا ليس يشبعها

إلا التراب وإلا الطين والوحل

وشعر حسين عرب شعر موزون مقفى اتسم بالجمال والإيقاع وقائم على تجربة حية وثقافة واسعة فجاءت مقطوعاته الشعرية خالية من خفاء المعنى وأشكالية الغموض لذلك تجده يقول: الشعر فن وبحر له مد وجزر، وليس الشعر غمغمات من الكلام ولا هراء ولا وزر... اسمعه وهو يخاطب جميع العابثين بالشعر:

كل من شاء أن يعربد بالقول

تمطى وقال : شعر حر

ومضى يملأ الصحائف جهلا

جملا كلها هراء ووزر

سالكا مذهب الفرنجة فالجملـ

ـة بيت وكل حرفين شطر

أيها العابثون بالشعر لا التقليد

فضل ولا التفرنج فخر

القوافي لها رجال حريون بها

والقريض نشر وزهر

تتجلى به المواهب في ألوانـ

ـها عسجد ليل وتبر

والكلام الذي تقولونه يزري

بمن قاله ولا يستقر

فصفوه إن صح نثراً جميلا

أحرام على الجمال النثر

وأريحوا أو استريحوا فما

تصدر منكم الا غثاء وخسر

ولشاعرنا أكثر من نشيد نشر في الجزء الأول من ديوانه فله نشيد العلم، ونشيد الطيران، ونشيد الملك، ونشيد أمة العرب، ونشيد الجامعة العربية أما نشيد الجندية فقد فاز في المسابقه الشعرية التى أجريت في عام ١٣٥٨هـ ومطلعه:

يا جنود النصر أشبال الحمى

أن يغشى صدانا الأمما

فاملأوا الأرض زئيرا والسما

وانشدوا المجد وحيوا العلما

وتابع الشاعر حسين بن علي عرب المولود في

حي من أحياء مكة يعرف بـ (شعب عامر) قضايا أمته الإسلامية وتفاعل مع أبناء الشعوب العربية والإسلامية التى كانت تعاني الاحتلال والبطش من قبل الاستعمار الغاشم فنظم أكثر من قصيدة يحث القوم على التضامن والتكاتف في سبيل تحرير الأوطان مشيداً بماضي الأمة وبأسها.

فليعلم الغرب ولتشهد منابره

أن العروبة صرح راسخ الطنب

جذوره بطباق الأرض واثقة

وفرعه شامخ في مسبح الشهب

ترتد عنه الرياح الهوج كاسفة

مذعورة السير لا تلوى على سبب

ومن تقحم غاب الأسد أورده

غلابه حتفه وارتد بالعطب

وقد نال شاعرنا أكثر من وسام رفيع فهذه مصر كرمته ومنحته وسام الجمهورية المصرية من الدرجة الأولى للعلوم والفنون وفي مهرجان الجنادرية سنة ١٤٢٢هـ كرم بوسام الملك عبد العزيز والأستاذ/ عبد المقصود محمد سعيد خوجه، فقد كرم شاعرنا ثلاث مرات وذلك لدوره الرائد في الساحة الأدبية السعودية فالتكريم الأول جاء في داره سنة ١٤٠٣هـ حيث عرف شداة الأدب وجمع من الحاضرين مسيرته الأدبية التى بدأت في جريدتي صوت الحجاز وأم القرى حيث نشر في هاتين الصحيفتين قصائده المتميزه بالصدق ورقة العاطفة والطابع الإنساني، التكريم الثاني تم في داره ـ ضمن الاثنينية الأسبوعية سنة ١٤١٣هـ وذلك بمناسبة حصوله على وسام الجمهورية العربية الرفيع. أما التكريم الثالث تم في سنة ١٤١٨هـ وذلك بمناسبة تقليده وسام الملك عبد العزيز.

هذا وقد أقامت جامعة أم القرى والنادى الثقافي بمكة ونادى الوحدة الرياضي حفلات تكريم متواصلة للشاعر الوزير لحصوله على أوسمة رفيعة ثمينة وقد كان شاعرنا بحق أحد رواد الأدب في بلادنا وأحد الأدباء الذين تركوا بصمات واضحة في الفكر والثقافة. وكان للشاعر أمنية عظيمة هي أن يلقى ربه وهو في مكة المكرمة ويدفن بها وقد صاغ هذه الأمنية شعراً فقال:

يا واسع النعماء يا واهب المنى

أنر لي سبيلي في غيابي ومشهدي

تخيرت لي أم القرى موطنا

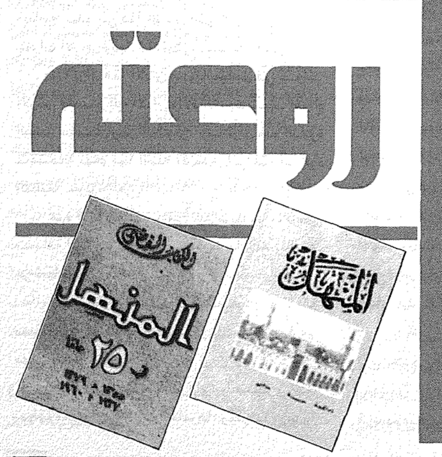
أقمت وما فارقته عن تعمد

وإني أرجو حسن خاتمتي بها

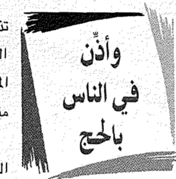
يكون بها قبري كما كان مولدي

لقد حقق الله رغبته إذ مات في مكة المكرمة ودفن في مقبرتها الشهيرة (المعلاة).

للقديم روعته



أسطر في الفن والابداع والكلمة المنتقاه.. نستخرجها من صفحات (المنهل) عبر عقوده الماضية.. نعيد قراءتها معاً.. نستعيد بها إبداع السالفين ممن مضوا.. والباقين ممن احتضنت المنهل أقلامهم.. ما أروع وأبدع وأجمل أن يقلب المرء صفحات ظنها طويت، وكم تكون القراءة الثانية أعمق دهشة من الأولى.



{وأذِّن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق}.

ما يزال هذا الأذان مدويا في الآفاق، تصيخ اليه الآذان؛ وتستمع اليه القلوب، فتستجيب له اقطار الارض، تبعث بافواجها تفيض بهم السُّبُل، ويحملهم البر والبحر والهواء صوب الارض المقدسة، شطر القطب الذى اليه تتوجه قلوب المسلمين؛ نحو مركز الدائرة الاسلامية الذى يدور حوله المسلمون وينتهون اليه.

{ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم؛ ربنا ليقيموا الصلاة، فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون}.

ما تزال هذه الدعوة مستجابة؛ جوابها هذه الزّمر ترسلها فجاج الارض من بقاع مختلفة، وأصقاع متنائيه؛ تهفو الى هذا الوادى الذى لا زرع فيه فيسيل بثمرات الارض وتجارة الأقطار، وصناعة الآفاق.

ما يزال هذا الأذان مدويا يجلجل في جوانب الارض فتصيخ إليه الآذان والأفئدة، وتستجيب افواج البشر ميممة أرض الحجاز. وما تزال هذه الدعوة مستجابة تهفو بها أفئدة المسلمين الى هذه الجزيرة العظيمة: جزيرة العرب.

هذه البواخر تمخر في اليم من ارجاء الارض، مشتاقة الى الحرمين؛ لا تبعد عليها غاية ولا يثنى من عزائمها هول.

وهذه الطائرات في أجواز الفضاء كالطير مسخرات في جو السماء؛ تطير بالشوق والحب الى مهوى الافئدة ومطمح الابصار.

وهذه السيارات تخد البرارى؛ والصحارى، تشق سهلها وحزنها وعامرها وغامرها، وجردها ووعثها؛ تذلل ما صعب، وتقرب ما بعد، عليها وفود البيت الحرام يجوبون الفلوات ويحتملون المشقات ويستسهلون كل صعب الى مقصدهم العظيم.

ثم هؤلاء المؤمنون الصابرون، أولو القوة والعزم؛ وأهل الجلد والصبر الذين لا يجدون ما يحملهم فتحملهم عزائمهم ويحملون أزوادهم وهمومهم - آمِّين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا. غير مبالين بالشقة البعيدة، والفيافي القاحلة، هازئين بالجوع والعطش؛ والحر والبرد، والنصب والجهد، فان ايمانهم وآمالهم وعزائمهم اوسع من كل صحراء، وأثبت من كل هول، وأحر من كل بيداء محرقة. تراهم في السبل يحملون ازوادهم وأولادهم راجلين بالليل والنهار لا يفكرون في شيء ولا يبالون بشيء الا المقصد العظيم والغاية الجليلة التى خرجوا اليها. انه الايمان الذى لا يتزعزع، والعزم الذى لا ينثنى، والصبر الذي لا يقهر.

ان البصر والخيال ليريان هذه القوافل تشق البر والبحر والهواء شهوراً متوالية لا تخلو ساعة من ليل أو نهار من قصاد الحجاز، حجاج البيت، وفود الارض المقدسة يحملهم الشوق على طائرة أو باخرة أو سيارة أو على الاقدام وانها لاحدى العبر.

يؤم هؤلاء الحجيج على اختلاف اقطارهم وألوانهم، الأرض التى نشأ فيها دينهم، وعاش فيها نبيهم، وولد تاريخهم، ويقصدون القبلة التى يتجهون اليها على نأى الدار وبعد المزار؛ وتخفق لها قلوبهم وتهفو إليها أفئدتهم.

يدخلون الى هذه البقاع وقد جمعهم توحيد الاسلام وربطت بينهم أخوته وأخلصوا دينهم لله وتجردوا من أزياء الأوطان، وشارات الاقوام سواء قريبهم وبعيدهم، ومشرقيهم ومغربيهم؛ وأسودهـ

وأبيضهم، وغنيهم وفقيرهم، وقويهم وضعيفهم؛ فانما هو التوحيد الخالص والاخوة الجامعة، والقلوب المؤتلفة والمقاصد المتفقة لا تشغلهم ديار ولا أهل، ولا تفرقهم منازع ولا عصبيات {**إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون**}.

هنا الاسلام الحق الذى وحد الله به عباده، وسوى بين خلقه وآخى بين عباده، انك لا ترى هنا اجساما ولكن معاني يجمعها كلها توحيد الله وأخوة المؤمنين.

ولو ترى هذه الوفود طائفين بالكعبة ليل نهار، مصلين حولها صباح مساء ولو تخيلت الجماعات الاسلامية من ورائهم متلاحقة متوالية وقلوبهم ووجوههم الى هذا البيت لتمثلت الامة الاسلامية كلها جماعة واحدة قائمة تصلى شطر البيت الحرام، وعرفت جلال هذا الدين، وعظمة هذا الحج، وحكمة هذه القبلة، وتوحد هذه الامة، وتبينت غفلة المسلم الذى لا يبصر هذه الجماعة؛ ولا يدرك هذه الاخوة ولا يقدر هذه الشعيرة بل غفلة المسلمين جميعا حين لا يبلغون بالحج مقصده ويسيرون به الى غايته من التأليف بين المسلمين، والجمع بينهم للائتمار بما ينفعهم، والتشاور فيما يحزبهم، والعمل لما يسعدهم في دينهم ودنياهم.

وتمثلهم وقوفا في عرفات حاسرين خاشعين ملبين داعين، تكاد تتفق خفقات قلوبهم اتفاق كلماتهم ونياتهم، تتمثل المسلمين كلهم في صعيد والاسلام جميعه في موقف، قد اجتمعت اوطان المسلمين في هذه البقعة؛ وحشر تاريخهم في هذه الرقعة، اليست هذه الوقفة تجمع شعوب الاسلام جميعها، اليس هذا الاجتماع حلقة في سلسلة من التاريخ أولها وقوف رسول الله {صلى الله عليه وسلم} مع اصحابه قبل سبع وخمسين وثلثمائة وألف سنة، قد اتصلت فيها حلقات لا تنقطع وعرى لا تنفصم حتى يومنا هذا، هنا الاسلام حاضره وماضيه «ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب».

إن هذا الحج لجدير أن يجرد المسلم من عصبياته وأهوائه؛ ويصفى نفسه، ويطهر قلبه ثم يربطه صافيا طاهرا بأخوانه ويؤلف بينه وبين أمثاله في جماعة المسلمين المؤتلفة وأخوة المؤمنين المحكمة، ولكن هذه الجموع المحتشدة من آفاق البلاد لا ييسر لها التعارف والتعاون إلا نظام محكم وخطة جامعة يتسنى بها التزاور والتعارف والاجتماع والتشاور في أمور المسلمين وأحوالهم.

فلابد أن يعمل المسلمون لهذا، ولابد أن يتهيأ لخاصتهم الاجتماع بعد الحج لينظروا في ادواء المسلمين ويطبوا لها؛ ويتعرفوا الصالح والفاسد من أمورهم فيتوسلوا الى حفظ ما صلح واصلاح ما فسد، ويطلعوا على المسلمين كل عام بالرأى السديد والدواء الناجع فيما يحزبهم في هذا العالم المضطرب الذى تمتحن فيه العقائد والسنن الاسلامية بالآراء الفاتنة، والمذاهب الضالة والفتنة الفاشية التى لا يثبت لها إلا من ثبته الله بعقل حكيم وخلق قويم.

ان المسلمين اليوم في غمرة من الفتن المحيطة، والمكايد المحدقة، والاهواء المضلة فلينظروا لانفسهم، وليسارعوا الى العمل لصون عقائد الاسلام وشرائعه وسننه وآدابه.

إن موسم الحج لأجدر المجامع ان ينتفع به المسلمون؛ وأنجع الوسائل للتشاور فيما يهمهم، والعمل لما ينجيهم، فليعملوا ثم ليعملوا والله يهيء لهم الرشد ويهديهم سواء السبيل.

(د. عبد الوهاب عزام)

المنهل/ المحرم ١٣٦٨هـ

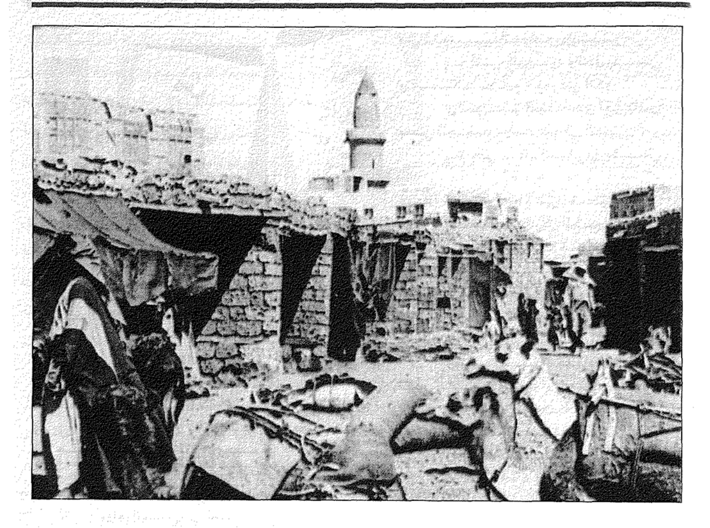
حول بيت الله الحرام ودين الاسلام

استجابة لرغبة صاحب هذه المجلة العزيزة رأيت أن أكتب ما تيسر - في هذه العجالة - عما لهذا البيت المعظم من فضائل. وذلك بمناسبة الحج المبارك وقد كنت بين اقدام واحجام إذ إن كتاب الله تعالى وكتب السنة فيهما ما يشفى غليل الظمآن ولكن مالا يدرك كله لا يترك جله، فأقول:

كانت اليهود غضب الله عليهم يفخرون في صدر الاسلام بأن معبدهم بيت المقدس هو اول قبلة أخرجت للناس ولكن القرآن يرد عليهم لأن الله تعالى قال: {إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين؛ فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا}، وفي ذلك ايضا حديث ابى ذر لما سأل النبي عن أول مسجد وضع للناس قال: المسجد الحرام. قال: ثم اى؟ قال بيت المقدس قال: كم بينهما؟ قال: اربعون عاماً وقد نقل عنه {صلى الله عليه وسلم} انه وقف ينظر مرة الى البيت الحرام وجملة من اصحابه عليهم الرحمة والرضوان يشهدون؛ فقال مخاطبا له: ما اعظمك ايها البيت عند الله، فترى رسول الله وهو اشرف خلق الله واكرمهم على الله واعلمهم بأمر الله ينبه على حرمة البيت وعظمته عند الله هذا ومن الواجب على من اسعده الله بجوار البيت تعظيمه باجتناب ما نهى الله عنه من محرمات واتباع ما امر الله به من الطاعات.. لا سيما وقد ورد عنه عليه السلام انه حين ولى عتاب بن اسيد على مكة قال له: «اتدرى على من وليتك؟ قال: الله ورسوله اعلم قال: وليتك على اهل الله فاستوص بهم خيراً».

هذا ومن فضائل الكعبة المعظمة ما ورد في كتب الفقه من انه يستحب للحاج دخولها وصلاة ركعتين فيها.

وفي سدانة البيت ورد في شرح صحيح البخارى ما يلى: «قال عثمان بن طلحة الحجبي طلب منى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قبل الهجرة ان يدخل الكعبة فنلت منه، فحملنى: وقال: «يا عثمان سترى المفتاح ذات يوم بيدى اعطيه لمن اشاء» فقال عثمان: لقد ذلت قريش .. فقال {صلى الله عليه وسلم}: بل عزت... فلما كان يوم الفتح ايقن عثمان ان ما وعد به رسول الله {صلى الله عليه وسلم} واقع لا محالة حتى قالت له والدته سأخفيه، فقال: اذا فعلت أقتل، واذا بعلى كرم الله وجهه ينادى: يا عثمان ائتني بالمفتاح فأخذه منه بقوة وقدمه الى رسول الله عليه الصلاة والسلام، فاعترض العباس النبي، فقال: افديك بأمى وأبى يارسول الله اضمم إلىّ السدانة مع السقاية.. فلم يجبه حتى فتح ودخل الكعبة المطهرة ومعه بلال رضي الله عنه فصلى بها ثم نزلت الآية الكريمة: {إن الله يأمركم ان تؤدوا الأمانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل إن الله نعمّا يعظكم به} الآية، فوقف {صلى الله عليه وسلم} على عتبة باب الكعبة المشرفة فتلا الآية الكريمة الآنفة الذكر.. فقال عمر رضى الله عنه: والله ما سمعت بهذه الآية قبل اليوم، فقال على رضي الله عنه أقبل يا عثمان ! لقد نزل في حقكم قرآن.. فقال عثمان الآن تأخذ المفتاح قسراً ثم تدعونى لأخذه.. فأقبل الى رسول الله وقال أشهد أن لا اله الا الله وانك محمد رسول الله، فقال رسول الله: خذوها يا بنى ابي طلحة



خالدة؛ وفي رواية: خذوها خالدة تالدة لا ينزعها منكم الا ظالم.. وفي رواية (خذوها وغيبوه وكلوا منه بالمعروف).

وهنا موضوع اسلامي له صلة بموضوع تعظيم الكعبة والطواف حولها والحج اليها والصلاة فيها واليها.. فقد سألني شاب مصري حين كنت بمصر قائلا: ما هي الفائدة لمن يؤدى الطاعات في هذه الحياة كالصلوات الخمس والصوم والحج ورمى الجمار؟.

فقلت له: اعلم ان الدين الاسلامى دين العقل غير انه ليس كل العقول تدرك اسرار حكمه أو أوامره ونواهيه.. وها انا اضرب لك مثلا بشىء محقق الفائدة ولكن فاعله لا يدرك حينما يقوم به تلك الفائدة، بل وانه ليراه حملا ثقيلا عليه بدون جدوى.. وذلك أنك اذا اردت ان يرتقى ابنك في مستقبل حياته، تقسره على ان يتعلم الحروف المقطعة اي حروف الهجاء، ويمكث مُعْنًى بحفظها مدة من الزمن ولا يدرك لها مَعْنًى ولا لهذا العمل المتعب فائدة، حتى اذا كبر وعقل أدرك حينئذ ما لتعلم هذه الحروف المقطعة التى كان لا يرى أتفه منها - أدرك ما لتعلمها من مزية باهرة فمنها تتركب جميع الكلمات والعبارات وبها تصدر الأوامر والنواهي كل ما يلزمنا اذن في اوامر الدين اذن هو التسليم والتصديق.

(الشيخ/ عبد الله الشيبي)

المنهل/ المحرم ١٣٦٨هـ

منهل الشعر



«قصيدة من روائع شعرنا الحديث الذى نعتز به كنتاج له قيمته في عالم الفن المجنح، صاغ قلادتها الذهبية الشاعر المحلق الاستاذ محمد احمد عيسى الجازاني احد اعلام شعراء الجنوب».

قبس من أشعة الحق قدسي
يتجلى على المشاعر يمسي
تتبارى فيه الملائك أطيافا
من النور بالتسابيح همس
جانحات بين المقام وجمع
في زفيف نحو الحطيم ولمس
فتجلت تلك البطاح تبارى
رونق الشمس في الضياء وتخسي

* * *

حين عج المكبرون وهلت
ألسن القوم من فصيح وخرس
أقبلوا مهطعين من كل فج
وعنوا خاشعين من كل جنس
رددته الجبال والقمم الشم
وفاض الخشوع في كل نفس

* * *

حسروا الهام خشية واحتسابا
رجوا الله في لفائف برس
بقلوب ترجو المثوبة حرى
ونفوس على رجائك حبس
في نقاء من الطهارة والنسـ
ـك يشيع السمو في كل حس
وفضاء مقدس الساح طهر
حرم لا يحل يوما لرجس
لملمت ذيلها الرياح احتشاما
وسعى الدهر في ثراه بهمس

من ثنياته وشم روابيـ
ـه أضيء الوجود والليل يغسي
وتعالت مطالع النور في الكو
ن تنير الهدى لجن وأنس
بسنى «احمد» وقد شع في الافـ
ـق على عالم العقول بشمس

* * *

فاذا الوحي سائغ الورد عذبا
سلسلا كالزلال للمحتسي
واذا مشرع الشريعة قد فا
ض على قادة العلوم بدرس
شرعة حقة ودين حنيف
دعم العدل والحقوق ببأس
ذاك بدر أنار والليل داج
وضياء جلى به كل لبس
نهض الشرق في سناه وقامت
دولة فوق قمة المجد ترسي
ملكت ساحل المحيطين قسرا
واحتوت قيصرا وثنّتْ بفرس

* * *

ليت شعرى أينصف الدهر قوما
طالما سُودُوا على كل جنس
أسسوا في مشارق الارض عرشا
عربيا وفي المغارب كرسى
كلما جال ذكرهم في ضميرى
كاد ان يغمر التخيل حسى
أبصر الفتح والجحافل تترى
وتخوما ما بين (صين) وسوس

* * *

وأرى دولة على الشرق عظمى
يحتويها الجلال فوق (الدرفس)
لم تشد مثلها على الدهر روما
في علاها ولم تهيأ لرمسى
وغزاة من الغطارفة الغر
غزوا الكون فوق خيل وقلس
نظموها ممالكا وتخوما
وحموها بكل درع وترس ..

(الشاعر/ محمد احمد عيسى الجازاني)

المنهل/ ذو الحجة ١٣٧٤هـ

من أسرار الحج

اجتمعتُ في موسم الحج الاكبر بحاج مستشرق ألماني قدم لتأدية الفريضة ونزل عند مطوفه احمد الحناوى فالقى عليه اسئلة تتعلق باسرار التشريع في مناسك الحج فاعترف المطوف بالعجز عن فهمها ولكن وعده بأن يجمعه بعالم ليجيبه عن هذه المسائل فكان أول سؤال ألقاه عليَّ، مسألة الرمل في الطواف والخبب في السعى وما سر ذلك؟ فأجبته بقولي: ان الاحكام الشرعية تنقسم الى قسمين، احكام حكمتها معروفة والسر فيها ظاهر، واحكام تعبدية والمتعبد الذى يؤدى عبادة يذوق سر تشريعها ويتعقل روح مشروعيتها، يذوق لها لذة روحية، وأما اذا أدى عبادة تعبدية لا يعرف لها سرا ولا يدرك لها حكمة مع انها في الواقع لا تخلو عن الحكمة فيكون أعظم امتثالا وأكثر أجرا، حيث انه ينقاد لأمر ربه واطاعة رسوله مسلما موقنا بالحكمة وان لم يعلمها وليس لنفسه حظ في فهم سر ذلك فهو كسيد له عبدان امرهما بأن يناولاه وسادة مثلا أما الأول فبادر بالامتثال وناوله مسرعا من غير سؤال، وأما الثاني فسأله عن سبب طلبه الوسادة فلما فهم سر أمره ناوله فكلاهما ممتثل أمر السيد غير أن الأول اكثر طاعة واكثر ثقة بحكمة سيده وأحظى عنده مكانة لمسارعته لامتثال أمر سيده ولم يمنعه ذلك من فهم امر سيده من بعد فجمع بين الامتثال للأمر لذاته والفهم.

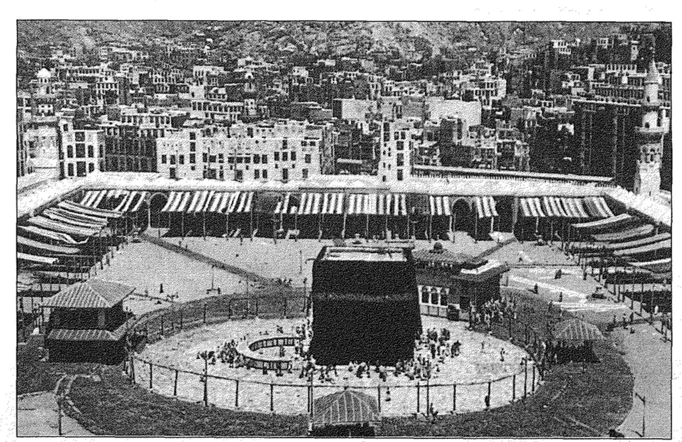
والطبيب لا يسأل عن سر الدواء فليس لمسلم أن يمتنع عن القيام بعبادة ثبتت مشروعيتها بأمر المعصوم الى أن يتذوق سر تشريعها بل يجب المبادرة ولا يمنعه ذلك من تفهم اسرارها بعد ذلك، فالواجب على العقل البشرى أن يخضع تحت سرادقات الربوبية حتى يجتبيه مولاه بالمحبة الخاصة فيكون سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به، فالطائف في رمله والساعى في خببه يصوران حالة العبد المسرع الى تلبية مولاه واطاعته ولو كان في ذلك خروج عن مراسم وقاره المألوف حبا في ارضاء سيده وتأكيدا لطاعته في ميدان العمل على أن في ذلك احياء وذكرى لحادثة هاجر حينما سعت تطلب الماء لابنها وتضرع الى ربها فنالت مطلوبها فهو يسعى حيث سعت وحيث استجاب الله لها ويتضرع الى ربه كما تضرعت ان التشبه بالكرام فلاح.

فرح بذلك وقال إنى سأخب وأرمل فقد ازيل الحجاب عن بصرى بهذا الجواب وسوف لا أتوقف عن أية عبادة مشروعة بعد الآن وان لم أعرف سرها غير أنني الزم نفسى بالسؤال عن سر تشريعها بعد القيام بها لأجمع بين الامتثال والفهم.

ثم سألنى عن رجم الجمرات وعن تقبيل الحجر الاسود وقال: كلها حجر لكن هذا يُقَبَّل وهذا يُرْمَى؟.

فقلت له في الجواب أن هذا تعبدى كما قدمنا الاشارة اليه وقد أشار الى هذا السر الفاروق رضى الله عنه حيث قال: «والله إنى لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله [صلى الله عليه وسلم] يقبلك ما قبلتك» فبين أن السبب في ذلك الامتثال بين الفرق بين عبادة الحجر التى كانت لدى المشركين باعتقاد ضرره ونفعه الذاتيين وبين تقبيله المشروع اتباعا له صلى الله عليه وسلم واقتداء بسنته النبوية، وكذلك رمى الجمرات عبادة تعبدية يجب تعظيمها، والمسارعة اليها من تقوى القلوب لأنها تعظيم

للشعائر ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «خذوا عني مناسككم» هدما لقواعد الجاهلية واحياء للملة الابراهيمية وحضا على ملازمة العبادات التعبدية فنحن نرمي كما رمى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لنذعن نفوسنا لاتباع شريعته والاقتداء به حيث انه السفير المصطفى بين الحق والخلق والاسوة الحسنة والقدوة الصالحة والخليفة الرباني في الارض سيد العباد وجوهرة الكون وواسطة عقد الانسانية الذى يتلقى علمه وتعاليمه من لدن حكيم عليم ولا شك أن الملل السماوية فيها بيان الخير ليرغب فيه والشر ليجتنب وكل شريعة اقامت لذلك رموزا تأخذ النفس البشرية منه درسا شيقا محسوسا حتى يتجاوب في جنباتها الايمان الكامل، فجعل الحجر الاسود رمزا للخير يقبل ويلمس ويستلم ويتبرك به لأنه من الجنة وهو مبدأ لعبادة الطواف وأثر رباني خالد وآية بينة باقية تشعر النفس حينئذ بعظمة الجنة وهو يمثل الحجر الاساسي في أول بيت وضع لعبادة الله تعالى وحده، والراية مع كونها ثوبا وخشبا الا أنها رمز لمجد الامة يموت الجنود تحتها بطيب نفس للمعنى السامي الذى ترمز اليه، وأما موضع الرمى فهو رمز للشر حيث وقف ابليس للخليل أولا ليرده عن ذبح ابنه الذى رأى في نومه أنه يذبحه، ورؤيا الأنبياء وحي، فلما أخفق سعيه ويئس من الخليل تعرض لاسماعيل فلما رآه منقادا لطاعة ربه ووالده وقد امتلأ ايمانا من قرنه الى قدمه عاد في الثالثة فتعرض للأم فوجدها قد سلمت أمرها للعزيز العليم وهى تقول لو أمر ابراهيم بذبح نفسه لما تأخر عن ذلك طرفة عين، جعل الشارع هذه الاماكن الثلاث رموزا للنفس لتبتعد عن مكان من عصى ويبادر الجمرة بالحصى فيكون ذلك درسا لهذا خاصة، وقد علم أن الرجم في الملل السابقة لا يكون الا لمن كان



مبغوضا، قال تعالى حكاية عن نوح {واني عذت بربي وربكم أن ترجمون} وقال تعالى عن قوم شعيب {ولولا رهطك لرجمناك} فالرجم معروف في الملل السابقة فكيف ينكر مشروعيته في الاسلام.

هذا ولما كان الرمى فيه خضوع النفس لبارئها فيرتفع عنها حجاب الرعونات البشرية استجيب لها الدعاء فطلب الدعاء عند رمى الجمرة الاولى والوسطى على أنه قد يكون في هذا الرمى اشارة الى أن الشارع يحث على تعلم الرمى واصابة الهدف فحيث أصابت الرمية مجتمع الحصى فتعتبر شرعا وان لم تصب فلا، فالاسلام انما يريد يدا رامية مصيبة لأهدافها ذابّة عن دينها معلنة طاعة بارئها فيكبر عند كل حصاة تعظيما لأمر مولاه.. الا أن القوة الرمي.

قال تعالى {وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة} وقد تشعر النفس بفيض روحاني وعطف رباني فتتذكر قوله تعالى في وصف النار: {وقودها الناس والحجارة}، فترجو أن تكون هذه الحصيات السبع على أبواب النار السبع فتكون لها حجابا من النار وفضل الله واسع فلذلك أكثر أسباب الرحمة لعباده ومن هنا تعلم أنه اذا امتثل الحاج ورمى بدافع الايمان والامتثال كان ذلك سببا لتكفير سيئاته وهو سر قوله {صلى الله عليه وسلم}، «وأما رميك الجمرات فلك بكل حصاة تكفير كبيرة من الموبقات».

فاقتنع الرجل وانصرف شاكرا وأدى مناسكه تامة مطمئنا قلبه بايمان فياض، وقال لى انى سألقى في هذا محاضرات باللغة الالمانية لأدافع عما صوب من مطاعن وشبهات من أعداء الاسلام الى صميم هذه العبادة ألا وهي الحج وكان عند امتناعه أول الأمر قال للمطوف ألست تعد دليلا فلابد أن تشرح لى سر هذه المناسك ولا أعمل شيئا الا اذا عرفتنى سره وحكمته وقد حمدت الله على ذلك.

ولمكانة هذه العبادة الا وهى رمى الجمرات حيث أنها تؤذن بمحض العبودية وخالص الامتثال نص الشارع الحكيم على رفع حصيات الرامين من المستوى الارضى الى الملأ الأعلى ايذانا بالقبول، ففى حديث ابن عمر عن النبى {صلى الله عليه وسلم} المقبول: من رفع حصاه ويدل على ذلك قوله {صلى الله عليه وسلم} «إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه» قال ابن عمر رضى الله عنهما: «ولولا ذلك لسدت ما بين الجبلين.. ولبعض العلماء:

وأى منى خمس فمنها اتساعها
لحجاج بيت الله لو جاوزوا الحدا
ومنع حداة من تخطف لحمها
ورفع الحصى المقبول دون الذى ردا
ومنع ذباب لا يقع في طعامها
وقلة وجدان البعوض بها عدا

وهنا يقف العقل البشرى متحيرا حيث الحجيج قد يبلغون مليونا ويرمون جمرة العقبة في حوض مجتمع حصاها وهو نصف دائرة هلالية ثلاثة أيام أو أربعة وهى أيام منى ثم يصدرون من منى وذلك قد شارف الامتلاء في حين أننا لو جمعنا حصيات مليون رجل يرمى بها في يوم واحد فقط لم يقبل العقل أن يسعه نصف دائرة حوض كهذا فهذا علم من أعلام النبوة ومعجزة صادقة وآية خارقة تجاوزت التفلسف الى مستوى الايمان والتسليم فسبحان العزيز الحكيم.

(فضيلة السيد/ علوى بن عباس المالكي)

المنهل/ ذو الحجة ١٣٧٩هـ



الرحالة المسلمون

شذرات الذهب

من أجمل ما يطالع الإنسان في المكتبة العربية ما كتبه الرحالة المسلمون في أسفارهم التى أصبحت من أهم مراجع التاريخ الاسلامي، لأن الرحالة في حقيقة أمره كاتب يوميات يسجل ما تقع عليه عينه من الغرائب والأحداث، وفي هؤلاء الكاتبين من يمتد بصره الى أبعد من التسجيل، فينقد ويعترض، ويضيف إحساسه الذاتي في كل ما يسطر من الأنباء.

وقد ألف الدكتور زكى محمد حسن كتابا قيما تحت عنوان (الرحالة المسلمون في العصور الوسطى) كان بمثابة طاقة زاهرة جمعت شتى صنوف الورد العاطر، لأنه قرأ كتب الرحلات، واختار منها ما لفت نظره ممهدا ومعقبا، وأنا الآن أنقل الى القارىء بعض ما جاء في كتاب الدكتور زكى محمد حسن ليتمتع بفرائده، وكان المؤلف عميداً لكلية الآداب القاهرية، وعلماً من أعلام الفن الاسلامى إذ أصدر من المؤلفات الأثرية ما جعله مرجعا ذا وثوق.

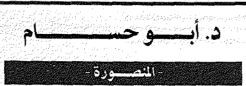
(عن المسعودي)

نقل المؤلف عن المسعودى الجغرافي الذي طاف بأكثر جهات المعموره المعروفة في عصره، فسافر الى الصين والهند وسيلان وسواحل إفريقية وآسيا الصغرى والشام والعراق ومصر، نقل عنه ما شاهده في المحيط الهندى من الأهوال، وقد قال بصدد ذلك: وقد ركبتُ عدة من البحار كبحر الصين، والروم والقلزم وأصابنى من الأهوال مالا أحصيه لكثرته، فلم أشاهد أهول من بحر الزنج، وفيه السمك المعروف بالأوال وطول السمكة نحوٌ من أربعمائة ذراع، والأغلب العام في السمك أن طوله مائة ذراع، وربما ظهر في البحر فيظهر طرف من جناحه فيكون مثل القلاع العظيم وربما تظهر رأسه وينفخ الصعداء بالماء فيذهب الماء في الجو أكثر من ممر السهم، والمراكب تفزع منه بالليل والنهار، وتضرب له بالدبادب والخشب ليفرّ من وجهها .

(ناصر خسرو)

أما ناصر خسرو فرحالة فارسى، وقد نشأ نشأة مترفه، وبلغ مبلغاً رائعا فيما تولاه من مناصب الدولة وكان في شبابه الأول ذا مجون ولهو، فسافر لتأدية الحج ليكفر عن أخطائه، ويرجع تائبا، ولكنه عشق الرحلة فطاف بأكثر أرجاء المعموره.

ومن طرائفه التى ذكرها عن مصر أن التجار كانوا يلتزمون بالسعر المحدد الذى تعينه الدوله، وإذا ثبت أن أحدهم تجاوز ذلك، فإنه يركب جملا ، ويوضع في يده جرس يدقه، ويُطاف به في البلد، ويرغم على أن يقول بأعلى صوته، لقد غششت في السعر، وهأنذا



ألقى عـقـابى، جـزى الله الخـائنين، ومما لاحظه أن التـجار كانوا يبيعون البضـائع في أكياس يعطونها للمـشـترى، وهـى من السـعـة بحـيث تحـمل الزجـاج والأوانى الخـزفـيـة، وليس على المشـترى أن يبـحث عن شىء يضع فيه ما يشتريه.

أما ما رآه في إقليم الإحساء من بلاد العرب فقد كان مـجال دهشته وإعجابه معاً، حيث قال: ومما رأيته أنه إذا أعسـر أحد السكان وضاقت به الحال، أقرضـه الجيران سريعاً ليستعين بالقرض على تدبير أموره، وأن الغـريب الذى يصل الى الإحـسـاء وليس مـعـه مـال يأخـذ مـالا يستعين به على أداء حـرفـة يستطيع الا ستزاق منها، وإذا تهدمت دار أو محل تجارى، وعجز صـاحب الدار عن إصـلاحـهـا فإن حكام البلد يجـعلون العبيد يقيمون البناء دون أجر ما، وللحكومة مطاحن يطحن فيها الناس قمحهم بالمجان، ويعيش الجميع في تكافل اجتماعى حميد.

وفي البـصـرة شـاهد نـاصـر خـسـرو أسـواقـهـا الثـلاثة، وهي تقـام في اليـوم الواحـد، ليـجـد المشـترى مـجـالا لاختيـار مـا يبـاع بالثـمن الرخـيص، وكثـير من رواد هذه الأسـواق يُودعـون أمـوالهم عند أصـحـاب المصارف المالية، ويأخذون إيصالات تتيح لهم التعامل النقدى دون أن يحملوا المال، وعلى البائع أن يذهب الى المصرف ليأخذ قيمة الإيصال، وهذا من أسبق ما عرف من النظم المالية في الزمن البعـيد، كمـا أنه رأى في بعض المدن بأصفهان أن المرأة مُحرم عليها أن تخاطب غيـر زوجـهـا أو أبيـهـا أو أخيـهـا، فـإذا جـاوزت ذلك فجزاؤها القتل.

أما ركوب الخيل في مصر فكان وقفاً على الجند والمتصلين بالجيش، والجـمـهـور يركب الحـمـيـر ولكنهـا مزينة بسروج جميلة، ولها جماعة تؤجرها للناس حسب مـا يشـاءون، إذ شـاهد في الفسطاط والقاهرة خـمسين ألف حمار معدة للتأجير يقف بها أصحابها في مداخل الشوارع والأسواق.

(أسامة بن منقذ)

هو الأمير السـورى الشـهير بمؤلفاته شعرا ونثرا، والقائد البطولى في ميادين القتال، كان كثير الرحلات الى مصر والشام وبلاد الجزيرة وأرض العرب، ومع أنه لم يبـرح الوطن العـربي فـإنه سـجل نوادر تاريخـيـة وسياسية واجتماعية تجعل كتابه (الاعتبار) ذا محلّ كريم بين المؤرخين.

كـان أسـامـة يعـجب بشـجـاعـة الأفرنج، ولكنه لا يؤمن بكمال عقولهم وشدة حميتهم، يكون الرجل منهم - كمـا قـال - يمشى هو وامرأته فيلقاه آخر يأخذ المرأة ويعتزل بها ويتحدث معها، والزوج واقف ناحيته ينتظر فراغها من الحديث ، فاذا طولت عليه تركها ومضى ، وقد جاء رجل منهم فوجد امرأته على الفراش مع رجل غريب ، فقال له : أي شيء أدخلك على امرأتي ؟ فقال كنت تعـبـان وجلست أسـتـريح، فـقـال كيف نمت على فراشي ؟ فـقـال : وجـدت فراشـا فنمت عليـه . فـقـال والمرأة نائمة مـعك ؟ قال : الفراش لها فـهل كنت أقدر على منعها منه ؟ فقال الزوج : وحق ديني لو عدت ثانية لتخاصمت معك ..فكان هذا مقدار غضبه وحميته!!

كما كان أسامة يتهكم بجهل بعض الأطباء من النصارى ، فتحدث عن حاكم صليبي هو صديق لعمه، فـقـال: كتب الحـاكم إلى عـمي يطلب منه إيفـاد طبيب يداوى بعض المرضى من بلده، فأرسل إليه عمي طبيبا نصرانيا، فسار ورجع بعد وقت يسير، فقال له عمي، مـا أسـرع مـا داويت المرضى، فـقـال: أحـضـروا عندي فـارسـا قـد طلعت في رجله دملة، وامـرأة قـد لحـقـهـا هبـوط، فـعـملت للفـارس لبـخـة فـتـحت الدمل وصلح،

وحميت المرأة، وأزلت تعبها، فجاء طبيب إفرنجي وقال: هذا ما يفهم شيئا في الطب، ثم سأل الفارس: أتحب أن تعيش برجل واحدة أو تموت برجلين، فقال : أحب أن أعيش برجل واحدة، فقال أحضروا إليّ فارساً قويا ومعه فأس، فحضر الفارس والفأس، وأنا حاضر ـ فحط ساقه على فرمة خشب، وقال للفارس: اضرب رجله بالفأس ضربة قوية، فضربه كما أمر بشدة قوته فقطع الرجل، ثم ضربه ضربة ثانية فسال مُخّ الساق ومات الرجل، وأبصر المرأة فقال: هذه امرأة في رأسها شيطان قد عشقها، احلقوا شعرها فحلقوه، وعادت تأكل من مآكلهم، فقال الشيطان دخل رأسها، وأخذ الموسى وشق رأسها حتى بان عظم الرأس، فدعكه بالملح، فماتت المرأة، فقال الطبيب الذى أرسله أسامة: أبقيت لكم حاجة إليّ؟ قالوا: لا، فرجعت متعجبا!!.

وقد أكثر أسامة من ذكر أعمال من البطولة للمرأة العربية، وما تقوم به من الطهى الجيد، والتنظيف للأسلحة والأوانى، ودوّن عن الطبيب ابن بطلان عجائب في معرفة الأمراض وطرق علاجها، كما روى نبذاً كثيرة عن شجاعة والده وأعمامه، ومواقف رائعة لنور الدين زنكى وصلاح الدين الأيوبي مما يجعل كتاب الاعتبار سجلا حافلا لتاريخ حقبة خطيره من الزمان.

(سلطان مالى)

ومن غرائب الرحلات ما ذكره القلقشندى في صبح الأعشى عن السلطان محمد بن فو المتوفى سنة ٨٢١هـ حيث هم بركوب المحيط الأطلسي مكتشفا غرائبه، وقد سبق بذلك مكتشفى أوربا.

فقد حكى الملك منسا موسى بن أبى بكر حين مرَّ بمصر قاصدا الحج، واستقبله الناصر محمد بن قلاوون استقبالا رائعا، حكى الملك أن السلطة قد انتقلت إليه بعد رحلة ابن عمه السلطان محمد بن فو حيث كان يظن أن المحيط الأطلسى له غاية تدرك، فجهز مئات من السفن، وشحنها بالرجال والمؤن التى تكفيهم سنين، وأمرهم أن يسيروا في المحيط وأن يصلوا إلى نهايته، ولا يرجعوا حتى يعلموا حقيقة منتهاه، فغابت السفن مدة طويلة، ثم عادت سفينة واحدة، ومَثُلَ قائدها بين يدى السلطان، فسأله عن أمر زملائه، فقال إن السفن سارت زمنا طويلا ثم عرض لها موج شديد فابتلع السفن، ولم تنج غير هذه السفينة التى قدمت بها إليك ، ولكن السلطان لم يصدق هذا الكلام، وأعد سفنا أخرى للبحث، واستخلف ابن عمه الذى روى هذه القصة فكان ذلك آخر العهد به.

(عبد الباسط الظاهري)

كان من أبناء الأمراء، ولكنه اشتغل بالعلم والأدب، ورحل الى بلاد تحدث عنها في كتاب (الروض الباسم)، وتوفى في المائة التاسعة من الهجرة.

وقد روى قصة تدل على أهوال قطاع الطريق، حيث كانوا يسلبون التجار والمسافرين دون رحمة، ومما حدث في هذا المجال أن جمعاً من التجار باعوا بضاعة في فاس ورجعوا ومعهم مال كثير، فخافوا هؤلاء القتلة ولجأوا إلى الحيلة فشروا حميرا، وجعلوا فوقها أخراجاً تحمل النقد، وجاءوا بعباءات قديمة فجعلوها غطاء للأخراج وجاءوا بالدم من الحيوانات المذبوحة فجعلوا يلطخون أوجههم وأرجلهم وأيديهم به، ويوهمون الناس أنهم مجذومون أصابهم الجذام، وأن الحمير تحمل زادهم وملابسهم، فحين سمع القتلة ذلك صدقوا القول وخافوا على أنفسهم من العدوى وأخذوا يبتعدون عنهم، وكلما مرّوا بأحد هؤلاء السفاحين أظهروا الدم في الأيدى والأرجل فجعل يبتعد ويخاف عدواهم، ومازالوا كذلك حتى وصلوا آمنين.

هذه طرائف من كتب الرحلات ولم ننقل شيئا عن ابن جبير وابن بطوطة لأن رحلتيهما ذائعتان مشهورتان.

كل عام
وأنتم بخير

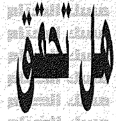
الكشاف السنوي

لموضوعات مجلة المنهل
للعام
١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤-٢٠٠٥م
المجلد ٦٦ - العام ٧٠

الموضـــــوع	الكاتـــب	١٤٢٥هـ-٢٠٠٤/٢٠٠٥م	العدد	ص/ص
* أدب عـام				
السعادة الحقيقية بين القرضاوي وأبي ماضي	عون معين القدومي	ذو القعدة وذو الحجة/ ديسمبر ويناير	٥٩٤	١٣٠ ـ ١٣١
** خواطر أدبية				
أحماض أدبية (٢٨) الأسرار الدفينة في المكنسة الثمينة	د. أحمد عطية السعودي	المحرم وصفر / مارس وابريل	٥٩٠	٥٦ ـ ٥٩
أحماض أدبية (٢٩) القنبلة الموقوتة في السمنة المقوتة	د. أحمد عطية السعودي	الربيعان / مايو ويونية	٥٩١	٩٨ ـ ١٠١
أحماض أدبية (٣٠) الصواعق المرسلات على متعاطي المخدرات	د. أحمد عطية السعودي	الجمادان / يوليو وأغسطس	٥٩٢	٧٠ ـ ٧٣
أحماض أدبية (٣١) روائح البصل في شهر العسل	د. احمد عطية السعودي	رمضان وشوال/ أكتوبر ونوفمبر	٥٩٣	١١٢ ـ ١١٦
أحماض أدبية (٣٢) العور والعمى في العولمة	د. احمد عطية السعودي	ذو القعدة وذو الحجة/ ديسمبر ويناير	٥٩٤	٩٦ ـ ٩٩
أفول شمس الحضارة	عيسى جحلاوي	الجمادان / يوليو وأغسطس	٥٩٢	٢٣
الحج في أدب الرحلات	عبد الله بن حمد الحقيل	ذو القعدة وذو الحجة/ ديسمبر ويناير	٥٩٤	٢٦ ـ ٣٣
شذرات الذهب (٧٩) سيرة احمد بن أبي طولون	د. أبو حسام	المحرم وصفر / مارس وابريل	٥٩٠	١٥٠ ـ ١٥٢
شذرات الذهب (٨٠) كتاب (ثمار القلوب) للثعالبي	د. أبو حسام	الربيعان / مايو ويونية	٥٩١	١٤٨ ـ ١٥٠
شذرات الذهب (٨١) كتاب الشخصية	د. أبو حسام	الجمادان / يوليو وأغسطس	٥٩٢	١٥٤ ـ ١٥٧
شذرات الذهب (٨٢) الطرائف	د. أبو حسم	رمضان وشوال/ أكتوبر ونوفمبر	٥٩٣	١٦٨ ـ ١٧١
شذرات الذهب (٨٣) الرحالة المسلمون	د. أبو حسام	ذو القعدة وذو الحجة/ ديسمبر ويناير	٥٩٤	١٤٨ ـ ١٥٠
** دراسات أدبية ونقدية				
اثبات الذات في الشعر الحر بين السيّاب ونازك الملائكة	د. يوسف عز الدين	الجمادان / يوليو وأغسطس	٥٩٢	٦٤ ـ ٦٩
بواكير الحركة التنويرية في الأدب العربي الحديث	د. زهير شليبه	الربيعان / مايو ويونية	٥٩١	٤٦ ـ ٦٣
الجبل في الشعر الجاهلي بين الواقعي والتخييلي	ابراهيم أمغار	رمضان وشوال / أكتوبر ونوفمبر	٥٩٣	١٢٦ ـ ١٣٣
خطر التبعية في مجال النقد (١ ـ ٣)	د. مصطفى عبد الواحد	الجمادان / يوليو وأغسطس	٥٩٢	٥٢ ـ ٦٣
خطر التبعية في مجال النقد (٢ ـ ٣)	د. مصطفى عبد الواحد	رمضان وشوال / أكتوبر ونوفمبر	٥٩٣	٧٦ ـ ٨١
خطر التبعية في مجال النقد (٣ ـ ٣)	د. مصطفى عبد الواحد	ذو القعدة وذو الحجة/ ديسمبر ويناير	٥٩٤	٤٠ ـ ٤٧
العقاد وملامح المنهج النفسي	د. سعيد بو عيطة	المحرم وصفر / مارس وابريل	٥٩٠	٣٨ ـ ٤١
المسرح السياسي واشكالياته	عبد الرحمن حمادي	رمضان وشوال / أكتوبر ونوفمبر	٥٩٣	١٣٦ ـ ١٤٣
المسرح والفنون الأدبية الأخرى	د. زياد الحكيم	المحرم وصفر / مارس وابريل	٥٩٠	٧٦ ـ ٨١
مفهوم العلم في العقل العربي	د. على القاسمي	المحرم وصفر / مارس وابريل	٥٩٠	٤٢ ـ ٥٥
المنحى التنصيري في روايات جورجي زيدان التاريخية	د. سعيدة عبد الخالق	ذو القعدة وذو الحجة/ ديسمبر ويناير	٥٩٤	٨٠ ـ ٨٤
النص وظاهرة الفراغ والانضغاط الملفوظي	عبد الرحمن مشنتل	ذو القعدة وذو الحجة/ ديسمبر ويناير	٥٩٤	٥٠ ـ ٦١
هكسلي يفضح مخططات الصهيونية	د. نصر عطواني	الجمادان / يوليو وأغسطس	٥٩٢	٨٦ ـ ٩٥
** شـعـر				
أغرودتي الشرود	د. حليم الجندي	رمضان وشوال / أكتوبر ونوفمبر	٥٩٣	١٦٠
الأمة الاسلامية في مواجهة التحديات	الشريف عبد الله صالح	الجمادان / يوليو وأغسطس	٥٩٢	٤٨ ـ ٤٩
إنني الى ملأ الهداية انتمي	يس الفيل	رمضان وشوال / أكتوبر ونوفمبر	٥٩٣	٣٦ ـ ٣٧
تباريـــح	كمال الدين سر الختم	ذو القعدة وذو الحجة/ ديسمبر ويناير	٥٩٤	١٢٨
حمامة الأيك	سالم بن رزيق بن عوض	رمضان وشوال / أكتوبر ونوفمبر	٥٩٣	٧٤ ـ ٧٥
الحنين الى مكة	محمد زيدان	ذو القعدة وذو الحجة/ ديسمبر ويناير	٥٩٤	١٢٤
خَلَت في القلوب	محمد بن حمود الرحيلي	الربيعان / مايو ويونية	٥٩١	١٣٥ ـ ١٣٦

الموضـــــوع	الكاتـــب	١٤٢٥هـ-٢٠٠٤/٢٠٠٥م	العدد	ص / ص
الموارد الطبيعية الحيّة الى أين ؟	رجب سعد السيد	المحرم وصفر / مارس وابريل	٥٩٠	١٠٨ _ ١١٣
★ التراجم والشخصيات				
ابن النقيب .. شاعر الطبيعة الدمشقي	غادة الشريف	المحرم وصفر / مارس وابريل	٥٩٠	٦٠ _ ٦٩
أدباء من الخليج العربي (١٦) د. سلطان سعد القحطاني	عبد الله بن أحمد الشباط	الربيعان / مايو ويونية	٥٩١	١٢٦ _ ١٢٧
أدباء من الخليج العربي (١٧) د. حسن رشيد	عبد الله بن أحمد الشباط	الجمادان / يوليو وأغسطس	٥٩٢	١٣٨ _ ١٣٩
الأديب المتحضر/ الاستاذ النبيه الأنصاري	د. يوسف عز الدين	الربيعان / مايو ويونية	٥٩١	١٣٤ _ ١٣٥
أصداء صدور مجلة المنهل في المدينة المنورة	د. محمد العيد الخطراوي	الجمادان/ يوليو وأغسطس	٥٩٢	١٠٨ _ ١١١
حسين عرب / شاعر أم القرى	عثمان محمد مليباري	ذو القعدة وذو الحجة/ ديسمبر وينايرr	٥٩٤	١٣٤ _ ١٣٧
د. حسين مؤنس بين تواريخ قريش والمغرب والأندلس	فاروق صالح باسلامه	ذو القعدة وذو الحجة/ ديسمبر ويناير	٥٩٤	١٠٠ _ ١٠٣
دمعة ماضية .. ودمعة آتية	نادر صلاح الدين	الربيعان / مايو ويونية	٥٩١	١٣١ _ ١٣٢
راسين .. شاعر العواطف الانسانية	د. طاهر تونسي	المحرم وصفر / مارس وابريل	٥٩٠	١٣٤ _ ١٣٧
رحلة في الذاكرة (٦٤) الحبُ الأول	د. محمد رجب البيومي	الربيعان / مايو ويونية	٥٩١	١٢٠ _ ١٢٥
رحلة في الذاكرة (٦٥) شجون صديق	د. محمد رجب البيومي	رمضان وشوال / اكتوبر ونوفمبر	٥٩٣	١٢٢ _ ١٢٥
ريادة الأنصاري في الرسائل الجامعية	د. عبد الباسط احمد حموده	الجمادان / يوليو وأغسطس	٥٩٢	١٠٢ _ ١٠٦
شاعر البحرين (ابراهيم العريض)	عثمان محمد مليباري	المحرم وصفر / مارس وابريل	٥٩٠	١١٦ _ ١١٨
مبارك بن سيف آل ثاني وعناق الخليج	حسن علي الهنداوي	رمضان وشوال / اكتوبر ونوفمبر	٥٩٣	٦٢ _ ٧٣
المنهل ورحيل فارس الصحافة الأدبية	د. عبد الباسط حمودة	الربيعان / مايو ويونية	٥٩١	١٢٨ _ ١٣٠
نبيه الأنصاري .. رجل الصحافة والوفاء	منصور بن حسين عطار	الربيعان / مايو ويونية	٥٩١	١٣٦
نبيه الأنصاري .. وداعا	د. محمد عبد المنعم خفاجي	الربيعان / مايو ويونية	٥٩١	١٣٢ _ ١٣٤
نظرات في فكر الشيخ محمد المبارك	فاروق صالح باسلامه	الربيعان / مايو ويونية	٥٩١	١٢٨ _ ١٤٣
ونجل (نبيه) .. يسمى (زهيرا)	عبد الله بن ناصر العويد	الربيعان / مايو ويونية	٥٩١	١٣٧
★ التربية والتعليم				
أثر استخدام الحاسوب على تحصيل الطلبة	خالد عطية ضيف الله	الربيعان / مايو ويونية	٥٩١	٨٠ _ ٨٧
علم النفس التربوى .. والتحصيل الدراسي	د. مولاى المهدى هيبه	الربيعان / مايو ويونية	٥٩١	٧٠ _ ٧٩
في المنهج وخصائص التفكير والبحث العلمي	د. شلتاغ عبود	المحرم وصفر / مارس وابريل	٥٩٠	١١٩ _ ١٢٣
لغة الطفل في السنوات الخمس الأول	د. زياد الحكيم	ذو القعدة وذو الحجة/ ديسمبر ويناير	٥٩٤	١٠٦ _ ١٠٨
المسألة التعريبية في الوطن العربي	فريد أمعضشو	ذو القعدة وذو الحجة/ ديسمبر ويناير	٥٩٤	١١٠ _ ١١٧
★ ثقافة عامة				
أحلام النوم واليقظة وهم .. أم حقيقة ؟!	د. عبد الرحمن محمد العيسوى	المحرم وصفر / مارس وابريل	٥٩٠	٨٦ _ ٩١
الانتحار .. العدوان على الذات	د. فرح فلاح الخواجة	الربيعان / مايو ويونية	٥٩١	٩٤ _ ٩٧
بلد الرافدين	ابـو كريـــم	رمضان وشوال / اكتوبر ونوفمبر	٥٩٣	١٣
الحكومة الالكترونية	سعيد الجبريل	المحرم وصفر / مارس وابريل	٥٩٠	١١
الخيول العربية الأصيلة في تونس	محمود الحرشاني	الربيعان / مايو ويونية	٥٩١	١٠٨ _ ١١١
القتل .. صناعة يهودية لماذا قتلوا الشيخ احمد ياسين؟!	أبــو أحمــد	الربيعان / مايو ويونية	٥٩١	١٠ _ ١١
قلت وقال : عن الارهاب	د. عبد الرحمن الانصاري	الجمادان / يوليو وأغسطس	٥٩٢	٦ _ ٧
الكتابة في عصر النبوه	معصوم محمد خلف	ذو القعدة وذو الحجة/ ديسمبر ويناير	٥٩٤	١٢٥ _ ١٢٧
المرأة .. إلى أين ؟	أم بهــــاء	المحرم وصفر / مارس وابريل	٥٩٠	١١

الموضـــــوع	الكاتـــــب	١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤/٢٠٠٥م	العدد	ص / ص
الفروق في اللغة (٢٩) الفرق بين اللهو واللعب	د. ياسين بن ناصر الخطيب	الربيعان / مايو ويونية	٥٩١	١٢٠ ـ ١٢١
الفروق في اللغة (٣٠) العيب والرداءة	د. ياسين بن ناصر الخطيب	الجمادان / يوليو وأغسطس	٥٩٢	١٣٤ ـ ١٣٥
الفروق في اللغة (٣١) خلق وبدع	د. ياسين بن ناصر الخطيب	رمضان وشوال / اكتوبر ونوفمبر	٥٩٣	١١٨ ـ ١٢١
الفروق في اللغة (٣٢) الاصنام ـ الاوثان ـ الأنصاب والازلام	د. ياسين بن ناصر الخطيب	ذو القعدة وذو الحجة / ديسمبر ويناير	٥٩٤	
★ للقديم روعته				
(الصحافة والفن والحياة العامة)	حسين عرب	المحرم وصفر / مارس وابريل	٥٩٠	١٥٤
(الكتب والصحف التى أنصح الناشئة بمطالعتها)	حمد الجاسر	المحرم وصفر / مارس وابريل	٥٩٠	١٥٥
(ما هو أثر الادب الحديث في هذه البلاد)	محمد حسين زيدان	المحرم وصفر / مارس وابريل	٥٩٠	١٥٦
(هل الحروب تطوى الحضارات ام تنشرها..؟)	محمد حسن عواد	المحرم وصفر / مارس وابريل	٥٩٠	١٥٧
(الكتب التى أنصح الناشئة بمطالعتها)	محمد سعيد خوجه	الربيعان / مايو ويونية	٥٩١	١٥٢ ـ ١٥٣
(اخـفاق الاديب)	محمد عمر توفيق	الربيعان / مايو ويونية	٥٩١	١٥٣ ـ ١٥٤
(معجم منازل الوحي «ذو طوى»)	رشدى الصالح ملحس	الربيعان / مايو ويونية	٥٩١	١٥٥ ـ ١٥٦
(الحرب عملية لازمة لتطور البشر)	محمد حسن فقي	الربيعان / مايو ويونية	٥٩١	١٥٦ ـ ١٥٧
(النفس ســر)	محمود عارف	الجمادان / يوليو وأغسطس	٥٩٢	١٤٨
(التاريخ ونفوذه في المجتمع البشري)	عبد العزيز ربيع	الجمادان / يوليو وأغسطس	٥٩٢	١٤٩
(زجاجة حامض الفنيك)	طاهر زمخشري	الجمادان / يوليو وأغسطس	٥٩٢	١٥٠
(دلالة وعــلاج)	عبد الله عريف	الجمادان / يوليو وأغسطس	٥٩٢	١٥١ ـ ١٥٢
(ذكرى منسية)	حسين سرحان	الجمادان / يوليو وأغسطس	٥٩٢	١٥٢ ـ ١٥٣
(شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن)	علوي السيد عباس	رمضان وشوال/ اكتوبر ونوفمبر	٥٩٣	١٦٢ ـ ١٦٤
(حكمة الصوم)	عثمان حلمي	رمضان وشوال/ اكتوبر ونوفمبر	٥٩٣	١٦٥
(العيــد)	عبد السلام هاشم حافظ	رمضان وشوال/ اكتوبر ونوفمبر	٥٩٣	١٦٦ ـ ١٦٧
(وأذن في الناس بالحج)	د. عبد الوهاب عزام	ذو القعدة وذو الحجة/ ديسمبر ويناير	٥٩٤	١٤٠ ـ ١٤١
(حول بيت الله الحرام ودين الاسلام)	الشيخ عبد الله الشيبي	ذو القعدة وذو الحجة/ ديسمبر ويناير	٥٩٤	١٤٢ ـ ١٤٣
(من وحي الحج)	محمد احمد الجازاني	ذو القعدة وذو الحجة/ ديسمبر ويناير	٥٩٤	١٤٤
(من أسرار الحج)	السيد علوي عباس المالكي	ذو القعدة وذو الحجة/ ديسمبر ويناير	٥٩٤	١٤٥ ـ ١٤٧
★ مسك الختام				
(أسئلة الرواية)	د. عبد العزيز الخطابي	المحرم وصفر / مارس وابريل	٥٩٠	١٥٨
(الرأي قبل الشجاعة)	وداد سكاكيني	الربيعان / مايو ويونية	٥٩١	١٥٨
(المنهج الإسلامي أملنا الحضاري)	إبراهيم نويري	الجمادان / يوليو وأغسطس	٥٩٢	١٥٨
(الامانة الأدبية)	وداد سكاكيني	رمضان وشوال/ اكتوبر ونوفمبر	٥٩٣	١٧٢
(هل تحقق التوازن الحضاري)	عبدالرزاق زعال	ذو القعدة وذو الحجة/ ديسمبر ويناير	٥٩٤	١٥١
★ مما قـل				
(دمعة وابتسامة بين عام مضى وعام حضر)	عبد القدوس الانصاري	المحرم وصفر / مارس وابريل	٥٩٠	بدون
(الصحافة الاسلامية)	عبد القدوس الانصاري	الربيعان / مايو ويونية	٥٩١	بدون
(آفـة الضجـر)	عبد القدوس الانصاري	الجمادان / يوليو وأغسطس	٥٩٢	بدون
(تحية شهر الصيام)	عبد القدوس الانصاري	رمضان وشوال/ اكتوبر ونوفمبر	٥٩٣	بدون
(الى الوافدين الى بيت الله الحرام)	عبد القدوس الانصاري	ذو القعدة وذو الحجة/ ديسمبر ويناير	٥٩٤	بدون



هل تحقق التوازن الحضاري؟

عبد الرزاق سمعو زعال
- سوريا -

المتتبع اليوم لحالة النهوض العلمي والتقدم الحضاري في العالم لا يحتاج الى المزيد من الجهد والعناء ليلاحظ الفارق الكبير في التفوق بين الأمم الأخرى والأمة العربية والاسلامية. فشتان ما بين الأمس واليوم!

ففي الوقت الذي كان الصراع فيه على أشده في العالم الغربي بين العلماء ورجال الكنيسة الذين رفضوا كل انتاج علمي يخالف تصورهم للكون، وصادروا حرية الفكر، وحجَّموا الابداع العلمي، وعَرَّضوا العلماء الى صنوف التعذيب، واجبروهم على التخلي عن آرائهم، كان الدين الاسلامي الحنيف - في مقابل ذلك - يحث على طلب العلم حتى جعله فريضة على كل مسلم ومسلمة وهناك الكثير من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية التي حثت على طلب العلم، وبينت فضله، فقد جاء في محكم التنزيل {وقل رب زدني علماً} (سورة طه آية/١١٤)، وقال تعالى : {يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات} (سورة المجادلة آية/١١) وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال: (من سلك طريقاً يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقاً إلى الجنة).

فالإسلام الذي كفل حرية الفكر لكل إنسان، وعمل على إذابة الفوارق بين الناس، كان محركا لكوامن الإبداع في النفس البشرية.

لقد ارتقى العرب والمسلمون الى ذروة العلوم البحرية والفلكية، ليضعوا الأسس العلمية التي كانت بمثابة حجر الزاوية لما يسمى بالتجاذب الكوني، وخاصة في عمليتي المد والجزر البحريتين وارتباطهما بحركة القمر ومهب الرياح والاستعانة بالنجوم والكواكب لتحديد خط السير ليلا والاستعانة بالشمس نهاراً، وقياس المسافات ومعرفة حالة الطقس، وميزوا بين التنجيم والفلك، فبنوا المراصد وزودوها بأجهزة فلكية دقيقة، وأدخلوا على الاسطرلاب تعديلات جوهرية ضاعفت من فائدته في رصد الكواكب والنجوم، ولا تزال معظم النجوم تحتفظ بأسمائها العربية.

وتقدم على ايديهم فن تشخيص الأمراض ومعالجتها، وطوروا علم الجراحة والتشريح وكانوا أول من استخدم المخدر في العلميات الجراحية، ووصف الطبيب ابن النفيس أول مرة في تاريخ الطب الدورة الدموية الصغرى، وبين أن الدم ينقى في الرئتين، وذلك قبل علماء اوربا بثلاثة قرون. ونظم العرب علم الصيدلة واعتمدوا فيه على الكيمياء والنباتات الطبية في تركيب الأدوية، كما اخترعوا علم الجبر برموزه ومعادلاته وربطه بالاشكال الهندسية. وبالنسبة للميكانيك فكانوا يسمونه علم الحيل، شرحوا فيه كيفية صعود مياه الفوارات الى أعلى، وابتكروا الساعة المائية الدقاقة، وتطرقوا الى بحث الجاذبية الارضية والمغناطيس. اما في الفيزياء فقد عللوا الصدى، وبرعوا في علم البصريات والضوء.

كما فتح العرب آفاقاً جديدة في تطبيق الرياضيات على الفلك، وهم أول من أوجد طول درجة من خط نصف النهار، وأول من عرف اصول الرسم على السطح الكروي، وقالوا بكروية الارض، ودورانها حول محورها.

هذه الأمة ذات التاريخ الحافل بالأمجاد والإبداعات من خلال ما قدمته خدمة للحضارة الإنسانية؛ أليس بإمكانها أن تستعيد مكانتها بين الأمم الأخرى؟!


عيد سعيد

